العدد الرابع - السنة الأولى
شوال ١٣٩٧هـ - سبتمبر ١٩٧٧م

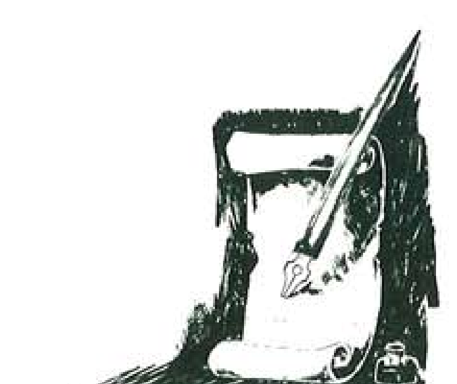


مجلة ثقافية شهرية



بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس التحرير



من كتّاب هذا العدد

دكتور عبده بدوي

* من مواليد جمهورية

محمود العابدي

* كاتب وأديب أردني.
* يشغل منصب مدير دائرة الآثار بوزارة الثقافة والاعلام بالمملكة الأردنية الهاشمية.

عبدالله بن خميس

* ولد بقرية «الملقى» من ضواحي الدرعية بنجد.
* حصل على شهادتي كليتي الشريعة واللغة العربية في مكة المكرمة.
* عمل مديراً لمعهد الاحساء العلمي .. فمديراً عاماً لكليتي الشريعة واللغة بالرياض، فمديراً عاماً لرئاسة القضاة فوكيلاً لوزارة المواصلات .. وأخيراً رئيساً لمصلحة مياه الرياض حيث تفرغ فيما بعد للبحث والتأليف.
* انشأ مجلة «الجزيرة» الثقافية الشهرية التي توقفت عن الصدور بعد نظام

الدكتور عباس الجراري

* من مواليد مدينة الرباط في المغرب عام ١٩٣٧م.
* دكتوراه الدولة في الآداب بمرتبة الشرف.
* عمل في السلك الدبلوماسي في بلاده فترة من الزمن.
* التحق بالتدريس في جامعة محمد الخامس بكلية الآداب.
* يعمل حاليا استاذ التعليم العالي (كرسي الادب



اليزابيث مونــرو

– عملت مراسلة لمجلة «ايكونوميست» الصادرة في لندن، في منطقة الشرق الاوسط.

– نالت درجة الزمالة في كلية «سانت انطوني» بجامعة أكسفورد.

– حضرت الى المملكة العربية السعودية اثناء قيامها باعداد بحث عن حياة الرحالة ج.ب. فيلبي، وكان ذلك في المدة من ۱۹۷۰–۱۹۷۲م.

– لها من الكتب التي صدرت «منطقة البحر المتوسط في خضم السياسة» وكتاب «عن التواجد البريطاني في الشرق الاوسط» وكتاب «فيلبي في الجزيرة العربية».

– أصبحت شريكة في مجموعة شركات «سانت مايكل» و «سانت جورج» تقديرا للدراسات التي قامت بها عن منطقة الشرق الاوسط.

– خصت «مجلة الفيصل» بموضوعها المنشور في هذا العدد عن تاريخ القهوة العربية.

فتحي سـعيد

* من مواليد دمنهور بجمهورية مصر العربية عام ۱۹۳۱.

* عمل مدرساً ثم اخصائياً اجتماعياً ثم صحفياً.

* له عشرة كتب ومسرحية شعرية صدر منها **«فصل في الحكاية»**، **«اوراق الفجر»**، **«الغرباء»**، **«مصر لم تنم»**، **«دفتر الالوان»**، والباقي تحت الطبع.

* شارك في عدة مهرجانات شعرية عربية وعالمية.

* ترجمت بعض اشعاره الى عدة لغات.

* عضو نقابة الصحفيين .. وجمعية الأدباء .. واتحاد الكتاب .. وجمعية المؤلفين والملحنين.



نديم صوالحة

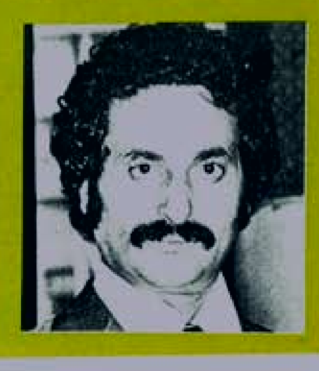
– من مواليد مأدبا بالضفة الشرقية للاردن.

– يعمل في السينما والمسرح على الصعيد العربي والدولي

– اشترك بالتمثيل في عدة أفلام عالمية

– ظهر خلال السنوات القليلة الماضية في أكثر من عشرين مسرحية على التليفزيون البريطاني

– قام في الحقل الاذاعي باعداد واخراج مئات التمثيليات العالمية ابتداء بأعمال شكسبير الى أبسن الى جون أوزبورن.



نبيل وطفة

– من مواليد مدينة عكا بفلسطين المحتلة، عام ١٩٤٥م.

– بكالوريوس علوم في الصحة العامة من الجامعة الاميركية ببيروت، عام ١٩٦٨م.

– عمل كبّحاث مساعد في الجامعة ذاتها حتى عام ١٩٧٠م.

– ماجستير علوم في الصحة المهنية من جامعة لندن.

– استاذ في الصحة المهنية بالجامعة الاميركية ببيروت.

– يحضّر للدكتوراة في نفس الموضوع.

– استاذ في الصحة المهنية بجامعة «جون هوبكنز» في الولايات المتحدة الاميركية

– له مقالات وابحاث عديدة في موضوع الصحة الصناعية، نشرت في عدد من المجلات العلمية والثقافية.

إنما الأمم التاريخ!!

** الأمم .. هي «التاريخ».

وأمة ليس لها تاريخ هي أمة «هامشية» .. أو أمة لا مكان لها من أعراب «الجملة» الحضارية.

** والتاريخ .. هو «العطاء».

وتاريخ أية أمة يعني أن هذه الامة لها عطاءاتها الحضارية .. والثقافية .. والعلمية .. وانها «رقم» له قيمته في وسط مجموعة الارقام «القيمية».

** التاريخ ايضا .. حركة .. واقتحام.

والأمة «الموات» .. امة دورها في الحياة مجرد مشاهد في احد مقاعد صفوف المتفرجين الخلفية أمام حركة التاريخ.

أما الاقتحام فهو من صفات الامم «الرائدة» .. والريادة صفة حضارية .. وأمة هذه صفتها هي أمة تقفز «الزمان» .. وتتجاوز «المكان» .. وتصنع «الحدث».

ان اية جماعة بشرية تسهم بنشاطاتها العقلية .. والانسانية في صناعة حضارة انسان الارض هي جماعة تؤكد هويتها. وأصالتها .. ومن حقها المشاركة في صياغة التاريخ الانساني .. والتأثير في حركته .. كما ان من حقها اتخاذ القرارات الكبيرة الفعالة.

وامتنا العربية والاسلامية على امتداد تاريخها كانت تشكيلا هرميا ناصع التألق .. ورافدا كبيرا من روافد الحضارات الانسانية التي تقتات على مائدتها الغنية مدنية اليوم.

والمتتبع لتاريخ معطيات العقل العربي والاسلامي في مجالات المعارف الانسانية خلال القرون التي ازدهرت فيها حضارة هذا العقل لا يستطيع نكران حقيقة انه عقل:

* مبدع .. بريادة.
* مبتكر .. باصالة.
* مؤثر .. بتجدد.
* واعد .. بثراء.
* مستقل .. بتطور.
* نابه .. بانفتاح.
* فاعل .. بعبقرية.





وانه من خلال هذا كله استطاع الانسان العربي المسلم ان يصنع حضارته المتفردة .. وتاريخه الحافل بالعطاء .. كما استطاع الاسهام في صياغة التاريخ الانساني.

وباستقراء حركة تاريخ الحضارات التي سادت يستنتج الباحث المنصف بتجرد عبقرية العقل العربي والاسلامي الذي صنع أروع الحضارات الباهرة .. وكيف ان علماء هذه الحضارة صنعوا كل البدايات – وهنا الصعوبة – التي كان من ثمارها صناعة أغلب المبتكرات الحديثة في مختلف فروع العلوم .. والفنون .. والمعارف الانسانية عموما.

هذا نحن في «التقاويم» القديمة .. فاين نحن في «التقاويم» الحديثة؟

اولئك هم عرب ومسلمو «الامس» فاين هم عرب ومسلمو «اليوم»؟

هذا هو «موقعنا» على خارطة العالم الانساني القديم .. فاين «موقعنا» على خارطة العالم الجديد.

أن اسوأ نكبة تمر بها أمة العرب والاسلام هي جهل ابنائها لهذا التاريخ ورجاله .. هذا الجهل يأتي في مقابله معرفتهم الجيدة بمعطيات اوروبا .. وامبريكا .. ورجال اوروبا .. وامبريكا .. علماء .. وأدباء .. وفنانين.

ويقوم رجال القلم في بلاد العرب والمسلمين بتغذية هذه المعرفة من خلال كتاباتهم التي تستقطب اهتمامات الشباب بما تبدعه فحجبت الرؤية وحالت دون معرفتهم بتاريخ امتهم .. وعلمائهم .. وأدبائهم .. وكان من نتائجها ان نشأت أجيال تعرف عن فولتير .. وروسو .. وهوبز .. ولوك .. وهمنجواي .. وهيجو .. واليوت .. وباوند .. وصاند ما لا تعرفه عن ابن سينا .. وابن خلدون .. وابن رشد .. والفارابي .. وابن قرة .. كما تعرف عن جزر «الكناري» .. و«كان» .. و«الاسكيمو» .. و«هاواي» و«الراين» و«السين» ما لا تعرفه عن مكة المكرمة .. والمدينة المنورة .. والقدس .. كما تعرف عن «مارتن لوثر» و«كالفن» ما لا تعرفه عن أبي بكر .. وعمر .. وعثمان .. وعلي.

واذكر بهذه المناسبة ما رواه لي مؤرخ وعالم عربي – احتفظ باسمه أثناء زيارته للدكتور طه حسين في منزله المسمى «رامتان» في مدينة القاهرة ضمن وفد جاء لتمثيل بلاده في المؤتمر الثقافي العربي الذي انعقد في القاهرة قبل خمسة عشر عاما .. وقد دعا الدكتور طه حسين الوفد في دارته «رامتان» في الهرم .. وكان وقتها مديرا للادارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

لقد سأل احد أعضاء الوفد الدكتور طه حسين عن معنى «رامتان» بالفرنسية انطلاقا من معرفته بان طه حسين قد تلقى تعليمه في فرنسا .. فأجابه الدكتور بان «رامتان» عربية .. وليست فرنسية .. وقال له: «انها موجودة في بلادكم يابني».

هذا الموقف هو واحد من مئات المواقف التي يحرص فيها المثقف العربي اثبات «هويته» العصرية عن طريق جهله بتاريخ أمته ..

←

رامتان .. في الكتب

** جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ٣ ص ٧٣٧:

رامتين: هو تثنية رامة .. يثنى كما قيل عمايتين .. وهو واحد رامة بعينه.

قال جرير:

يجعلن مدفع عاقلين أيامنا
وجعلن امعز (رامتين) شمالا

وعاقلين أيضا أراد به عاقلا .. وفي هذا الموضع جاء:

تسألني برامتين سلجما

** جاء في صحيح الأخبار عما في بلد العرب من الآثار لابن بليهد جـ ١ ط ٢ ص ١٥٠:

رامة: اكثبة متراكمة ليست بالكثيرة. باقية بهذا الاسم .. معروفة عند جميع أهل نجد (في المملكة العربية السعودية) .. وهي منقطع اكثبة الشقيقة مما يلي الغرب. وشرقي الأكثبة متصل الى بلد «عنيزة» .. وغربيها يمتد الى جهة «الرس» البلد المعروف في أعلى القصيم .. وطرف الأكثبة الغربية المقابلة للرس هي التي تسمى بهذا الاسم. وهي قريب وادي عاقل الذي تقدم ذكره .. وقد ذكرتها شعراء العرب.

قال جرير:

حيِّ الغداة برامة الاطلالا
رسما تقادم عهده فأحالا

وقال بشر بن أبي حازم في ذكر رامة:

عفت من سليمي (رامة) فكثيبها
وشطت بها عنك النوى وشعوبها

كما جاء في الجزء الثالث من الكتاب نفسه ص ٢٦:

رامة: قال البكري: بالميم على وزن فعله موضع بالعقيق.

وقال عمارة بن عقيل: وراء القريتين في طريق البصرة الى مكة .. وفي رسم عارمة ما يدل انها من ديار بني عامر .. وقال أوس بن حجر:

ولو شهد الفوارس من نمير
(برامة) أو بعنف لوى القصيم

وقال القطامي:

حل الشقيق من العقيق ظفائن
فنزلن (رامة) أو حللن نواها

وقال أبو داؤود:

من ديار كأنهن وشوم
لسليمي (برامة) لا تريم

قال الأصمعي:

قيل لرجل من أهل (رامة): إن قاعكم هذا طيب لو زرعتموه ؟ قال: قد زرعناه. قال: وما زرعتموه ؟ قال: سلجما. قال: ما جرأكم على ذلك ؟ قال معاندة لقول الشاعر:

تسألني (برامتين) سلجما يامي لو سألت شيئا أمما
جاء به الكرى أو تجشما

وقد ورد الاسم في شعر الشماخ مثنى. قال: (اطاع له من رامتين صديق). قال المؤلف (رامة) باقية بهذا الاسم الى اليوم اكثبة رمال مرتكمة .. غربيها قرب بلد الرس.

** وجاء في مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبدالمؤمن بن عبدالحق جـ ٢ ص ٥٩٦:

رامتين: تثنية رامة .. وقال جرير:

يجعلن مدفع عاقلين ايامنا
وجعلن أمعز رامتين شمالا.

وبلاده .. ورجالات امته وبلاده .. بل أصبحت هذه المواقف «تقليعة» يتميز بها الاديب العربي المعاصر بحيث لا تخلو كتاباته واحاديثه من اسماء .. ومصطلحات غربية.

نحن نؤمن ان عطاءات العقل الانساني ميراث للبشرية كلها .. ونحن الى جانب اننا مطالبون بالانفتاح على العالم .. والاخذ بأسباب المدنية نرفض ان نكون أمة تعيش على هامش التاريخ الحديث.

وكما كنا بالأمس أمة «تعطي» .. وكان الغرب أمة «تتلقى» .. فلا يعيبنا ان نكون اليوم أمة تتلقى عن أمة تعطي .. ولكن العيب ان نقابل عطاء أمتنا بالجحود والاهمال .. العيب ان يكون شعورنا بالتخلف حينا .. والخجل والازدراء حينا آخر محل شعورنا بالاعتزاز المصحوب بالعطاء.

نحن مطالبون بأن نفتح «عينا» على معطيات المدنية الحديثة في كل مجالات الحياة .. وان نفتح العين الأخرى على معطيات أمتنا من اجل ايجاد «التوازن» الطبيعي لميلاد فجر يعيد لهذه الأمة دورها الريادي .. والقيادي.

رئيس التحرير



جائزة
الملك فيصل
العالمية

بعون الله تعالى

نحن خالد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

عملا بالقيم الروحية .. والمبادئ الاسلامية التي ناضل في سبيلها الامام الراحل جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مأواه).

وترسما لكفاحه الدائب وعمله المثابر .. وسعيه المتواصل لاعلاء كلمة الله والذود عن حمى الاسلام .. والدفاع عن حقوق المسلمين.

واسترشادا بما تبناه رحمه الله من اصول وقواعد مثالية وانسانية لتحقيق هذه الاهداف السامية وتخليدا لذكراه العطرة .. واعترافا بافضاله على البلاد والامة الاسلامية جمعاء.

وبعد الاطلاع على مشروع النظام الاساسي لمؤسسة الملك فيصل الخيرية

أمرنا بما هو آت

اولا تنشأ برئاستنا مؤسسة خاصة تسمى «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» طبقا لنظامها الاساسي المرافق لأمرنا هذا.

ثانيا على الاعضاء المؤسسين للمؤسسة اتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع امرنا هذا موضوع التنفيذ.

هذا هو نص المرسوم الملكي الكريم رقم أ/١٣٤ وتاريخ ٩٦/٥/١٩ هـ الذي كان بشارة بميلاد «مؤسسة الملك فيصل الخيرية». وهي مؤسسة انسانية لها شخصيتها الاعتبارية المستقلة.

والمؤسسة تتلقى الاموال من الاعضاء او الغير وتقوم باستثمارها .. والانفاق على النشاط التعليمي والعلمي وأوجه البر المختلفة التي تعود بالنفع والخير على المسلمين في أي مكان داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وتساعد على تقدمهم .. ورفعة شأنهم.

ان فيصل بن عبدالعزيز لم يكن ملكا عربيا مسلما فحسب كما عرفه العالم .. بل كان «جيلا» في أمة .. و«فكرا» في تاريخ .. و«انسانا» بكل ابعاد معاني هذه الكلمة النبيلة.

ولم يكن أحد اثرياء العالم «ماديا» كما تصوره وسائل الاعلام العالمية بما تملكه بلاده من حقول بترول ضخمة .. بل كان «ثروة روحية» من القيم .. و«ثراء» بالمبادئ الانسانية .. و«فكرا» يدعو الى الخير .. والفضيلة .. والمحبة الانسانية.

واذا كان العالم قد عرف الفيصل ملكا .. ورائدا للتضامن الاسلامي .. وصاحب اضخم ثروة بترولية في العالم، فان مؤسسة الملك فيصل الخيرية تأتي اليوم لتعكس للعالم العربي والاسلامي والانساني فيصل «الفكر» .. وفيصل «الانسان» .. كما تأتي لتؤكد ان الفيصل لم يمت .. وانه باق من خلال اعماله الوطنية .. والعربية .. والاسلامية .. والانسانية التي استشهد من اجلها .. وانه حي في قلوب مواطنيه .. وقلوب ملايين العرب والمسلمين.

ومع ان مؤسسة الملك فيصل الخيرية متعددة الاغراض النبيلة .. والاهداف السامية .. والحديث عنها طويل ممتد امتداد تاريخ الرجل الحافل بالاحداث العظيمة .. والاعمال الكبيرة .. وهي أهداف انسانية تترجم ماكان يلوب في ذهنه .. ويجيش في وجدانه النقي من تطلعات تهدف الى خدمة الانسان .. وتسعى لدعم مسيرة السلام والخير والمحبة في العالم.

ورغم عمر هذه المؤسسة القصير وما تنهض به من أعمال كبيرة الا انها استطاعت ان تخطو خطوات عملية جادة تنقلها

من مرحلة «الطرح النظري» الى مرحلة «التطبيق العملي» .. فبدأت في تنفيذ عدد من المشاريع الخيرية الانسانية .. والفكرية .. والعلمية في الداخل والخارج .. ومنها انشاء جائزة عالمية باسم «جائزة الملك فيصل العالمية».

ويسعد مجلة «الفيصل» ان تطالع القارئ العربي بنص نظام هذه الجائزة بعد أن طالعه القارئ السعودي.

هذا النظام الذي صادق عليه «مجلس أمناء» المؤسسة بموجب قراره رقم ٩/٥٣/٩٧ وتاريخ ٧/٧/٩٧ هـ .. هذا القرار الكبير الذي حدد منح اول جائزة في نهاية شهر ربيع الاول من عام ١٣٩٩ هجرية .. وقد رصد للجائزة أربعة عشر مليونا وخمسمائة ألف ريال سعودي (١٤٫٥٠٠٫٠٠٠) .. هذا المبلغ يتم استثماره لضمان استمرارية دعم الجوائز.

عدد الجوائز

وجائزة الملك فيصل العالمية تتكون مبدئيا من ثلاث جوائز هي:

** جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام.
** جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية.
** جائزة الملك فيصل العالمية للادب العربي.

قيمة الجائزة .. ومدتها:

يحدد النظام قيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث من مبلغ نقدي قدره مائتي ألف ريال سعودي .. وميدالية ذهبية .. وشهادة تقديرية.

ومدة الجائزة غير محددة .. وتمنح سنويا اذا وجد مرشحون تنطبق عليهم شروط منحها .. وفي حالة عدم وجود مرشح .. او عدم انطباق شروط المنح على اي من المتقدمين في اي سنة من السنين يؤجل منحها في هذه الحالة الى العام الذي يليه.

نص النظام العام للجائزة

الباب الأول

أحكام مشتركة

المادة الاولى: اهداف الجائزة

عملا بالمبادئ والقيم التي ناضل في سبيلها الراحل جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، طيب الله ثراه وتأسيا بكفاحه الدائب، وعمله المثابر، منذ فجر صباه وحتى ساعة استشهاده، لاعلاء كلمة الحق، والذود عن حمى الدين والدفاع عن قضايا المسلمين في جميع اقطارهم وامصارهم، والمطالبة بحقوقهم، والسعي لرفع شأنهم، وتحقيق الألفة والتضامن فيما بينهم، وجمعهم على ما فيه نفعهم، ومن أجل الدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحقيقا لذلك فقد قامت مؤسسة الملك فيصل الخيرية بسن هذه الجائزة.

المادة الثانية: لجنة الجائزة

تشكل لجنة تتكون من خمسة من اعضاء الجمعية العامة تعرف باسم اللجنة الدائمة لجائزة الملك فيصل العالمية وتكون مهمتها المتابعة والتنسيق بين الجمعية العامة ولجان الاختيار والترشيح ودراسة واقتراح اي تعديل لهذا النظام وجميع الاعمال التي تسند اليها من مجلس الامناء.

المادة الثالثة: سكرتارية الجائزة

تشكل بموجب هذا النظام سكرتارية تعرف باسم سكرتارية جائزة الملك فيصل العالمية يكون مقرها مدينة الرياض وتتبع اللجنة الدائمة للجائزة.

المادة الرابعة: فروع الجائزة

تتكون جائزة الملك فيصل العالمية من:

* جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام
* جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية
* جائزة الملك فيصل العالمية للادب العربي

المادة الخامسة: قيمة الجائزة

تتكون كل جائزة من الجوائز المنصوص عليها في المادة الرابعة من مبلغ نقدي قدره مائتي ألف ريال وميدالية ذهبية وشهادة توضح اسم الفائز وملخصا للعمل الذي أهله لاستلام الجائزة.

المادة السادسة: مدة الجائزة ودورتها

مدة الجائزة غير محددة وتمنح سنويا اذا وجد مرشحون تنطبق عليهم شروط منحها، وفي حالة عدم وجود مرشح او عدم انطباق شروط المنح على اي من المتقدمين في اي سنة من السنين يؤجل منحها في هذه الحالة الى العام الذي يليه.

جائزة الملك فيصل العالمية

المادة السابعة: التمويل
يوقف مبلغ يغطي ريعه تكاليف هذه الجائزة، ويعتبر مجلس الأمناء وصيا على هذا الوقف.

المادة الثامنة: اعلان اسماء الفائزين وتقليد الجوائز
تعلن لجان الاختيار اسماء الفائزين قبل شهر من موعد تقليد الجوائز، ويدعى الفائزون للحضور لتسلم جوائزهم باحتفال يعقد لهذا الغرض في الاسبوع الاخير من شهر ربيع الاول من كل عام.

المادة التاسعة: طرق الترشيح
ترسل الترشيحات باللغة العربية الى سكرتارية جائزة الملك فيصل العالمية بالرياض في المملكة العربية السعودية قبل اربعة اشهر من وقت تقليد الجائزة، ولا يلتفت الى الترشيحات التي تصل بعد ذلك. وتقدم الاعمال والبحوث المرشحة من عدد من النسخ لا يقل عن عشرين نسخة.

الباب الثاني

جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام

المادة العاشرة: لجنة الاختيار
تشكل لجنة دائمة مكونة من الشخصيات الاسلامية الآتية



لاستعراض اسماء المرشحين ودراسة اعمالهم واختيار الفائز من بينهم:
صاحب السمو الملكي الامير عبدالله الفيصل
صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبدالعزيز
صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر
صاحب الفضيلة امين عام المؤتمر الاسلامي
صاحب الفضيلة امين عام رابطة العالم الاسلامي
وينضم اليهم كل سنة اثنان من هيئة الافتاء في بلدين اسلاميين مختلفين يختاران من قبل اللجنة الدائمة للجائزة. وتتخذ القرارات بأغلبية اصوات الحاضرين.

المادة الحادية عشر: المؤهلون لاستلامها
يعتبر مؤهلا لاستلام جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام كل من قام بخدمة للاسلام والمسلمين وبجهد بارز يتعدى ما هو عادي ومفروض وينتج عنه فائدة ملحوظة للمسلمين تحقق هدفا او اكثر من الاهداف المنصوص عليها في مسببات سن الجائزة، وذلك وفقا لتقدير وحكم هيئة الاختيار. ويجوز ان يشترك في الجائزة اكثر من شخص واحد.

المادة الثانية عشر: جهات الترشيح
يتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المنظمات والجمعيات والاتحادات الاسلامية في جميع انحاء العالم (لا تقبل ترشيحات الاحزاب السياسية).

الباب الثالث

جائزة الملك فيصل العالمية

المادة الثالثة عشر: لجنة الاختيار
تشكل لجنة دائمة مكونة من مندوب من كل من المؤسسات والهيئات الاسلامية الآتية لاستعراض المرشحين ودراسة اعمالهم

واختيار الفائز من بينهم:
الجامع الأزهر بجمهورية مصر العربية
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
جامعة القيروان بالجمهورية التونسية
جامعة القرويين بالمملكة المغربية

جامعة عليكره بالهند
جامعة الرياض بالرياض
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض
رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

بالاضافة الى ثلاثة اشخاص تختارهم اللجنة الدائمة للجائزة لشخصياتهم.

ويشترط في هؤلاء الاعضاء ان يكونوا مؤهلين تأهيلا عاليا ولهم نشاط بارز في مجال العلوم والدراسات الاسلامية وبحوثها ويتخذ القرار بأغلبية اصوات الحاضرين.

المادة الرابعة عشر: مجالات الجائزة

المجالات التي تمنح فيها الجائزة تشمل جميع فروع العلوم الاسلامية وتحدد لجنة الاختيار سنويا عند اختيار ... الفائز المجال الذي ستمنح فيه الجائزة للعام القادم.

المادة الخامسة عشر: المؤهلون لاستلامها

يعتبر مؤهلا لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية كل من قام بدراسة او بحث ينتج عنه نفع عام وواضح للمسلمين وذلك وفقا لتقدير وحكم هيئة الاختيار.

ويجوز ان يشترك في الجائزة اكثر من شخص واحد.

المادة السادسة عشر: جهات الترشيح

يتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العلمية العالمية كالجامعات ومراكز البحوث والمجامع اللغوية وما شاكلها.

الباب الرابع

جائزة الملك فيصل العالمية للادب العربي

المادة السابعة عشر: لجنة الاختيار

تشكل لجنة دائمة مكونة من تسعة اشخاص يختار اثنان منهم من جامعة الرياض واثنان من جامعة الملك عبدالعزيز واثنان من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وثلاثة بصفتهم الشخصية يختارون من قبل اللجنة الدائمة للجائزة وذلك للنظر في المرشحين ودراسة اعمالهم واختيار الفائز من بينهم.

ويشترط في هؤلاء الاعضاء ان يكونوا مؤهلين تأهيلا عاليا ولهم نشاط بارز في مجال اللغة العربية وآدابها وفنونها والابحاث المتعلقة بها، ويتخذ القرار بأغلبية اصوات الحاضرين.

المادة الثامنة عشر: مجالات الجائزة

المجالات التي تمنح فيها الجائزة تشمل جميع فروع الادب العربي وتحدد لجنة الاختيار سنويا عند اختيار الفائز المجال الذي ستمنح فيه الجائزة في العام القادم.

المادة التاسعة عشر: المؤهلون لاستلامها

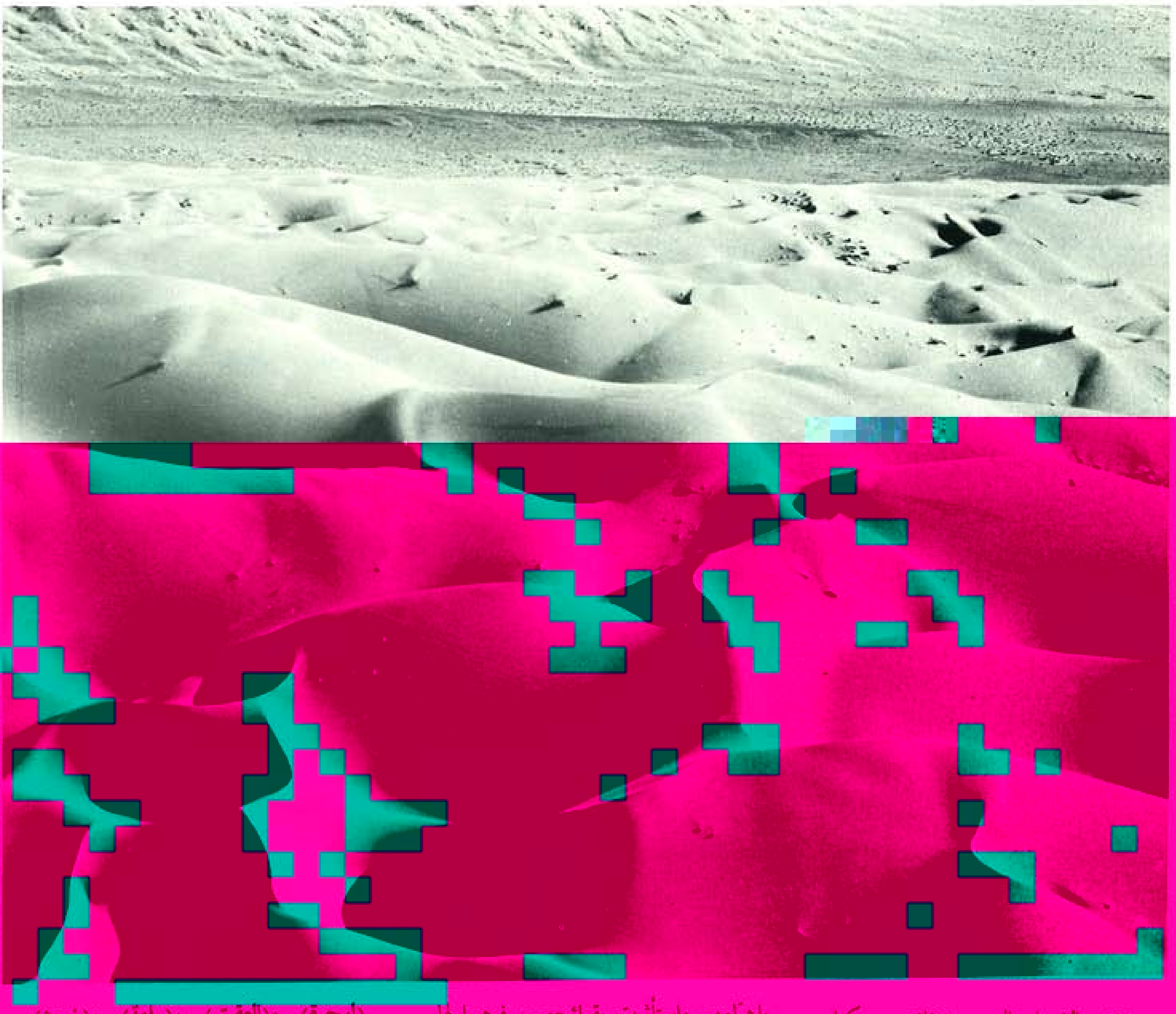
يعتبر مؤهلا لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية للادب العربي كل من قام بعمل مبدع واصيل في المجال الذي يتقرر فيه منح الجائزة وينتج عن عمله هذا خدمة واضحة واثراء للغة العربية وآدابها، بصفتها لغة القرآن الكريم، وذلك وفقا لتقدير وحكم هيئة الاختيار. ويجوز ان يشترك في الجائزة اكثر من شخص واحد.

المادة العشرون: جهات الترشيح

يتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العلمية العالمية كالجامعات ومراكز البحوث والمجامع اللغوية وما شاكلها.

أغاني.. وهـ

بقلم : عبدالله بن خميس



تغنى الشعراء العرب بمغانيهم وبكوا اطلالهم واستنطقوا دمنهم وتركوا لنا ثروة من الشعر في ذكر الديار والتغني بالآثار.. ووقفوا عند اعلام من جزيرتهم استبدت باهتمامهم واستأثرت بقرائحهم، فوهبوا لها رائق الشعر وشائقه وخصوها بمصطفاه ومنتقاه..

ونتساءل لم هذه الاثره اعطيت (لوجرة) و(العقيق) و(رامة) و(زرود) و(العذيب) و(حاجر) و(الدهناء) و(الصمان) و(العرمة) وربما غير هذه مما لم يحضره ذهني .. فلا اجد ميزة تميزها ولا



ظاهرة تخصها .. سوى ان الجد اذا واتى والسعادة اذا لاحظت .. واذا وجدنا عذرا لمن وقف فيها واستوقف وقضى بها ملاعب صباه ومسارح لهوه وغازل بها الحبيب

وخشى نظرة الرقيب وذاق بها ألم الفراق وبين الاحبة .. اذا عذرنا هؤلاء (ومن حقنا ان نعذرهم) فما بال من بكاها بالذكر واستنطقها بالتقليد وخلد فيها فرائده وشوارده لان **امرأ القيس** استوقف بها صحبه، **وزهيرا** لم تكلمه دمنها، **وعنترة** لم يعرفها بعد توهمه .. **ولبيدا** تأبدت عليه .. **والاعشى** استسقى لها .. أمن أجل هذا يخلد فيها **ابن الفارض** مفرداته، ويحبر فيها **الرضي** تجدياته .. ويذيل عليها **البحتري** عبراته .. الا أنه الجد اذا واتى والسعادة اذ لاحظت:

واذا سمعت بأن مجدودا حوى
عودا فأثمر في يديه فصدق

فلنقف حيث وقف هؤلاء الشعراء، وليكن لنا من جد هذه المغاني مسعف ومساعد لنستكنه مع القراء كنه هذه الاعلام المجدودة، ولنعرف عنها ومنها ما نحن خليقون بمعرفته وفاء لها وبرا بمن برها من قبل:

اذا انت لم ترع العهود لمنزل
فلست براع حق أهل المنازل

١- الدهناء ؟؟

تتخلل جزيرة العرب رمال كثيرة منبثة هنا وهنالك، اكثرها واغزرها واطولها امتدادا وارحبها رقعة **(بعد الربع الخالي)** هي **الدهناء**، تنطلق من عرض الربع الخالي من تحت **الافلاج** شرقا، وتذهب مشملة آخذة ما بين **(الصلب)** شرقا و**(العرمة)** غربا، وهكذا حتى تجتاز **(جبلي طيء)**، ثم تأخذ شطر الغرب فالغرب الجنوبي لتقف تقريبا من **(تيماء)**، وحينا تذهب مغربة تتعاظم وتتكاثف وتسمق وتتداخل شقائقها، وهذا ما يسمى بـ**(رمل عالج)**..

و**(الدهناء)** حينا تتكاوس رمالها وتتداخل وتمحي شقائقها وتعمى طرقها فلا يسار فيها الا بمعرفة الجهة ولا يقطعها الا خريت ماهر .. وحينا تنقاد حبالها وتتواكب شقائقها وتبرز اعلامها .. وهذا يرجع الى طبيعة تكوينها ورمالها المتحركة في بعض اجزائها والساكنة في اجزاء اخرى، ولذا تجدهم يتخذون منها مسارات معلومة وطرقا لاحبة تتحاشى عبور متكاوسها ومتداخلة، اضف الى ذلك ان الدهناء خالية من المناهل قفر من المياه، فكانت في حقبها الماضية مضيعة مهلكة ابتلعت الكثير وطوت في جوفها القوافل والمجتازين .. ولما كانت **هجر** سابقا هي الممون الرئيسي لنجد بادية وحاضرة بالميرة والكساء واكثر مستلزمات الحياة بحكم انها بلاد زراعية تنتج التمور والحبوب..الخ، كما انها بلاد صناعية تغزل الصوف والوبر والشعر وتصنّعه وتنتج الادوات الزراعية وتصنع الاقتاب والرحال..الخ .. وهي ايضا باب الجزيرة الى **الهند وشرق جنوبي آسيا** بواسطة مرفئها المعروف **(العقير)**، لذلك فان لها طرقا معروفة تعبر الدهناء من **نجد**، فكل جهة من جهاتها الممتدة من

أغـــاني ومغــاني

الشمال الى الجنوب لها طريق معروف .. **فالعارض** وما صاقبه جنوبا وما فوقه غربا يسلك اهله طريق **(مزاليج)** الطريق الجنوبي يتزودون بالماء من منهل **(ابي جفان)** في طرف **(العرمة)** الجنوبية،

ثم لا ماء امامهم دون **الاحساء** وفيه كثب وعرة شاقة تجتازها الرواحل بصعوبة شديدة، وهي التي عناها **محسن الهزاني** في تائيته حينما وصف الركب الوهمي الذين حملوا رسالته لصديقه **(سعد بن عفالق)** في الاحساء هذه الكثب هي **(مزعلات)** قال:

يسرحن الصبح من جرعا نعام
والعصير منكبات مزعلات
والعتم القابلة من غير اين
يشربن بروسهن من ما الصراة

ويقصد صراة الاحساء .. **وسميت (مزعلات) لانها تزعل مجتازها اي تغضبه وتحنقه بوعورة اجتيازها..**

ومزاليج ايضا هي التي يقصدها **عبيد بن رشيد** في قصيدته التي يقول منها:

اقفن بنا مثل القطا مع مزاليق
وصارت توالي كل عشر ثمان
العارض المنقاد للخرج لطويق
بالعنو سكان هاك المكان

عفا الله عنه انها لا تستحق منه هذا!!

ومزاليج ايضا هي التي يقصدها الرقاص بقوله:

هني من درهمت به فرخة الحرة
معط مزاليج والا معط الجودى
وابعد عن الهاجري وابعد عن المرة
لو كان ما جا من الاجواد منقود

و(**مزاليج**) هي العلم البارز الذي سمي به حقل النفط الغني الذي كشف في تلك المنطقة اخيرا ولما يستغل بعد. **ويؤسفنا ان الزحف على الفصحى بوساطة العناصر الاجنبية التي تعمل في حقول النفط كشفا واستخراجا ويقلدهم اشباههم من مواطنينا الذين يعملون معهم. يلحقون الألف واللام بهذا العلم (مزليج) .. فيقولون: (المزاليج)، كما يلحقونها بعلم (بقيق)، فيقولون: (البقيق)، وغير هذا وذاك من المسميات التي لعبت العجمة دورها في تحريفها .. وقد نبهنا على هذا في حينه عند كشف حقل (مزاليج) ولكن لا حياة لمن تنادي..**

يلي مزاليج من الناحية الشمالية من هذه الطرق طريق **(مخيط)** **(وزان مبرد)** يسلكه من يفوز من منهلي **(سعد)** و**(رملان)**. وسمي مخيطا باسم نق هنالك في اول الدهناء غربيها سامق الطول مذروب الرأس كأنه مخيط، وهذا الطريق يلي طريق **(خريص)** جنوبيه اذا سلكته ودخلت (الدهناء) فالتفت يمينك تر (مخيطا) يسبرك ابرز علم هنالك..

ويلي (مخيطا) من الناحية الشمالية طريق **(الجودي)**، وسمي بالجودي نسبة الى منهل **(جودة)** الذي يمر به هذا الطريق بعد اجتياز **(الصّلب)**، وكان هذا المنهل قديما يسمى (يجودة) فحذفت ياؤه اخيرا فصار (جودة)، وبعد منقطع الرمل من هذا الطريق مما يلي (الصمان) كانت هناك شجرة طلح كبيرة تضاف الى هذا الطريق فيقال: **(طلحة الجودي)** .. واياها عنى **(الخلاوي)** في وصفه **(لدحل)** ابى مروة حيث يقول:

عن طلحة الجودي توا قم روحة
وعليها شمالي النسور يغيب
وعنها مهب الهيف رجم وفيضة
و(حروري) ان كان الدليل نجيب

ويليه من الشمال **(المبيحيص)** وهو يمر بخبرا **(الخَمَة)** بالصمان بعد ان يجتاز الدهناء، ويليه طريق **(المنشرحة)** **(فام الرمم)**، **(فالهبابية)** **(فالاجردي)**، فطريق **حاج البصرة**، ثم طريق **حاج الكوفة**، فطريق **(لينة)**، فطريق **(جبة)** **(الجوف)** .. وكل هذه فجاج وسبل تجتاز هذا الذراع الرملي العظيم الذي ينطلق من الربع الخالي ويذهب مشملا فمغربا فيكوّن في نهايته شمالا **(رمل عالج)** او صحراء النفود الكبرى كما يسميها المعاصرون..

والدهناء تضيق في بعض الاماكن فيبلغ عرضها ٢٢ كيلا، وتتسع في اماكن اخرى فيبلغ عرضها ٩٩ كيلا وربما اكثر..

وطرائق الدهناء هي حبال متواكبة بينها شقق (صرائم) خالية من الرمل تدعى **(خببا)** جمع (خبة بكسر الخاء والباء المشددة فتاء.. قال عنها في **(بلاد العرب)**: (فأول حبل من الدهناء الى الحفر) يقال له **(خشاخش)** فتقع في معبر وفيه يقول الراجز:

ليل طويل لك من معبر
ومن حماطين وحبل السرسر

والحماطان حبلان من حبال الدهناء، وحبل السرسر ايضا من حبالها، وجرعاء العكن ايضا حبل منها .. والصرائم التي بين الحبال لها اسماء .. قال: والدهناء لها سبعة احبل .. وانما تجاز هذه الحبال عرضا، ولكل حبل منها اسم، وبين هذه الحبال سهوب من الارض تدعى

(الصرائم)، بين كل حبلين صريمة، وبين كل صريمتين حبل .. ومن صرائم الدهناء: **(الجردة)**، و**(الجريدة)**، و**(صريمة العكن)**، و**(الصبيغاء)** وهي برقاء بمنقطع الدهناء اذا جزت الصبيغاء وقعت في ابرق يقال له **(القنفذ)** .. ثم اذا جزت القنفذ استقبلت اول الصمان)..أ هـ

وبيدو من قوله: حبل السرسور هو ما

السبط .. وقد ينبت في صرائمها -شققها- ما ينبت في الروض..

وحضنها الغربي مستقر لسيول الاودية التي تنحدر عليها، فهنالك رياض من اشهر رياض نجد تمتد في حضن الدهناء كروضة **التنهات** وخوابيها تصب فيها اودية **(الشوكي)** وروافده، و**(العتك)** وروافده، و**(الطيري)** وروافده .. وهناك **(روضة**

منظرا ابدع ولا امتع من هذه الرياض اذا اخصبت وازدانت وازدهرت وتفتح نوارها وغنت اطيارها، تطل عليها الدهناء بحمرتها الذهبية وتمتد غربها الاودية بطلوحها



أغـــاني ومغـــاني

الاتجاه وامكنة الضوال..

وقد سبق لنا شئ من ذلك عن **(مزاليج)**، و**(مزعلات)** .. وهناك تل قريب من (مزاليج) يسمى **(حومل)** بارز معروف مما حدى بيعض الباحثين ان يرى ان **امرأ القيس** في معلقته يقصده:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول وحومل

يرى ان (سقط اللوى) هو منعرج الدهناء هنالك، وان الدخول هو ما يسمى **(الدّخيلي)** شعب من شعاب **(النخش)** جنوبي **(العرمة)** يسيل على **(التوضحية)**، وحومل هو هذا التل الذي ذكرنا .. و(توضح) المذكورة في البيت الثاني هي روضة (التوضحية) هذه .. ومع وجاهة ما ذكر هنا الا ان القرائن ومسار بناء القصيدة ومنازل آل امرئ القيس وبقية الاعلام التي ذكرها مقرونة بهذه الاعلام الآنفة الذكر، وغير ذلك مما يحتاج الى بسط في الكلام ليس هذا موضعه .. كل ذلك لا يجعلنا نطمئن الى هذا القول، ولعل لنا عودة الى اشباع هذا الموضوع في بحث مستقل..

ومن اعلام الدهناء **(رجم الشويعر)** علم بارز على طريق (مزاليج)، يعرفه السفر تمام المعرفة، وفيه يقول **ناصر الهزاني** يصف ركبا من قصيدة يمدح بها **احمد السديري** امير الاحساء آنذاك:

لهن من ديرة بني زيد مسراح
وتلقى لهن رجم الشويعر مصابيح

ومن اعلامها ايضا **(دليل)** نبي من انقية الدهناء البارزة مقابل لمنهل (سعد) بكسر السين واسكان العين فدال، ويضرب بهما المثل في قرب احدهما من الآخر فيقال: **(ياقرب سعد من دليل)** فالذي على المنهل يشاهد دليلا، والذي فوق (دليل) يشاهد من على المنهل، ويقع (دليل) شمال شرق (سعد) تخرج السماك الأعزل -النسر- وطريق المنطقة الشرقية - طريق خريص - يأتي من بينهما، وقد اخذ هذا المثل عبدالله بن محمد الصّبي المعروف **(بمبيلش)**، فقال من قصيدة حربية يمدح بها **الملك عبدالعزيز**:

لو صلاح الناس في غارب الجوز ابداه
ما يذل من المخاوف ومن ربه ذليل
هو عمودالدين ما شاف من فتق رفاه
كنه المهدي وياقرب سعد من دليل

ومن اعلامها **(خريم)** بضم الخاء وفتح الراء فياء ساكنة فميم، من اطول انقية الدهناء، يرى من امكنة بعيدة، واليه تضاف الروضة المشهورة من رياض العرمة، فيقال: **(روضة خريم)**، وهو يقع شرقيها من الدهناء..

ومن الاعلام ايضا **(الجلاليّة)** (زبارة متلمخة) كبيرة تقع شرقي بلد **(رماح)** بميل قليل الى الجنوب، وفيها جرت وقعة بين قبيلة الدواسر وقبيلة سبيع، قال فيها شاعر **سبيع**:

ذيب ياللي عوى عند الجلالية
ابتجح بالعشا من قوم بسام

ومن اعلامها **(السبّيّة)** بالسين المفتوحة المشددة والباء المكسورة والياء المكسورة المشددة فتاء مربوطة .. **(زبارة)** من (زبائر) الدهناء شرقيها قريبة من **(حزوى)**، وبها جرت وقعة **للامام تركي بن عبدالله** على **بني خالد** سنة ١٢٤٥ هـ لم تقم بعدها لبني خالد قائمة، ومنها احتل الامام تركي (الأحساء) .. وهذا الاسم (السبية) قديم ذكرها غيلان ذو الرمة في شعره قال:

وقد جعلوا السبية عن يمين
مقاد المهر وانتجعوا الرمالا

ومن اعلامها **(حزوى)** بضم الحاء واسكان الزاء فواو مفتوحة فألف مقصورة، (زبارة) ايضا من (زبائر) الدهناء مشهورة في اسفلها مما يلي **(معقلا)** علم بارز هنالك، قال عنها **الازهري**: هي حبل من حبال الدهناء مررت به .. وقال **محمد بن ادريس بن ابي حفصة**: (حزوى) من رمال الدهناء .. قال عنها بعض الاعراب:

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
بجمهور حزوى حيث ربتني اهلي
وصوت شمال زعزعت بعد هجعة
الاء واسباطا وارطى من الحبل
احب الينا من صياح دجاجة
وديك وصوت الريح في سعف النخل

وقال اعرابي آخر:

لئن طلن ايام بحزوى لقد اتت
عليّ بـالعقيـق قصار

وانشد ابن ابي حفصة لذي الرمة:

خليلي عوجا من صدور الرواحل
بجمهور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة
الى القلب او يشفى نجي البلابل

وهناك (حزوى) اخرى باليمامة بحذاء **قرية بني سدوس** لآل معمر الآن، اميرها الرجل الفاضل **محمد بن فيصل بن معمر**

.. وهناك (حزوى) ثالثة بعالية نجد ومن اعلامها **(الاعيجم)** تصغير اعجم حبل بارز يلتقي فيه السروان (مثنى سرو)، وهما حبلان معروفان من حبال الدهناء .. وفي (الاعيجم) يقول الشاعر **(نصار السهلي)** في محبوبته:

صاحبي ما نوى طاري الحدار
راكد والاعيجم مداهيله
صاحبي يحسبن شدتي مختار
مقفي بالحسايف وانا اخيله

و**(نصار)** هذا هو الذي يقصده الشاعر المعروف **(دبيان بن عساف)** بقوله:

صاحبي شد مع ناقلين الكار
مع فريق عليّ ابعدوا داره
مع فريق الجمالين يانصار
من يجيني من العذب باخباره
شبه وضحي زعوج على القهار
في نهار المواريد دجارة
حايل ما بعد عاودت لحوار
من مغاتير الاجواد سنجاره

ومن اعلامها **(البزيخا)** بضم الباء وفتح الزاي واسكان الياء فخاء مفتوحة فألف .. تصغير بزخاء، والتسمية تفيد الضخامة والبروز .. وهذه (زبارة) من (زبائر) الدهناء الكبيرة المطلّة على **(قوشع طاسان)** ومرتفع **(الدجاني)** و**(القاعية)** جنوبي **(نقي الجمل)** في **(حومة النقيان)**. وهي التي ذكرها الشاعر الشعبي **السبيعي ابو ذيب** يصف وقعة بين قومه وبين الظفير ويفتخر بقومه، قال:

قطعاتنا ما رددت بالكداد
تلقى من حول (البزيخا) معازيب
حناذ يابة مقرعات التوادي
الى ركبنا فوق عوج المصاليب

ومن اعلامها **(حومة النقيان)**، اي مجتمع الانقاء، وفي هذه المنطقة تنبث انقية الدهناء هنا وهنا وهنالك حتى لكأنها خيام ذهبية مبثوثة، وبعضها علم مسمى وله ذكر على السنة الرواة، وبعضها نكرة لا يعرف له اسم .. فمن المعروفة (نقي الجمل) وهو من ابرزها واشهرها، ويقال انه هو الذي اوصى **ذو المرة** ان يدفن فيه فدفن .. وفي حومة النقيان يقول **محمد بن علي بن صقية** امير حليفة سابقا:

حموها من (الوفرا) الى (حومة النقيان)
الى (المستوى) و(طويق) يرعونه
مداهيل تلعسات المها شرد الغزلان
ثلاث غدن بالزين عن كل مزيونه

ومن ابرزها واشهرها **(نقي المطوع)**، وهو طالب علم من اهل **(اشيقر) بالوشم** علق حب فتاة افضى به الى الوجد والوله والغرام فتزوجها وهي لم تكن من طبقته نسبا على ما درج عليه عرب ذلك الزمان من حماس للنسب يفضي الى القتل، فكشف امره وهددته العشيرة بالقتل اذا لم يطلقها فأبى وحملوه معهم في قافلة ذاهبة للامتياز من احدى مدن ساحل الخليج العربي وقصدهم اغتياله اذا وصلوا الدهناء، وقد عرف قصدهم، وحينما



امرؤ القيس .. استوقف بها صحبه، وزهير.. لم تكلمه دمنها، وعنترة.. لم يعرفها بعد توهمه، ولبيد .. تأبدت عليه، والأعشى .. استسقى لها !

وصلوا الدهناء وقد اصطادوا ظبيا اخذ من دمه في فنجان، وجعل يذيب لواعج حزنه وفيض صبابته في شعر يكتبه بالدم في ثوبه حتى اذا افرغها قصيدة طويلة شاكية باكية اسلم روحه لبارئها فدفن في هذا النقي .. يرحمه الله .. اما القصيدة فمنها:

الاقفى جزى الاقفى ولا خير في فتى
يتبع هوى من لا يريد هواه
من باعنا بالهجر بعناه بالنيا
ومن جذ حبلي ما وصلت رمشاه

اخذ هذا المعنى (**الشريف بركات**)، فقال:

قلته على بيت قديم سمعته
على مثل ما قال (التميمي) لصاحبه
اذا الخل وراك الصدد دفوره
صدود ولو كانت جزايل وهايبه

يقصد بقول (**التميمي**): الاقفى جزا الاقفى في البيتين المتقدمين (لمطوّع) اسيقر..

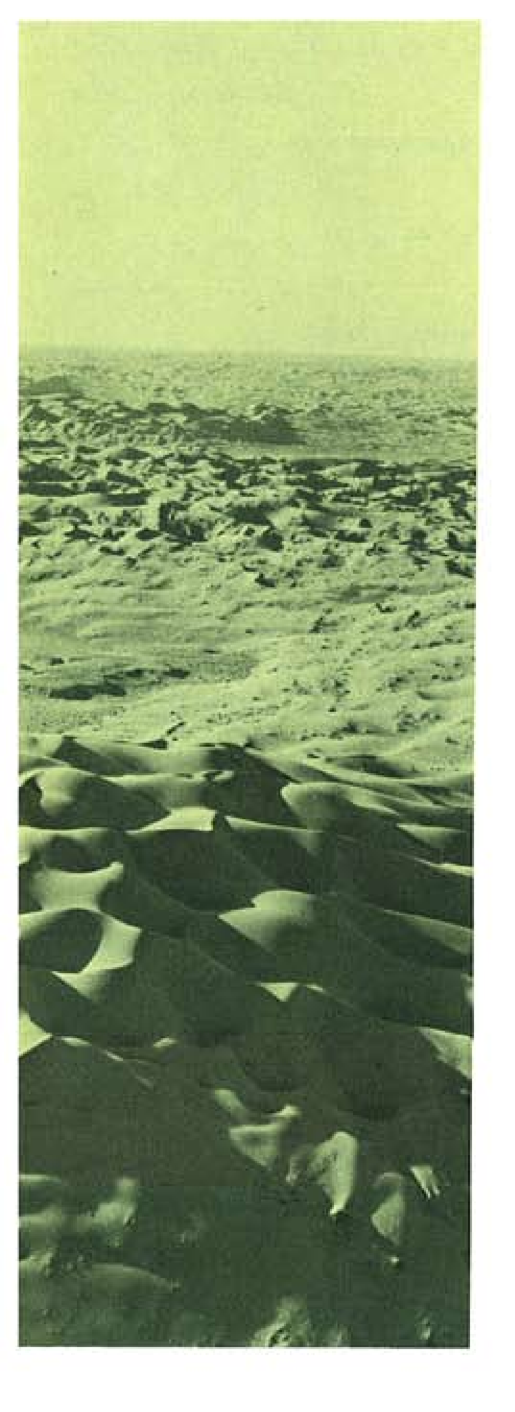
ومن اعلامها (**حرابة**) بكسر الحاء وفتح الراء والباء فتاء مربوطة .. نقى طويل مذروب في نهاية الدهناء من شرق مما يلي (**الحتايف**)، تراه بعد كأنه رمح، ويعنيه الشاعر الشعبي المفوه (**حنيف بن سعيدان**) في قصيدته التي يمدح فها (**الدوشان**)، قال منها:

كّرو لهم من عقب الامطار عسّاس
وتباشروا بالصلب كثر شرابه
وقاد السلف واستجنبوا قب الافراس
وحطّوا (جنّح) شدة من (حرابه)

ومن اعلامها (**الدويدات**) جمع دويد، وهي انقية حمر متجاورة علامة فارقة في المنطقة، وهن في موضعين من الدهناء في (**السرو**) وفي (**جهام**)، وبالمناسبة فقد حدثني احدهم قال كنت مع ثلاثة من ابناء الملك عبدالعزيز - رحمه الله - خرجوا من مخيمه في قريم للقنص، ولما جاؤا عند (الدويدات) تعطلت سيارتهم فبعثوا محدثي راجلا للمخيم من اجل اسعافهم، وكانوا آنذاك صغارا .. قال فوصلت المخيم بعد لأي وتعب ونصب فوجدت الملك عبدالعزيز على احر من الجمر فاستدعاني واخذ خبري، وقال هل هم في (دويدات السرو) والا في (دويدات جهام)، قال فبهت لانني لا اعرف هذه من هذه فنهرني فتلعثمت وقلت فيهن كلهن فضحك وانصرف عني وامر باسعافهم في الحال .. **قلت رحمك الله ياعبدالعزيز فقد قتلت ارض الجزيرة معرفة واستيعابا نجوبها غازيا او مسافرا او متفقدا .. حتى عرفتك وعرفتها فلم يخف عليك منها شبر** .. ومن اعلامها ايضا (**نقي سبيت**)، وهو من ابرز انقية الدهناء واشهرها، ولا نعلم ما هو سبيت هذا الذي اضيف اليه هذا النقي..

ويطول بنا الدرب لو ذهبنا نعدد اعلام الدهناء ومالها من مناسبات، ولكن يكفي ان نسرد ما تيسر لنا منها سردا .. فمنها: (**نقي التنهات**)، (**البدرية**)، و(**الكناسية**)، و(**اوتاد**)، و(**الشاوية**)، و(**جو صياح**)، و(**جو جهام**)، و(**الطويسة**)، و(**سر بهيدة**)، و(**ام رقيبة**)، و(**السنافية**)، و(**كهري**)، و(**الهدب**)، و(**حروري**)، و(**عدامة دغيم**)، و(**الحصانة**)، و(**اليتيمة**)..الخ.

ويتخذ العرب الدهناء ملاذا عن الاعداء المغيرين ينطوون في كثبانها ومتداخلاتها، ويجدون فيها ملجأ لهم يحصنهم من اعدائهم .. اغار قوم على آخرين وكان المغار عليهم في (**الصمان**) مما



أمن أجل هذا يخلد فيها ابن الفارض مفرداته، ويحبر فيها الرضي نجدياته، ويذيل عليها البحتري عبراته؟

يلي (الدهناء)، وقبل ان يفاجئوا المغار عليهم وجد المغيرون شخصا منهم فاعتقلوه لئلا ينذر قومه، وبعثوا بعين منهم كأنه ضيف ليستجلي خبر القوم ويكشف عدتهم واستعدادهم قبل ان يغيروا عليهم .. ولما



هم هذا العين بالذهاب قال للمعتقل اني ذاهب الى اهلك ضيفا فماذا توصيني به لهم .. قال قل لهم ان الارض مجرودة فليعروا جملي الاصهب ويركبوا ناقتي الحمراء حتى آتيهم .. وكان في هذا الرمز لهم اكبر نذير .. فالجراد هو العدو المغير، والجمل الاصهب هو الصمان، والناقة الحمراء هي الدهناء .. فبادروا بركوب الدهناء واخفق المغيرون مما كادوا ان ينالوه .. ولقد تغنى الشعراء بالدهناء وقالوا فيها كثيرا نقتطف من ذلك ما تسنى لنا.

قال اعشى همدان يصف لصوصا:

يمرون بالدهنا خفا فاعيابهم
ويرجعن من (دارين) بجر الحقائب
على حين الهي الناس جل أمورهم
فندلا زريق المال ندل الثعالب

وقال اعرابي حبس بحجر اليمامة:

هل الباب مفروج فانظر نظرة
بعين قلت حجرا فطال احتمامها
الا حبذا الدهنا وطيب ترابها
وارض خلاء يصدح الليل هامها
ونص المهاري بالعشيات والضحى
الى بقروحي العيون كلامها

وقال كثير:

كأن عدوليا زهاء حمولها
غدت ترتمي الدهنابة والدهالك

وقال آخر:

جازت القور والمخارم أمّا
ثم مالت لجانب الدهناء

وقالت العيوف بنت مسعود اخى ذي الرمة:

خليلي قوما فارفعا الطرف وانظرا
لصاحب شوق منظرا متراخيا
عسى ان نرى والله ما شاء فاعل
باكثبة الدهنا من الحي باديا
وان حال عرض الرمل والبعد دونهم
فقد يطلب الانسان ما ليس رائيا
يرى الله ان القلب أضحى ضميره
لما قابل الروحاء والعرج قاليا

وقال ذو الرمة:

حنت الى نعم الدهنا فقلت لها
امّي (هلالا) على التوفيق والرشد
الواهب المائة الجرجور حانية
على الرباع اذا ما ضن بالسبد

وقال ايضا:

غراء آنسة تبدو بمعقلة
الى سويقة حتى تحضر الحفرا
تشتوا لي عجمة (الدهناء) ومربعها
روض يناصي أعالي ميثه العفرا

وهكذا يكثرون من ذكرها، ويحنون الى اجارعها ووعاسها وشقائقها وصرائمها..

واخيرا فان الدهناء (بنية) تمد وتقصر على خلاف بين البصريين والكوفيين في ذلك..

هذا هو حديث (الدهناء)، وقد شاهدت أعلامها وجبت سهولها وسهوبها ووقفت فيها وقفات المتأمل وما ابرئ نفسي.

لقاء مع :

ناتالي ساروت

كبيرة كتاب الرواية الجديدة



إعداد : **فتحي العشري**

تركت السنوات على قسمات وجهها وعروق يديها وتحول جسمها آثاراً دون ان تؤثر على وضوح ملامحها وخفة حركتها وحيوية تحركاتها .. في عينيها عمق وحزن، تسترجعان وتتأملان ولكنهما تسكنان في اللحظة والمكان .. تدرك دون ان تعلن، وتعبر دون ان تتكلم وتتفاعل دون ان تنفعل .. مرنة لا تصر .. ثاقبة لا تدعي .. نافذة لا تفرض .. لا تحب المجاملة ولا تجامل .. تحاول ان تفيد وتحاول ان تستفيد .. تعرف اشياء كثيرة وتنفتح على معرفة المزيد والمزيد.

هي «**ناتالي ساروت**» التي عرفتها قبل ان أتعرف عليها، وتحمست لترجمة أعمالها والكتابة عنها بمجرد الانتهاء من اول قراءة لأحد اعمالها.

عرفت انها ولدت ببلدة ايفانوفو بروسيا، بعد عامين من



طلعة قرننا العشرين، وتركتها بعد عامين آخرين من مولدها، الى فرنسا حيث استقرت ولا تزال، وحيث نالت ليسانس الآداب والحقوق، وحيث تزوجت وأنجبت ثلاث بنات، وحيث عملت بالمحاماة حتى عام ١٩٣٨ نفس العام الذي أطلقت فيه صرخة «**الرواية الجديدة**» بنشر أولى مؤلفاتها «**انفعالات**»..

وعرفت انها كتبت بعد ذلك ست روايات اولها «**صورة مجهول**» سنة ١٩٤٨ و «**مارتيرو**» سنة ١٩٥٣ و «**الكوكب السيار**» سنة ١٩٥٩ و «**الفاكهة الذهبية**» سنة ١٩٦٣ – وقد نالت عنها جائزة الأدب العالمية الرابعة، و «**بين الحياة والموت**» سنة ١٩٦٨ و «**هل تسمعونهم؟**» سنة ١٩٧٢.

وعرفت انها كتبت تمثيليتين اذاعيتين هما «**الصمت**» و

لقاء مع :
ناتالي ساروت

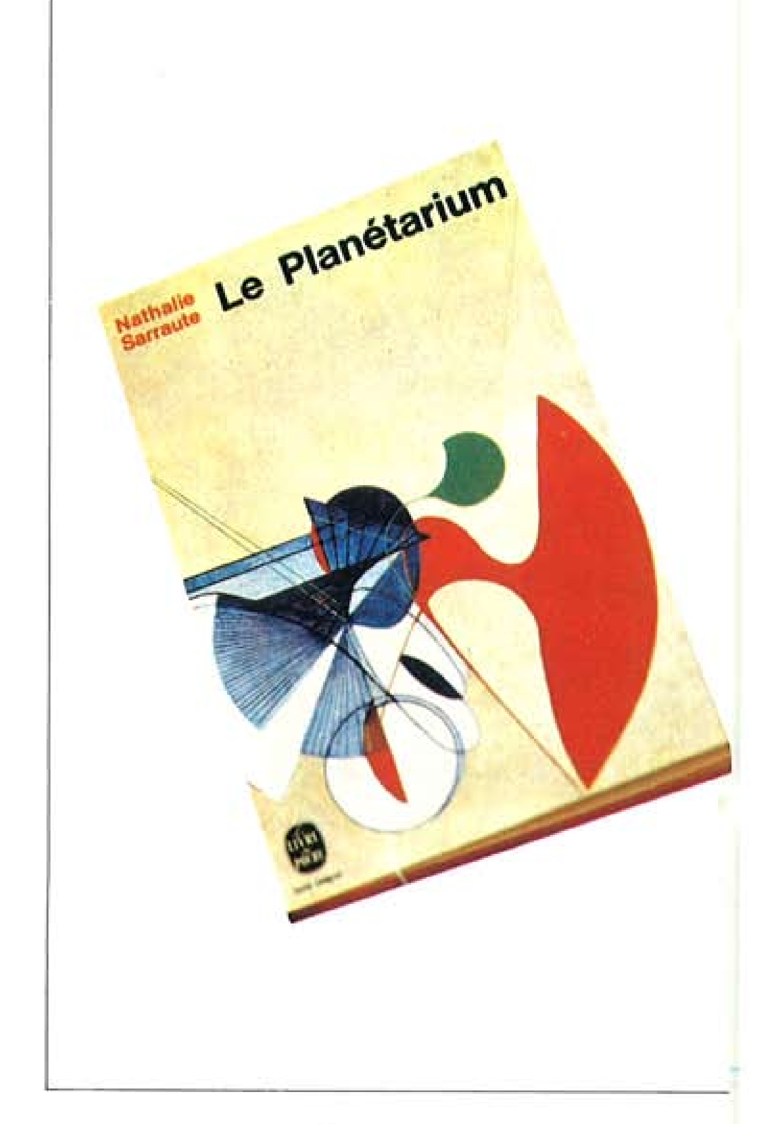


«**الكذب**» سنة ١٩٦٧ ومقالات نقدية متفرقة جمعت أهمها في كتاب بعنوان «**عصر الشك**» سنة ١٩٥٦.

انفعـــالات

وعرفت انها كتبت مسرحية سنة ١٩٧٠ بعنوان «**ايسما**» .. ولكنها لم تعرض على خشبة المسرح بعد .. أما «**الانفعالات**» فيمكن ادراجها تحت بعض انواع الابداع الأدبي المعروفة، **كالقصة والشعر الحر** .. ولا يمكن في الوقت نفسه إدراجها تحت اي نوع من انواع الابداع الادبي المعروفة وغير المعروفة .. حتى ان العنوان نفسه «**انفعالات**» كلمة لا توجد لها ترجمة في غير اللغات اللاتينية، ولا يوجد لها تفسير في اي من هذه اللغات .. لا في «**قاموس الأكاديمية الفرنسية**» ولا في «**المعجم الفرنسي**» .. وان كان «**قاموس اكسفورد**» قد حاول في سنة ١٨٩٩ ان يوجد لها تفسيرا مؤداه ان الكلمة «**صفة بيولوجية**» تعني الحركة الناتجة عن إثارة خارجية توجه الجهاز العضوي او جزءا منه في اتجاه محدد .. انها الحركة التي تعبر عنها اللغة اليونانية بفعل «**يدير**» وهي الحركة التي يقول عنها العالم اللغوي الفرنسي «**كونديياك**» انها تعني الاشياء التي لا أسماء لها، وتعني في الطب «**النبض**» او «**الخفقان**» .. ويرى «**لوب**» وتلاميذه ان الحيوانات والنباتات تصاب هي الأخرى بهذه «**الحالة**» من «**الانفعالات**» .. وكما





كانت رواية «**اوليس**» هي «مفتاح» أدب **جيمس جويس** كله، فان مفتاح أدب ساروت هو هذا العنوان الجديد الغريب «**انفعالات**» .. ولقد كانت «**الانفعالات**» هي بداية الطريق الصاعدة في أدب ساروت ولكنها ايضا مركز الاشعاع بالنسبة لانتاجها كله..

ولقد كانت «**الانفعالات**» نفسها بمثابة الفيلم «**النيجاتيف**» الذي ظهرت صوره المختلفة المتقاربة معا في رواياتها الأربع، الأمر الذي يجعل هذا العنوان «انفعالات» صالحا لها جميعا.

صورة مجهول

في «**صورة مجهول**» تتركز هذه الانفعالات على رجل يكتب او يفكر او يحلم او يتكلم عن شيء في سبيل التكوين مقطوع الصلة بالماضي، غير متلائم مع الحاضر، لم يحدد المستقبل ملامحه بعد .. حديث كشريط سينمائي لم يشهد المتفرج نصفه الأول فتعذرت عليه متابعة نصفه الآخر .. أما الرجل فيراقب خطيبته ووالدها ويدلي بمشاهداته واحدة بعد الاخرى.

مارتـــيرو

وفي «**مارتيرو**» يتحول الرقيب الى شاهد ايضا بينما هو أحد الشخصيات الرئيسية .. يقدم على شراء ضيعة من احدى الاسر فيصبح واحدا منها .. ولكنه يظل «مارتيرو» الرقيب والشاهد على ظروف مجتمعه.

الكوكب السيار

وفي «**الكوكب السيار**» تتصدى فتاة الأسرة المدللة لكل أقاربها من اجل تنفيذ رغبة غريبة دهمتها فجأة، هي تغيير الباب الذي يفصل بين حجرة الطعام والمطبخ .. ولا يجد الجميع أمام اصرار الفتاة الا الرضوخ.

الفاكهة الذهبية

وفي «**الفاكهة الذهبية**» علاقات متداخلة غير محددة المعالم، لكنها علاقات متعارضة في الغالب، فالشخص «أ» والشخص «ب» والشخص «ج» يتضامنون في مواجهة الشخص «هـ» .. والتعارض هو في حقيقته خلافات فكرية ولفظية بين هذا وهؤلاء.

عصر الشـك

أما «**عصر الشك**» فهو كتاب يضم اربعة فصول تتناول بالدراسة والتحليل فن الرواية من **دوستويفسكي** الى **كافكا** ثم من **كافكا** وحتى كتاب الرواية الجديدة..

لقاء مع :
ناتالي ساروت

وبعد ان عرفت «**ناتالي ساروت**» وترجمت لها «**انفعالات**» – التي ظهرت عام ١٩٧١ و «**عصر الشك**» – الذي لم يظهر بعد – وكتبت عنها ككبيرة لكتاب الرواية الجديدة، تعرفت عليها عندما قامت بزيارة لمصر .. قدمت لها الترجمة العربية للانفعالات ووعدتها بارسال ترجمة «**عصر الشك**» بمجرد صدورها .. وفي هذا اللقاء دار هذا الحوار:

سؤال : **هل ماتت «الرواية الجديدة» بمجرد صدورها .. حقا أم انها تموت؟!**

ساروت : بدليل اني ما زلت اكتب، وما زال كتاب «**الرواية الجديدة**» يكتبون روايات تنتمي الى هذا «**اللون**» .. لم تمت «**الرواية الجديدة**» ولن تموت .. أقول «**لون**» لاني أرفض اعتبارها «**موجة**» او «**تيار**» فالموجة تندفع ثم تنحسر والتيار يهب ثم ينكسر اما اللون فهو اضافة .. صحيح ان الالوان ثابتة ومعروفة منذ الأزل ولكن تركيبة اللون استحداث متجدد دائما يعرفه الفنانون التشكيليون جيدا .. وأقول انها لن تموت لان الاضافة الحقيقية والأصيلة تصبح ملكا للتاريخ قد تستمر بنفس القوة والتدفق والاندفاع وقد تتثاءب وتتقاعس وتفتر وقد تكف تماما عن العطاء ولانها لا تتسبب في القضاء على لون سابق او اضافة سابقة فان اي لون جديد او اضافة جديدة لا يمكن بالتالي ان تتسبب في القضاء عليها والدليل استمرار صدور الألوان الأخرى «**من الواقعية**» و «**الرومانسية**» حتى «**السيكولوجية**».

سؤال : **يقول آلان بوسكيه «ان تسمية الرواية الجديدة لم تكن في أذهان كتابها، وانما أطلقت بالصدفة ثم شاعت وانتشرت» .. فهل هذا صحيح؟**

ساروت : صحيح .. **فسارتر** نفسه الذي كتب مقدمة روايتي «**صورة مجهول**» اسماها «**لا رواية**» وقال «**مالرو**» انها «**رواية مضادة**» أو «**ضد الرواية**» .. وصحيح ايضا لان الرواية الجديدة تنقسم الى مدرستين غير متفقتين وان كانتا غير متصارعتين .. الأولى تسمى مدرسة «**النظرة**» وهي تجعل من الشيء لا من الانسان موضوعا لها فتحاول وصفه بالطريقة الطبيعية المباشرة، ورواد هذه المدرسة **روب – جريبه وميشيل بيتور ومارجريت دورا** يتخذون من «**فلوبير**» قاسما مشتركا يفيدون منه في اقامة مدرستهم «**الطبيعية الجديدة**» .. أما المدرسة الثانية وتسمى الباطنية فتتخذ من المونولوج الداخلي الذي يصف الشيء ايضا، محورا تدير عليه اعمالها وطابعا تتسم به دون غيرها .. يمثل هذا الاتجاه «**بيكيت**» الذي يتخذ من «**جويس**» مثلا اعلى له، وانا التي ترى في «**بروست**» مثلا اعلى .. وعموما فان «الرواية الجديدة» تعد تعبيرا حضاريا عن حالة حضارية، تعبير لا معقول ولا منطقي عن حالة الغربة والضياع واللاجدوى التي يعيشها انسان ما بعد الحرب العالمية الثانية .. **ويخطئ من يرى او يقرر ان هذه «الحالة» قد انتهت وبناء عليه ينبغي ان تكف «الرواية الجديدة» عن التعبير عن حالة غير قائمة او لم تعد قائمة.**

سؤال : **يقول آلان روب–جريبه «ان القراء والنقاد قد ضلوا الطريق عندما انتظروا من الرواية الجديدة ان تمنحهم ما وجدوه من قبل في الرواية التقليدية .. فالموضوع «المحبوك» الذي له بداية ووسط ونهاية ثم عقدة تتكون وتنفرج ثم شخصيات واضحة المعالم تكاد تكون انماطا وأخيرا وصف الطبيعية والأشياء وتحليل النفسيات .. كل هذه العناصر التي تقوم عليها «الرواية» المتفق عليها لا يجدها القارئ او الناقد في «الرواية الجديدة» ولذلك فهو اما ان يرفضها تماما بل ويهاجمها، واما ان يحاول تقبلها على اساس يصلح لها .. ان كل جديد لا يفهم في البداية وربما يضطهد ولكنه يفرض نفسه بعد ذلك ويستقر .. فما رأيك في هذا القول؟**

ساروت : يقول آلان روب–جريبه أيضا «**ان مفتاح الرواية الجديدة هو الشخصية نفسها، تلك الشخصية**



التي ليس لها ماض ولا اعماق ولكنها شيْ في سبيل الاكتشاف لا يتكون الا في رأس القارئ الذي يحياه، بوصفه الشخصية الوحيدة الحيّة في الكتاب ..»

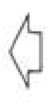
وانا اقول ان ما يميز «**الرواية الجديدة**» ليس هو طموح التقليديين وقدرتهم على الخيال ولكنه الرفض الذي يواجه الواقع في عصرنا الحاضر، عصر الشك ولهذا لم تعد الرواية وصفا للكائنات كما عند جويس وبروست وكافكا وانما اصبحت تساؤلا عن حقيقة هذه الكائنات.

سؤال: **هل ترين انه لزاما على الأدب والفن ان يكونا ملتزمين بقضايا العصر .. وهل الالتزام معناه ان يظل الانسان على موقعه حتى وان ادرك فيما بعد انه لم يكن محقا تماما؟**

ساروت: أنا شخصيا ارى ان الادب أو الفن مهمته التجديد والتجدد بصفة مستمرة وبصرف النظر عن الاهتمام بمغزى او بحكمة او بأي شيْ آخر .. هذا على الرغم من عدم خلو «**الرواية الجديدة**» من مثل هذه الأهداف المحددة والغايات الجزئية .. فكل شيْ قد قيل كما قال الفيلسوف الفرنسي **لابروبير**، وقد جئنا متأخرين جدا .. اما الموقف فلا يصبح موقفا اذا تجمد. في الوقت الذي يحتاج فيه الى تجدد، ذلك ان الموقف قد اتخذ اساسا بناء على ظروف معينة فاذا تغيرت هذه الظروف او تكشفت حقائق كانت خافية حولها فإن الموقف لابد ان يتغير او يختلف وربما تناقض ايضا تبعا لتغير واختلاف وتناقض تلك الظروف المعينة .. ولذلك فأنا ضد القائلين بأن «**الرواية الجديدة**» ظهرت نتيجة لظروف معينة فحسب، والا كان علينا ان نهجرها، انما «**الرواية الجديدة**» قد أصبحت بعد ذلك «**اسلوبا**» والكاتب أو الفنان عبارة عن «**اسلوب**» .. والدليل انني لا زلت اكتب ولا زال الكثيرون غيري يكتبون ما اصطلحنا جميعا على تسميته بالرواية الجديدة التي لم تعد جديدة في رأيي..

سؤال: **ولماذا لم تعد الرواية الجديدة جديدة؟**

ساروت: لانها قطعت شوطا كبيرا في سبيل التطور، فلم تقف عند مرحلة ولم تسجن في شكل واحد ولم تتجمد على رؤية ثابتة .. فالروايات الأخيرة تختلف تماما عن الروايات الأولى وروايات الكاتب الواحد تختلف فيما بينها حتى يخيل للقارئ، ان الكاتب قد اصبح اكثر من كاتب .. فقد اعتمدت الرواية الجديدة في تطورها على المدركات الحسية والبصرية والسمعية جميعا .. ففي الكلمة ايقاع وفي الصفحة كتلة وفراغ وفي الكتاب رؤية بانورامية مصورة .. وهذا ما جعل من الرواية «**رواية سينمائية**» خلقت ما يمكن تسميته بالسينما الروائية كما رأينا في روايات **روب جرييه ومارجريت دورا** .. فروب جرييه الذي لم يكن يهتم بالأشياء في ذاتها اهتمامه بحركة هذه الاشياء وبتصويرها وهي تتكون اي قبل ان يتم تكوينها، اصبح لا يهتم بحركة الأشياء بمقدار ما يهتم بحركة حركتها، ان صح هذا التعبير اعني بحركية الخيال لا بالخيال نفسه .. فروب–جرييه يرى ان ما يميز الانسان عن الحيوان هو الخيال، فالانسان يتخيل حياته ويتخيل العالم الذي يعيش فيه، ولأن الانسان الواحد قد اصبح له اكثر من وجه وأكثر من حقيقة وأكثر من شخصية استحالت الحبكة الروائية التي تصور الانسان ذي الشخصية المحددة المعالم والملامح والأفكار، أما **مارجريت دورا** فتسعى الى اكتشاف الاشياء الخفية ولا تعتمد على اللغة وحدها في تفصيل المعاني والافكار فهناك الفقرات وهناك الاشارات وهناك الصمت.





سؤال : **ان الأدب متأخر بدرجة كبيرة عن الفن وبدرجة هائلة عن العلم، فالعصر الذي نعيشه الآن هو عصر العلم، الشئ الذي لم يحدث عبر التاريخ فالأدب كان يقوم دائما بالدور الريادي بالنسبة لفروع المعرفة الأخرى، وكان الأديب دائما سابقا لعصره – فكيف يمكن للأديب ان يستعيد مكانته الريادية او كيف يتسنى له ان يواكب التطور التكنولوجي على اقل تقدير؟**

ساروت : الأدب متأخر، هذا صحيح، ولكن هناك اسباب كثيرة اولها تعدد وسائل الاعلام والتثقيف وانتشارها عما مضى، فالإذاعة ثم التليفزيون، والسينما ثم المجلات المصورة قد شغلت القارئ عن القراءة فقلت نسبة التوزيع وبالتالي قل انتاج الكتاب .. كذلك ظهرت وسائل المواصلات السريعة والمريحة التي أغرت القارئ بالانتقال والتنقل سواء داخل المدينة أو داخل وطنه أو في جولة حول أجزاء من العالم. واعني بذلك السياحة التي تستهدف المشاهدة الثقافية ايضا .. اضف الى هذا هموم العصر والمشاغل والمشاكل اليومية والارهاق وسباق الزمن. كلها اشياء لا تدع الفرصة للقارئ ولا تهيئ له الجو الملائم .. ومن هنا اصبح انسان العصر غير مطلع كما اصبح كاتب العصر غير مبدع ! !

اما كيف يمكن للأديب ان يستعيد مكانته فذلك امر مرهون بظروف العصر، وان كنا لا نستطيع ان نوقف التطور العملي الرهيب الذي وصل به الانسان الى سطح القمر وفي طريقه الآن الى مجاهل المريخ ومن يدري!

سؤال : **والحال كذلك هل ينبغي علينا في عالمنا الثالث، ان نمرحل الأدب، بمعنى الا ننتقل الى الواقعية الجديدة مثلا طالما اننا لم نستوعب الواقعية القديمة .. أم انه من الممكن الانتقال من الواقعية الى الواقعية الشاعرية دون المرور بالواقعية الجديدة .. وبمعنى آخر هل لنا ان نلحق بالتيارات الجديدة كالرواية الجديدة دون الالتزام بتطبيق التجارب السابقة؟**

ساروت : ان ظهور لون جديد في الأدب لا يلغي الألوان السابقة عليه واستمرارها بنفس القوة وبنفس درجة الانتشار والتأثير .. فالرواية الجديدة مثلا لا تقف وحدها في ساحة الأدب الفرنسي او العالمي. صحيح انها تمثل التيار الأقوى ولكن تيارات كثيرة اخرى تنتشر. كالرواية العاطفية والرواية البوليسية والرواية السيكولوجية وغيرها .. وعلى هذا فإن مرحلة الأدب بشكل عام وجماعي امر غريب حقا. وفي الوقت نفسه فان الفكر المفتوح على كل التجارب امر مطلوب وضروري مسايرة لروح العصر ومعايشة لظروفه .. فالعلم اصبح نتيجة لتقدم المواصلات قارة واحدة، ما يحدث في مكان ما بأقصى الكرة الأرضية يعرف في نفس اللحظة في كل الأماكن الأخرى على استدارة الكرة الأرضية بل وعلى سطح القمر أيضا .. **أليس كذلك؟**

جواب : حقـا ! ..

سؤال : ما هو دور الناقد بالنسبة للعمل الأدبي أو الفني .. هل مهمته ان يشرح ام يوجد .. اعني هل الناقد هو الذي يوجد الأديب ام الأديب هو الذي يوجد الناقد؟

ساروت : لا أعتقد ان ايا منهما يوجد الآخر .. فاذا طرحنا السؤال بطريقة أخرى – كثيرا ما كان يوجه اليّ بها – **وهو ايهما اسبق من الآخر الأديب ام الناقد.** قلت – كما قلت من قبل – ان ذلك



الافتراض شأنه شأن المثل الشعبي السائد «**ايهما أسبق الى الوجود، البيضة أم الدجاجة**» فالنقد له وظيفتان، وظيفة تنظيرية تسبق العمل الأدبي ووظيفة تطبيقية تلحق بالعمل الأدبي، وكذلك الأدب، فهناك ادب ينشأ كتطبيق لنظرية نقدية وأدب يدعو لظهور نظرية نقدية..

هذا عن الشطر الأخير من السؤال، اما عن الشطر الأول فاني ارى ان النقد يشرح اساسا ومن خلال هذا الشرح يقيم العمل وكاتبه ثم ينبئ بمستقبل هذا العمل وذلك الكاتب .. ان الناقد لابد وان يكون مستقبلي النظرة، يرى ما لا يراه الآخرون حتى الكاتب نفسه .. [illegible] ذلك قال «**يونسكو**» هذه العبارة الشهيرة له «**من السهل ان أجد مئات الكتاب الممتازين ولكن من الصعب ان أعثر على ناقد ممتاز واحد**» .. وقال **بودلير** «**لو لم أكن شاعرا لتمنيت ان أكون ناقداً**» ولهذا حاول ان يكتب نقدا فنيا – أعني تشكيليا – ونجح دون ان يتميز .. وقال **مالرو** «**لو أردتم ان تقيموا لي تمثالا، ارجو ان تقيموني به كناقد وليس كأديب او سياسي.**»

سؤال: يقول الناقد الكبير **جايتون بيكون** «**ان ساروت اكثر من بيكيت إحساسا بالإنسان وأميل منه الى اتخاذ الديالوج أداة للتعبير، وأكثر منه بعدا عن التحليل واشد قربا من الحياة**» فما رأيك؟

ساروت: هذا رأيه .. وأعتقد انه يريد ان يقول «**المونولوج**» بدلا من «**الديالوج**» ويريد ان يقول «**اكثر اقترابا من التحليل**» وليس «**اكثر بعدا عن التحليل**»..

تعليق: هذا رأيك..

سؤال: يقول الناقد المعروف **بيير دو بوادوفر** «لم اتخلف عن التحمس للرواية الجديدة، ولكن عندما ضلت طريقها تاركة الانسان وحياته الواقعية بل والحالمة ايضا، اختلفت مع كتابها وأعلنت رأيي صراحة في كتابي «**الى أين تتجه الرواية**» الذي صدر عام ١٩٦٢..» فما رأيك؟

ساروت: هذا رأيه .. وقد أعلنه فعلا في كتابه المذكور ولكن ما فاته – وكما قلت من قبل في حديثنا هذا – ان الرواية الجديدة لم تهمل الانسان وحياته اليومية والعامة فرواية «**العراف**» **لروب–جرييه** تعد رواية أخلاقية، ورواية «**التغيير**» **لميشيل بوتور** تعد رواية اجتماعية، ألم تنطق احدى شخصيات بيكيت هذه العبارة «**ثمة نور في السماء، هذا النور هو الأمل في ان يرى الانسان، الله**» اليست هذه بسمة من بسمات الرواية الدينية التي قد لا نجد لها مثيلا عند «**فرنسوا مورياك**» نفسه؟! ان الرواية الجديدة لا تدعو الى انكار الأخلاق ولا الى التنكر للقيم الأخلاقية، ولا داعي لذكر أمثلة من رواياتي، في هذا المجال .. فلن تجد فيها مثلا انحلال **الماركيز دي سار** ولا عدمية **دوستويفسكي**، ولا شذوذ **أندريه جيد**..

وقد رد «**كلود مورياك**» احد كتاب الرواية الجديدة البارزين على هذه الاذاعات بقوله «**ان القيمة الأخلاقية كامنة في الرواية الجديدة وان كانت مختفية وغير ظاهرة، لان الانسان لا يمكن ان ينفصل عن واقعه وبالتالي عن القيم الأخلاقية التي تحكمه وتحكم مجتمعه وعصره..**»

سؤال: يقول «**بيير–هنري سيمون**» الناقد الأدبي لجريدة «**الموند**» المسائية «من اعتاد وصف بلزاك الدقيق وتحليل ستندال العميق ومن عانى من قراءة بروست السيكولوجي وبرناتو الفيولوجي ومارو الايديولوجي، لا يمكن ان يرضى بكتاب الرواية الجديدة .. هؤلاء الذين تعمدوا ان يقدموا له زادا فكريا عسير الهضم اعتقادا منهم

لقاء مع :
ناتالي ساروت



ان العمق هو التجديد، بينما قراءاته الأولى كانت قد دعته الى نظرة انسانية شاملة..» فما رأيك؟

ساروت : هذا رأيه ولكن يكفي انه رغم هجومه الواضح على الرواية الجديدة، قد اعترف بانها تقدم «**زادا فكريا**» حتى ولو كان، كما يقول، «**عسير الهضم**»..

سؤال : ويقول واحد من قراء الرواية الجديدة «ان اهم ما يميز الرواية الجديدة، انها مباشرة، فهي تضع الانسان في موقف ولا تحرك فيه بعد ذلك غرائزه النفسية أو دائرته الاجتماعية او علاقاته الوراثية وبهذا يصبح ابن لحظته .. والقارئ يفاجأ في الرواية الجديدة بشكلها غير العادي، وتعقيداتها الفكرية وغرابتها غير المألوفة وفلسفتها العميقة، فاذا استطاع ان يقف على هذه الاسرار تكشف له كل شيء وأدرك كل شيء لان الرواية الجديدة تتطلب الإدراك وترفض الفهم .. والموقف الذي يوجد فيه الانسان لا يلقى من الكاتب تفسيرا او تحليلا .. **فعلى القارئ بعد ان يقرأ احدى الروايات الجديدة ان يستنتج ابعاد الموقف والشخصية، فاذا نجح كان قارئا جيدا، كتبت الرواية الجديدة من أجله» فما رأيك؟**

ساروت : هذا قارئ جيد ورأيه سليم وعظيم، ولعلك تلاحظ مثلي ان النقاد الذين ذكرت آراءهم – في حديثنا هذا – سواء منهم من ناصر الرواية الجديدة او هاجمها لم يرتفعوا جميعا الى مستوى هذا الرأي وقدرته على التحليل .. دعني أشك في ان هذا الرأي هو رأي واحد من قراء الرواية الجديدة!

تعليق : هو فعلا قارئة وليس قارئا .. اسمها «**دولارميس جاي**» وهي طالبة سويسرية التقطت رأيها هذا من تحقيق عن «**الرواية الجديدة**» نشرته جريدة «**الليتر فرانسيز**» الاسبوعية قبل ان تكف عن الصدور منذ سنوات، كما تعلمين .. والآن:

سؤال : ما هي الرواية التي تفضلين ترجمتها الى لغتنا العربية من بين رواياتك الست؟

ساروت : اعتقد ان «**الكوكب السيار**» هي أصلح رواياتي للترجمة، من ناحية لانها تتميز عن غيرها بسهولة اللغة كما انها تناقش العلاقة بين الآباء والأبناء من خلال فكرة صراع الاجيال .. ومن ناحية اخرى فان فيها روح الدعابة والمرح..

انتهى الحوار وعادت «ناتالي ساروت» الى باريس لتواصل رحلتها في دعم حركة الرواية الجديدة تأليفا وتشجيعا .. ودفاعا.

أخبارهم



الأدب يصلح ما تفسده الايام

حدث ان قطع سيد يدعى (**لورد بيتر**) خصلة من شعر السيدة (**إيزابيلا فيرجون**) الجميلة كان من نتائجه توتر العلاقة بين العائلتين .. وكانت من قبل ودية للغاية .. كما أدى الى قطع الصلات.

وصادف ان كلا من العائلتين كان صديقا للمستر (**كاريل**) فساءه ما حدث بين الأصدقاء، فحث الشاعر (**الكسندر بوب**) على القيام بدور المصلح وذلك بتأليف مقطوعات شعرية تخفف من حدة الخلاف بين العائلتين .. فكتب بوب المقطوعات الشعرية وأرسلها الى السيدة إيزابيلا بصفتها الإنسان الذي أسيْ اليه .. فأبدت إعجابها الشديد بهذه الأشعار .. وبسببها عادت العلاقة بين العائلتين الى ما كانت عليه.

كانت المقطوعات الشعرية عبارة عن انشودة أسماها الشاعر (**اغتصاب خصلة الشعر**).



يلحن .. في كلمة واحدة

تولى يزيد بن المهلب – كما تذكر المصادر التاريخية – حكم خراسان وهو في الثلاثين من عمره في عام ٨٣هـ بعد وفاة ابيه المهلب. وروي عنه انه كان فصيحا حتى انهم لم يعثروا له الا على كلمة واحدة لحن فيها. قال المبرد في كامله «ان يزيداً لم تؤخذ عليه زلة في لفظ الا واحدة، فانه قال على المنبر: هذه الضبعة العرجاء وكان يعني عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب وكان عاملا على العراق ليزيد بن عبد الملك» – وقد عدت عليه لحنا لان الانثى من الضباع انما يقال لها الضبع، ويقال للذكر الضبعان فاذا جمع قيل ضبعان..

صناعة الوشي .. في اليمن



كانت اليمن احدى بلاد العالم الاسلامي التي كانت تفاخر بصناعتها لأجود أنواع الوشي المعروفة في بعض العصور الغابرة حتى ان الخلفاء وعلية القوم من الناس كانوا يحرصون على ان يكون لباسهم منه .. فقد روى المسعودي عن ابهة سليمان بن عبد الملك قال: (وكان يلبس الثياب الرقاق، وثياب الوشي، وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن .. ولبس الناس جميعا الوشي جلبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس).



بلاد لبس فيها الرجال أقراط الذهب

العادة في بيئتها لا تثير غرابة .. والعادة في مواطنها لا بتعث على اية دهشة مها كانت غرابة هذه العادة فيما تبعثه من النفور او السخرية او مجرد الاستخفاف لدى امم اخرى..

والعادة تمارس في ارضها دون اي التفات لأنها مألوفة غير غريبة ولان العيون – نعني عيون اصحابها – الفتها واعتادت عليها..

فلو وقع نظرنا الآن على رجل يضع في اذنيه قرطا كما يضع النساء لحملناه على محمل الشذوذ الغريب، ولكن ذلك كان شيئا مألوفا عند القرويين من اهل جزيرة مالطة في منتصف القرن التاسع عشر..

فقد زار العالم الاديب الرحالة احمد فارس الشدياق هذه الجزيرة وشاهد من احوالها وعادات وطبائع اهلها ما سجله في كتابه الطريف (الواسطة في معرفة احوال مالطة) وتغلغل في اعماق الحياة هناك .. وخالط الوانا من الخلق، وامتحن كثيرا من الناس، ولكنه لم يحتج الى مجهود كبير ليتغلغل في ريف هذه الجزيرة فيرى الرجال من اهل القرى ينقبون آذانهم ويتقرطون بأقراط الذهب .. ولعل تقرط القرويين من اهل مالطة بأقارط الذهب – راجع الى عادة اقتصادية نشأت فيهم، فهم يحبون الذهب كثيرا ويجمعونه على أية صورة من الصور، فارادوا ان يجعلوا من التزين به وسيلة الى جمعه.



المخترع اديسون .. يطرد من عمله

كثرة هم الذين يعرفون المخترع (اديسون) .. بما حظي به من شهرة واسعة .. لكن قلة .. إن لم يكن ندرة الذين يعرفون انه طرد من عمله مرتين .. وقد كان السبب هو ولعه الشديد باكتشاف الجديد .. أو البحث عن الجديد.

كانت المرة الأولى التي طرد فيها حين كان عاملاً للتلغراف .. إذ استرعى اهتمامه الآلة نفسها .. وقد تملكته فكرة محاولة تحسينها .. وسيطرت عليه الفكرة الى حد كان يشرد فيه بخياله مفكرًا في وسائل التحسين، فينسى تسلم برقيته أو تسليمها .. فكانت النتيجة انه طرد من عمله.

وكانت المرة الثانية حينما التحق بوظيفة في مكتب مقاول صغير، إذ لاحظ كثرة الجرذان والصراصير في المكتب، فشغل بالتفكير في طريقة لإبادتها .. ووفق في التوصل إلى ذلك .. لكن هذا لم يشفع له عند صاحب العمل الذي طرده لإهماله.

وعن هذه القضية يقول اديسون «لقد آلمني الطرد في كلتا الحالتين» لكنه يستطرد مفاخرا بقوله «ولكن .. لو لم أطرد ما ذاع اسم اديسون .. ولانقضت حياتي حافلة بدون انتاج».





التعليم .. قديما

للعلم ادابه .. ولرجاله حرص شديد على تلقينّ (الطلاب) ممن يتلقون مبادئ العلوم والمعرفة على ايديهم هذه الآداب السامية.

ويبدو ان حلقات الدرس قديما التي كانت المساجد مراكزها .. هي التي حملت لواء غرس هذه الأداب منذ الأزمنة القديمة .. ولقد نقل الرحالة **ابن بطوطة** لنا بعض ملامح حلقات الدرس .. ومجالس التعليم في المساجد، فقد كان المدرس يجلس على كرسي مرتفع ليقرأ الكتب على الحاضرين على حين ينتحي معلمو الصبيان جانبا من جوانب المسجد يلقنون الصغار القراءة ومعهمْ معلمو الخط كذلك .. ولاحظ **ابن بطوطة** ان معلم الخط غير معلم القرآن. وان الاخير يعلم الصبيان قراءة القرآن دون كتابته في (الواح) تنزيها لكتاب الله، على حين يتولى معلم الخط تدريس الكتابة للصغار عن طريق كتابة الأشعار وما سواها.

تسمية الشوارع تقليد قديم

على ما يبدو ان تسمية الشوارع على الطريقة المعروفة الآن، وذلك باطلاق اسماء المشاهير والأعلام عليها شئ ليس من مستحدثات هذا العصر، ذلك ان الأقدمين لم يفتْهم هذا المظهر من مظاهر المدنية، واطلقوا اسماء مشاهير رجالهم على الشوارع، وكتب التاريخ مليئة بمثل هذه الاخبار التي يذكر فيها كيف تطلق اسماء المشاهير على الشوارع.

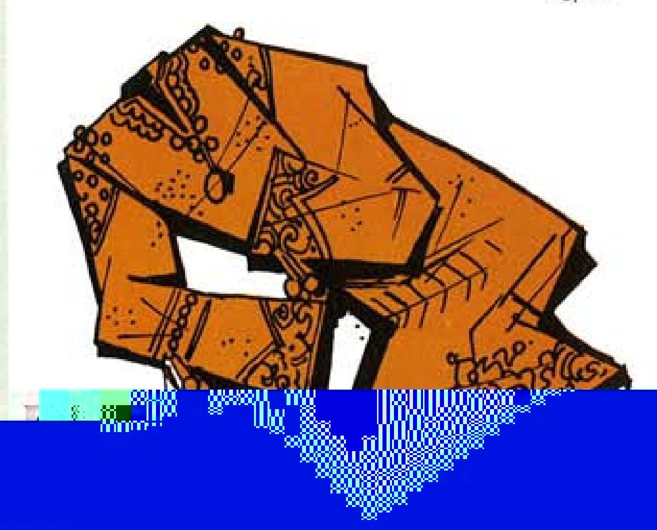
جاء في (**تاريخ بغداد**) **للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب** المتوفي عام ٤٦٣ ما يلي: (حدثني التنوخي قال: مات **المرزباني** في ليلة الجمعة لليلتين خلتا من شوال سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وصلى عليه **ابو بكر الخوارزمي** الفقيه، وحضرت

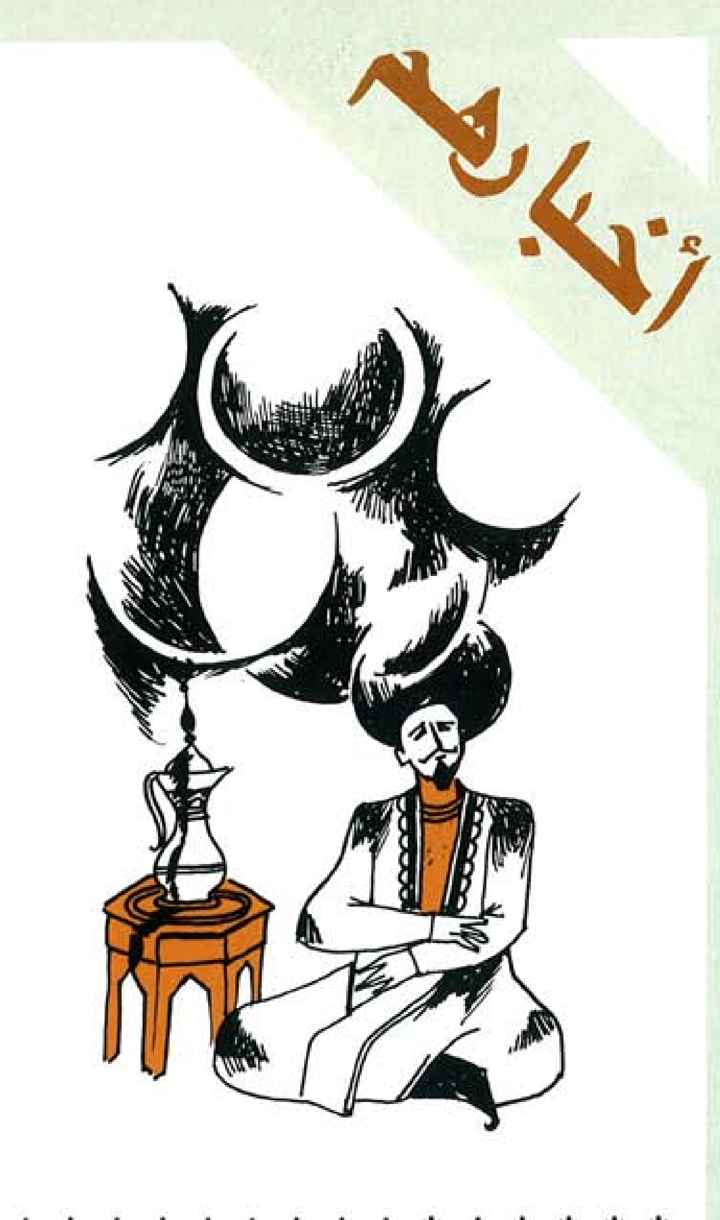
زواج .. يكلف عشرات الآلاف

عرفت بغداد الافراح والولائم الأسطورية في بعض عهود الدولة العباسية، ويقال انه لم يكن أروع من يوم زفاف **هرون الرشيد** الى **زبيدة** فقد كان احتفالا كبيرا، انفق عليه خمسين الف درهم.

فقد أقام **المهدي** والد هرون الرشيد حفل الزفاف في (**قصر الخلد**) على ضفاف دجلة، وهذا ما حفظته كتب الادب والتاريخ – ثم انه دعا الناس قبل شهور من جميع الآفاق فاقبلوا مسرعين يمنون انفسهم بنوال كثير ومقام طيب فاضافهم المهدي، وأتى بالالات المختلفات اتى بالآنية المصنوعة من الذهب والفضة، وبالفرش والبسط الأرمنية الفاخرة، هذه البسط التي قال عنها (**ماركوبولو**) «لم ترعيني أجمل ولا أجود منها»، واتى ايضا بالثياب المطرزات بالذهب وبالطيب المختلف الالوان والضروب».

فما كانت ليلة الزف البست زبيدة (**العروس**) قميصا كله من الدر الكبار مم لم ير مثله، ولم يقف احد من (**المقومين**) على قيمته لنفاسته، والبسها بدنة امرأة **هشام بن عبد الملك**، والبدنة ثوب من الذهب كله، لا يدخل فيه من الغزل سوى أوقيتين نسيج سائرة بالذهب، وزينها الحلي حتى لم تقدر على المشي لكثرة ما عليها من الجواهر، ويقول (متز): «**ان هذا شئ لم يسبق اليه اكاسرة الفرس ولا قياصرة الروم ولا ملوك الغرب**» وجاء نساء بني هاشم فكان يدفع لكل واحدة منهن ثوب وشي، وكيسا فيه دنانير ودراهم وانية ملأى بالفضة، وكان الخدم يملئون اواني الذهب بالدراهم واواني الفضة بالدنانير ثم يدفعون ذلك الى وجوه الناس ويردفونه بنوافج المسك وقطع العنبر.





أشرف المناديل

• • • • •

عبد الملك بن مروان – أحد خلفاء بني امية الذي عرف عنه عنايته باللغة العربية وآدابها واهتمامه بإحياء ما كان يندرس من تراثها، كما عرف بالرأي السديد، والعقل الحصيف، والتدبير الحكيم، والقدرة على تصريف الامور، والتبصر باللغة والأدب التي قل ان تجتمع لمثله ..

عرف الكثيرون له ذلك، وقال عنه **الشعبي**: **(ما جالست أحداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه، ولا شعرا الا زادني فيه ذلك كان شأنه ومبلغ علمه)**.

سأله مرة احد جلسائه **(أي المناديل أشرف؟ فقال أحدهم: هي مناديل مصر كأنها أوراق الفل، وقال آخر: مناديل اليمن كأنها نور الربيع)**. ويبتعد المجيبون بتشرقهم وتغربهم في ردودهم ويتلمسون اخيرا الجواب عند عبد الملك بن مروان، فقال لهم: **(اعراف الخيل العتاة نزل عنها فرسانها للطعام والقرى ثم اعجلهم القتال فامتطوها مسرعين ولم يكن ما يمسحون فيه أيديهم الا شعرها المتهدل على اعناقها)** ولذلك: انها هي مناديل أخي **بني سعد بن الطيب** التي قال فيها:

لما نزلنا نصبنا ظل أخبيه ... وفار للقوم باللحم المراجيل
وردوا شقر ما يونيه طانجه ... ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثم قمنا الى جرد مسومة ... أعرافهن لايدينا مناديل

* *

كلام الليل يمحوه النهار

• • • • • • • • • •

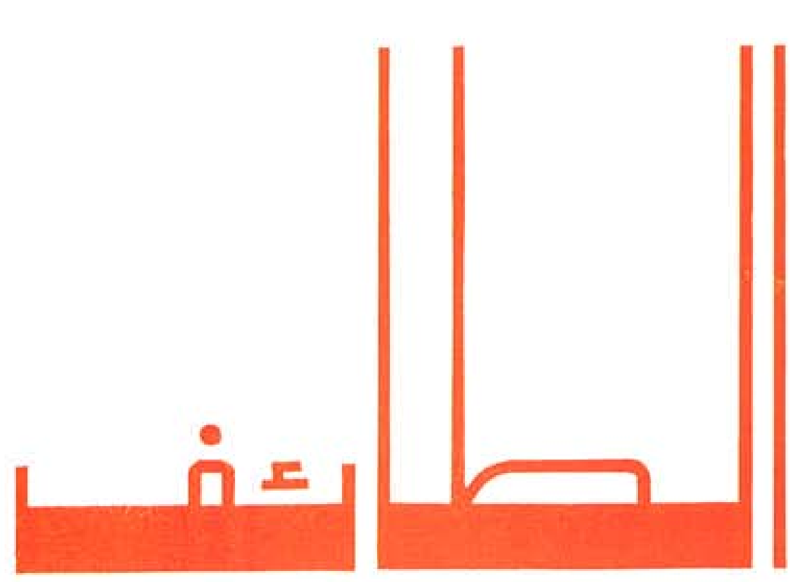
حين يخلف أحدنا وعده يقول **(كلام الليل يمحوه النهار)** وقد حفظت كتب الادب اصل هذا القول، فاول من قال ذلك **جارية محمد الأمين بن زبيدة**، فقد ورد في كتاب **العقد الفريد** عن ابي جعفر انه قال: بينا محمد بن زبيدة الأمين يطوف في قصر له، اذ مر بجارية من جواريه وعليها كساء تسحب أذياله فغازلها فقالت: **يا أمير المؤمنين أنا على ما ترى ولكن الى غد إنشاءالله**. فلما كان الغد قالت له **(اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار)**، فضحك وخرج الى مجلسه ثم دخل عليه الشعراء **أبو نواس ومصعب والرقاشي** في موعدهم فقال لهم ليقل الآن كل واحد منكم شعرا يكون آخر شطر منه **(كلام الليل يمحوه النهار)** فقال **الرقاشي**:

متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما ... فتاة لا تزور ولا تزار..
اذا استنجزت منها الوعد قالت ... (كلام الليل يمحوه النهار)

وقال **مصعب**:

اتعذلني وقلبي مستطار ... كئيب لا يقر له قرار
فقلت لها عديني منك وعدا ... فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت ... (كلام الليل يمحوه النهار)





الطائف

رافد من روافد الثقافة العربية والإسلامية

بقلم :
د. بهجت كامل التكريتي

من البديهي ان مدن الجزيرة العربية أبدت نوعاً من الاستعداد لتقبل التغير الذي حدث في المنطقة على اثر انتشار الاسلام في الحجاز والاحياء المجاورة. وبالرغم من أن أغنياء الطائف عارضوا التغيير في البداية لكنهم عادوا وقبلوا به واندفعوا في سبيل نشر الدين الاسلامي والسيادة العربية على اقاليم خارج الجزيرة العربية..

ومن هنا يمكن القول ان المدن الاسلامية لعبت دوراً في نمو وتطور الحضارة العربية الاسلامية بما كان لديها من علوم قبل الاسلام وما حصلت عليه من جديد تحت ظل الاسلام. ومدينة الطائف هي احدى تلك المدن التي أعتبرت رافداً من روافد الفكر والثقافة العربية التي تميز بها سكانها وخصوصاً «ثقيف». فقد أظهر العديد من رجالها مقدرة في العلم والادارة والحرب.

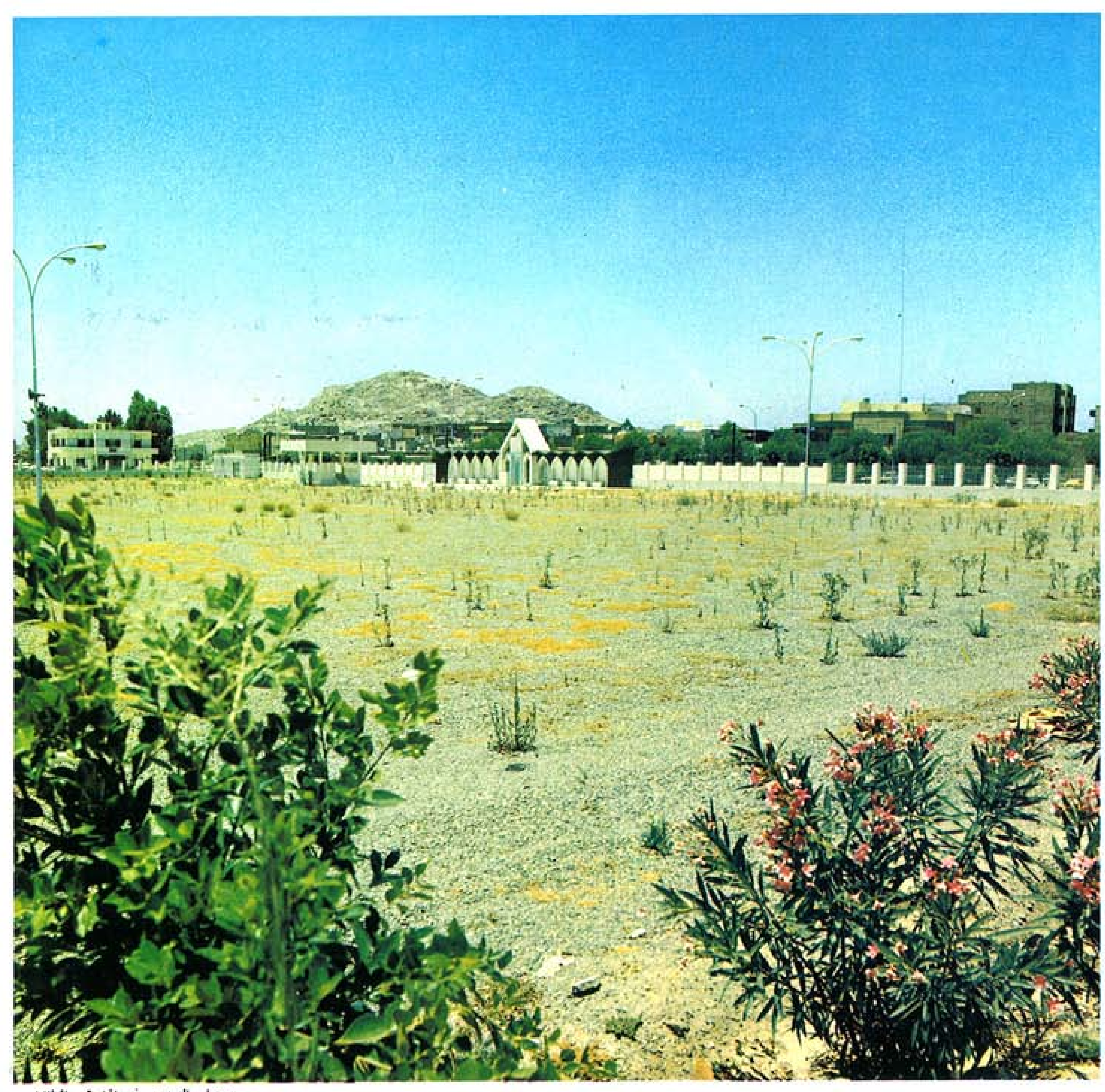


وادي ليه

وبالرغم من كل هذا فان نصيب هذه المدينة من الدراسة لم يكن يتفق مع حجم الخدمات التي قدمتها لمكة بصورة خاصة وللامبراطورية الاسلامية عامةً. ولم تحظ بعد بما تستحقه من عناية من لدن الباحثين المحدثين، ففيما عدا النزر اليسير مما كتب عنها فهي لا تزال بحاجة الى المزيد من الدراسات العلمية الموضوعية التي تكشف الغموض عن نواحي هذه المدينة.

ولعل السبب في كل هذا يرجع الى قلة المادة التاريخية بشكل عام حيث ركزت مصادرنا الأولية على مركز الخلافة دون الاهتمام بالاطراف او الاقاليم البعيدة.

وقد قامت هذه المحاولة بدراسة مدينة الطائف معتمدة على معلومات الجغرافيين العرب والمسلمين لأن مادة هؤلاء تضيف الشيء الكثير وتتسم بنوع من الاصالة بشكل عام. وقد اتخذت هذه الدراسة منهجاً يتميز بمقارنة معلومات الجغرافيين العرب بعضها مع البعض الآخر لكي تتمكن من اعطاء صورة واضحة للعناوين التي اختارتها. ويجب الا يغيب عن ذهن القارىء بان هذه الدراسة قد اغفلت نهائياً المعلومات التي



مصلى العيدين في المشرق بالطائف

توفرت لديها من الكتابات التاريخية فقد استطاعت ان تستعين ببعض المعلومات التي دونها البعض ممن أنتسب الى هذه المدينة او اقام بها والتي لا زالت مخطوطة.

اسم الطائف

الطائف بعد الألف همزة في صورة الياء ثم فاء قال ابو منصور الطائف العاتس بالليل واما الطائف التي بالغور فسميت طائفا بحايطها المبني حولها المحدق بها. والطايف والطيف في قوله تعالى «اذا مسهم طائف من الشيطان» ما كان كالخيال. وقوله تعالى «فطاف عليها طائف من ربك» لا يكون الطائف الا ليلاً ولا يكون نهاراً. وقيل في قول أبي طالب عبد المطلب نحن بنينا طايفاً حصيناً «قالوا يعني الطايف التي بالغور من القرى».

وقال البغدادي في مراصده ان الطائف كانت قديماً تسمى «وَجّ»، وسميت الطائف لما أطيف عليها الحائط. وقد اختلفت



مسجد الهادي

الروايات التاريخية في سبب بناء هذا الحائط ونحن نميل الى تصديق احدى روايات ياقوت التي نقلها عن بعض النساب والتي تذكر «... لما هلك عامر بن الظرب ورثته ابنتاه زينب وعمرة وكان قس بن منبه خطب اليه فزوجه ابنته زينب فولدت له جشماً وعوفاً، ثم ماتت بعد موت عامر فتزوج اختها وكانت قبله عند صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن فولدت له عامر بن صعصعة فلما كثر الحيان قالت ثقيف لبني عامر انكم اخترتم العمد على المدن والوبر على الشجر فلستم تعرفون ما نعرف ولا تلطفون ما نلطف ونحن ندعوكم الى حظ كبير لكم ما في ايديكم من الماشية والابل والذي في ايدينا من هذه الحدائق فلكم نصف ثمره فتكونوا بادين حاضرين يأتيكم ريف القرى ولم تتكلفوا مؤنة وتقيمون في اموالكم وماشيتكم في بدوكم ولا تتعرضوا للوباء وتشتغلوا عن المراعي ففعلوا ذلك فكانوا يأتونهم كل عام فيأخذون نصف غلاتهم، وقيل ان الذي وافقوهم عليه كان الربع، فلما اشتدت شوكة ثقيف وكثرت عمارة وج رمتهم العرب بالحسد وطمع فيهم من حولهم وغزوهم فاستغاثوا ببني عامر فلم يغيثوهم فأجمعوا على بناء حايط يكون حصناً لهم فكانت النساء تلبن اللبن والرجال يبنون الحايط حتى فرغوا منه

وسموه الطايف لاطافته بهم..) وقد ذكرت نفس الرواية ان حرباً قامت بين بني عامر وبين ثقيف انتصرت فيها الاخيرة وتفردت بملك الطائف فضربتهم العرب مثلاً فقال ابو طالب عبد المطلب

منعنا ارضنا من كل حيّ
كما امتنعت بطايفها ثقيف
أتاهم معشر كي يسلبوهم
فحالت دون ذلكم السيوف

وقال بعض الانصار

فكونوا دون بيضكم كقوم
حموا أعنابهم من كل عاد

ومما يؤكد هذه الحادثة الرواية التي ذكرها البكري والتي تتعلق بالطريقة التي نزلت ثقيف بالطايف. حيث ذكر انه (نزلت عامر بن صعصعة وامه عمرة بنت عامر بن الظرب – ناحية من الطائف، مجاورين لعدوان اصهارهم ايضاً، فنزلوا حولهم، وكانوا بذلك زمانا، ووقعت بين عدوان حرب، فتفرقت جماعتهم، وتشتت امرهم، فطمعت فيهم بنو عامر، واخرجتهم من الطائف ونفوهم عنها وفي ذلك يقول الشاعر:

بغى بعضهم بعضا
فلم يرعوا على بعض
وهم بوّوا ثقيفـــا دا
ر لا ذل ولا خفض

كما ان ابن الفقيه الهمداني الذي هو أقدم من البكري وياقوت يشير بكل وضوح الى ان التسمية اتخذت من الحائط الذي بني حولها ويقول (سميت الطائف بذلك الطوف الذي احاطه عليها قس وهو ثقيف).

وترجع بعض الروايات التاريخية اشتقاق هذا الاسم الى جذور دينية حيث قيل ان جبريل طاف حولها وباركها او ان الله امر باقتطاعها من بلاد الشام وامر جبريل ان يطوف بها حول الكعبة.

موقع الطائف

يقول ابن الفقيه «ان الطائف والمدينة من نجد» ويؤيده في هذا البكري اما الفيروز ابادي فقد اعتبرها من الحجاز ونحن نميل الى الاخذ بالرواية الاولى لقدمها وكذلك لاختلاف الطائف عن بلاد الحجاز وهي على الحافة الغربية لهضبة نجد. واعتقد ان الفيروز ابادي اعتبرها من الحجاز لقربها الجغرافي من هذه المنطقة ولتشابه طبيعتها مع معظم المدن في الحجاز. وحدد ابن رسته موقعها بانها من مدن الاقليم الثاني وقد فصل ياقوت قائلاً «تقع الطائف في الاقليم الثاني وعرضها احدى وعشرون درجة وقد اجمع الرحالة والجغرافيون العرب على انها تقع على مسيرة ثلاث مراحل من مكة والمسافة بين مكة وبينها تقدر بأثني عشر فرسخا وهي كذلك تقع على نفس خط الطول من المشرق الى المغرب مع مكة.

سكان الطائف

قال ابن قتيبة «أما القبائل العربية التي نزلت الطائف فهي قبيلتا هوازن وثقيف وقبلهم كانت عدوان وهي التي انزلت ثقيفاً فيها» كيف ان الخلاف الذي حدث بين ساكني الطائف ادى الى استحواذ ثقيف عليها. ويقول الهمداني «ان ساكني الطائف ثقيف وشرقها يسكن ولد عمرو بن العاص .. وشرقي الطائف واد يقال له «ليه» يسكنه بنو نصر من هوازن». وقال ياقوت في معجمه «ان جل اهل الطايف ثقيف وحمير وقوم من قريش .. وهذيل التي تسكن جبل غزوان».

وبالرغم من ان بعض الروايات التاريخية تشير بوضوح الى ان الطائف (كانت مهرباً وملجأ لكل هارب من أبناء القبائل) فانه لا الكتب التاريخية ولا الجغرافية تحدثنا عن اضطراب أو شغب حدث في هذه المدينة. وبقيت لثقيف السيادة الداخلية عليها ونبغ عدد كبير من ابنائها ممن كرسوا جهودهم وحياتهم لخدمة الاسلام.

دشتو بمكة نعمة
ومصيفها بالطائف

ما قيل في الطائف

فقد قيل ان الله فضلها وباركها واقتطعها من موطنها وسار بها الى موضعها الحالي وطاف بها حول الكعبة وقال المفسرون في قوله تعالى «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» قالوا هما مكة والطائف فقرن الله جل جلاله الطائف ببيته وفي ذلك غاية الفخر الذي يفخر به.

وقال ابن عباس (سميت الطائف لن ابراهيم عليه السلام لما اسكن ذريته مكة وسأل الله ان يرزق اهلها من الثمرات أمر الله عز وجل قطعة من الارض ان تسير بشجرها حتى تستقر بمكان الطايف فاقبلت وطافت بالبيت ثم اقرها الله بمكان الطايف فسميت الطايف لطوافها بالبيت).

وقد اورد ابن عراق حديثا عن القاضي عيسى الطايفي «ان الرسول (ص) ذكر الطايف فاثنى عليه وذكر رجوع الناس الى الحجاز فيغمر حينئذ الطايف حتى يخرج منه اربعون الف فارس. وفي بعض الاخبار ستكون فتن آخر الزمان خير الناس في ذلك الوقت من كان بجدران الطايف الى عرقوب بجيله» وورد في الاحاديث ايضا ان النبي (ص) مد للطايف حرما الحقها بمكة والمدينة في الحرمة والشرف، ويعلق ابن فهد على هذا الحديث ويقول انه كفى بهذا للطايف شرفا.

الطائف .. في الشعر

ومما قيل من العشر في مدحها:

رأى صاحبي اثمار «وج» وقال لي
ترى هذه الاثمار تسقط او تجنى
فقلت له كلها هنيئاً فانما
اطايبها تجنى وتأتيك من تجني

وقال القاضي جمال الدين الشيبي منسوب الى الطائف:

يابها الطايف في جهم
دمعي غدا كالماطر الواكف
مذ غبت عن عيني فاوحشتني
فضحت اشواقي الى الطايف

وقال بعضهم مفتخراً بها وبفضائلها:

عرفنا سهمنا في الكف يهوى
كذا نوح وقسمنا السهاما
فلما ان أبان لنا اصطفينا
سنام الارض ان لها سناما
فـأنشأنـا حضارم متجرات
يكون نتاجها عنباً تؤاما
ضفادعها فرايح كل يوم
على جوب يراكضن الحماما
واسفلها منازل كل حيّ
وأعلى ما ترى ابداً حراما

ويصف القزويني قائلاً «الطائف بليدة على طرف واد، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا طيبة الهواء شمالية ربما يجمد الماء بها في الشتاء». ويقول نقلا عن الاصمعي «دخلت الطائف وكأني أبشر وقلبي ينضح بالسرور، ولم اجد لذلك سبباً الا انفساح جوها وطيب نسيمها».

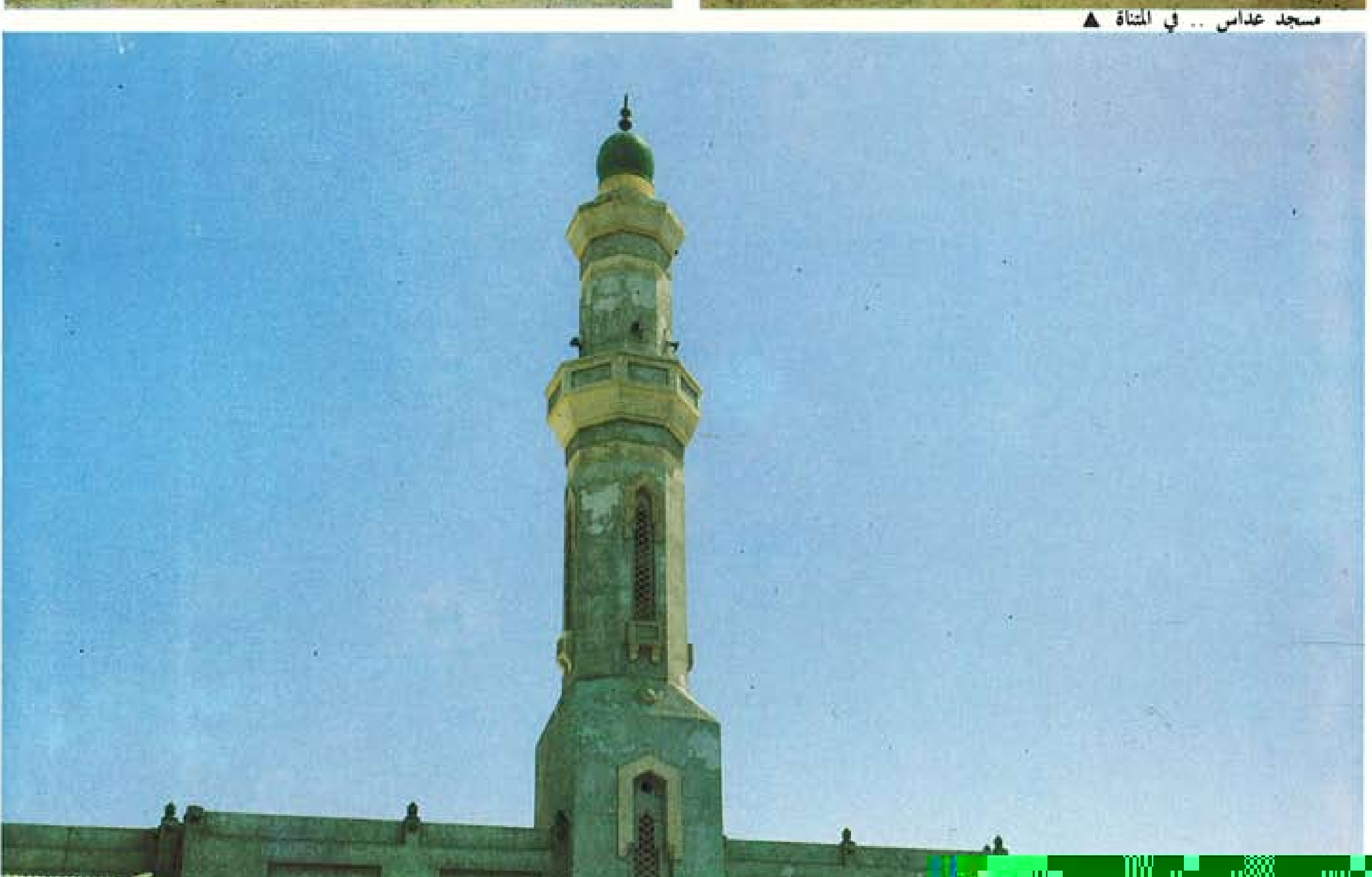
وقد قيل في الطائف من حيث المساحة والسعة «بأنها ناحية على رأس جبل وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها حصن محكم وسوق وجامع صغيران وبها ماء جار وأثمار رمان وتين كثيرة». اما ياقوت فقد قال عنها «وهي مع هذا الاسم الضخم بليدة صغيرة على طرف واد وهي محلتان احداهما عن هذا الجانب يقال لها طايف ثقيف والأخرى على هذا الجانب يقال لها الوهط».

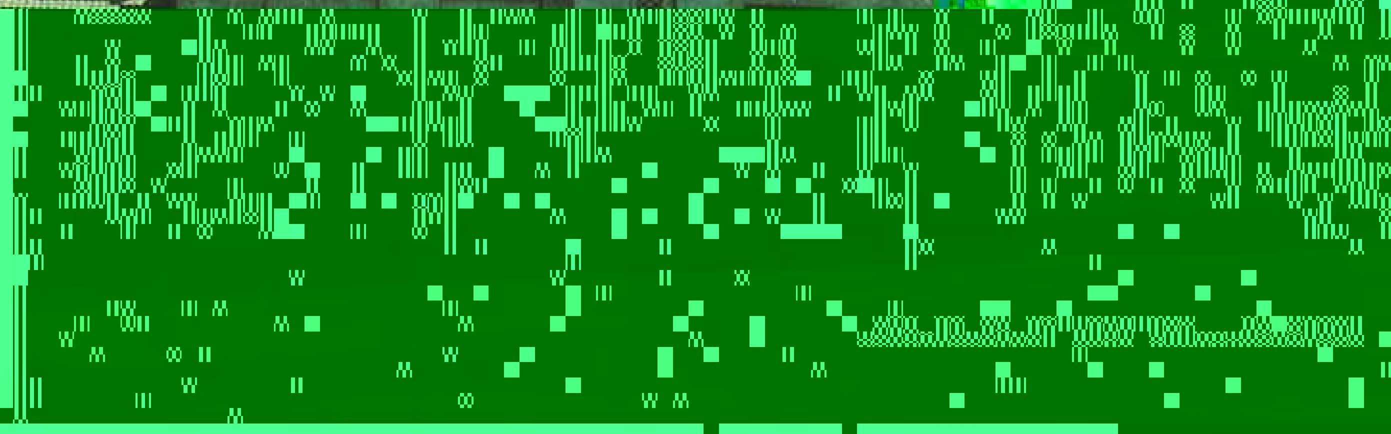
مذ غبت عن عيني فأوحشتني
فضحت أشواقي إلى الطايف





مسجد عداس .. في المثناة ▲





التضاريس الطبيعية

....

ان ارض الطائف متنوعة التضاريس الطبيعية وقد ذكرت لنا الكتب الجغرافية هذه التضاريس بأسمائها المختلفة. ويمكن تقسيمها الى:

ا. **الأودية**

١- **وادي قناة** يأتي من وجّ أي وجّ الطائف وقال المدائني قناة

٣- وادي نخب وهو من الطائف ساعة.

٤- وادي العرج وهو غير العرج الذي بين مكة والمدينة.

٥- وادي بسل اعلاه لفهم واسفله لنصر.

٦- وادي ليه اعلاه لثقيف، واسفله لنصر. وقال الهمداني «ان هذا الوادي يقع من القسم الشرقي من الطائف ويسكنه بنو النصر من هوازن».

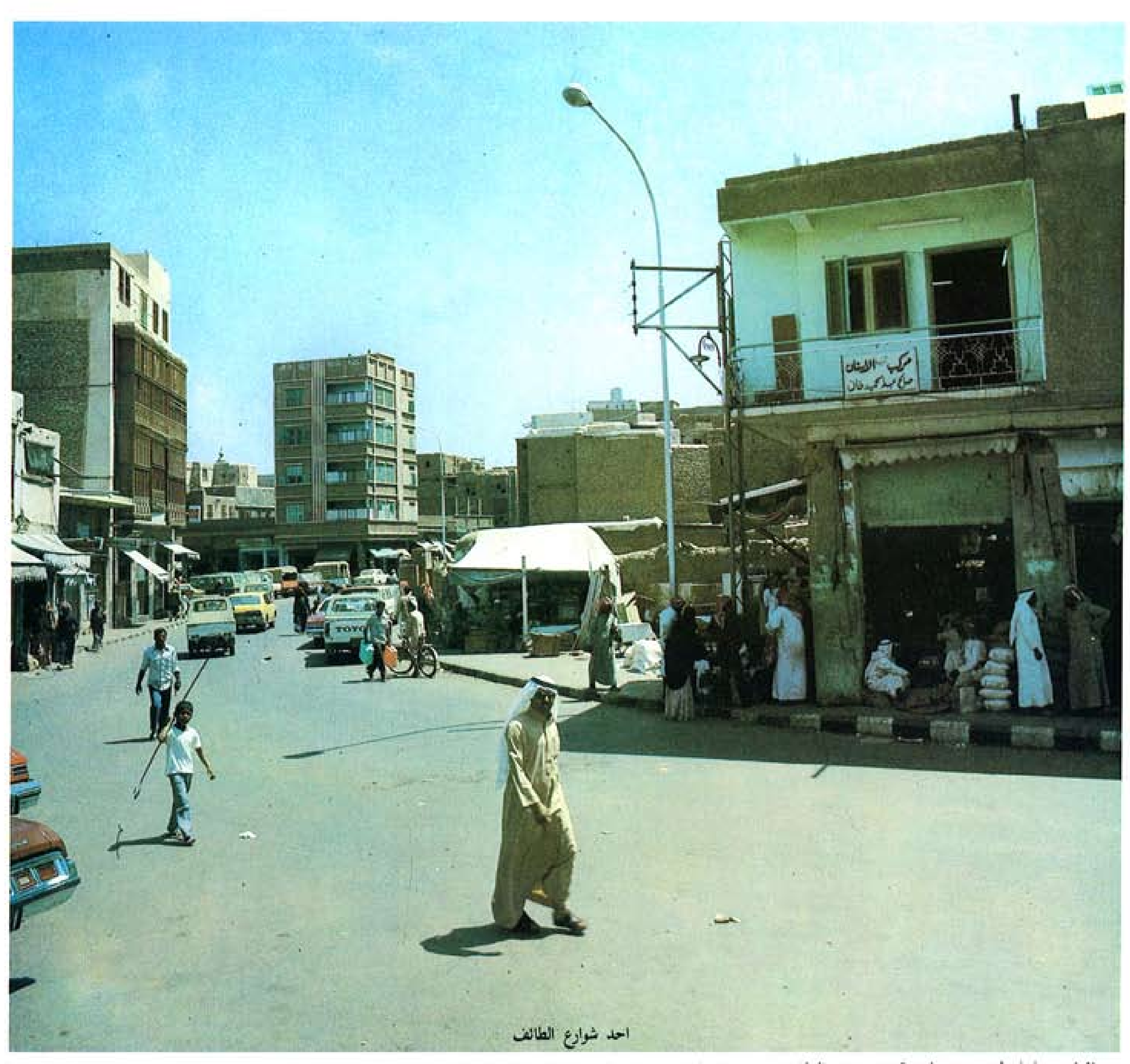
٧- **وادي جفن** ويقول الهمداني ان من يماني الطائف واد

لائف وبين معدن البرام ويسكن



١٠- وبين الطائف وبين عرفة وادي نعمان وفيه طريق الطائف المختصرة الى مكة. ويقول قدامة «ان النعمان جبل يقال له نعمان السحاب لأن السحاب عليه».

١١- ويذكر الفيروز ابادي ان هناك واديا آخر في الطائف هو وادي العمق، نزله الرسول (ص) لما حاصر الطائف.



احد شوارع الطائف

١٢- اما **وادي برد** فهو قريب من الطائف فيه حائطان لزبيدة عظيان.

يتبين من هذا ان الاودية منتشرة بأعداد لا بأس بها في هذه المدينة وخارجها وربما يعود سبب ذلك الى تنوع التضاريس الارضية في منطقة الطائف اضافة الى المناطق المجاورة. وربما استخدمت هذه الوديان للاغراض الزراعية وهذا واضح من الاشارات التي ترد في كتب الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين والتي تركز على أهمية وتنوع المحاصيل الزراعية في هذه المدينة.

ب. الهضاب

ومن الهضاب التي ورد ذكرها جلدان وهي ارض سوداء يقال لها «بتعه» وبها نقب كل نقيب قدر ساعة، كانت تلتقط فيه السيوف العادية والخرز ويزعمون ان فيه قبورا لعاد. وكان أهل الطائف يعظمون هذا المكان.

كما يرد ذكر هضبة «الثمراء» وقال فيها الشاعر:
بظل على «الثمراء» منها جوارس
مراضيع صهب الريش زغب رقابها

ج. الجبال

من البديهي ان الطائف تقع على ظهر جبل يقال له جبل «غزوان» وهذا الجبل كما يقول الهمداني «جبل عرف العالي الذي تطلع الجبال بعد منه». ويقول ابن الفقيه «جبال الطائف ثلث سراة بين تهامة ونجد ادناها بالطائف واقصاها قرب صنعاء .... والطائف من سراة بني ثقيف وهو ادنى السروات الى مكة».

ويصف القزويني جبال غزوان بقوله «ان جبال غزوان في ذروة الطائف. ليس بجميع الحجاز موضع ابرد منه». وعن ساكنيه يقول في كتاب آخر له بان هذا الجبل تسكنه قبائل هذيل. اما الاصطخري فيقول (وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل). وعن هذا الجبل قال «وانه ربما جمد الماء في ذروة الجبل وليس بالحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع».

ومن جبالها حسب ما ذكر الفيروز ابادي الحارث والحويرث وهما جبلان عظيمان كانا بالطائف. ويذكر ايضا جبل حيص الذي يمتد حسب قوله من نخلة الى الطائف وتطلع الجبال من بعده فكان منها الابيض جبل العرج.

وقد وصف البكري جبال الطائف قائلا «والطريق الى مكة من بستان ابن عامر على قفيل التي تطلعك على قرن المنازل. ثم جبال الطائف تلهزك عن يسارك وانت تؤم مكة متعاقدة. وهي جبال حمر شوامخ. اكثر نباتها القرظ».

ان هذا التنوع في التضاريس الارضية اعطى للطائف صفة مميزة عن بقية مناطق الحجاز ونجد. فقد اجمع الجغرافيون العرب انه لم يجمد الماء في اي مكان في الجزيرة العربية عدا الطائف. هذا التنوع في المناخ واعتداله بالنسبة للحجاز جعل اهل مكة يتخذون من الطائف ملجأ ومصيفا لهم من حر الصيف الشديد. وقد قال الشاعر في هذا:
تشتو بمكة نغمة   ومصيفها بالطائف.

ويقول ناصر خسرو الذي وصلها في ذي الحجة ٤٤٢ - يونيو ١٠٦٥ «ان جوها بارد حتى لزم الجلوس في الشمس بينما يكثر البطيخ في مكة».

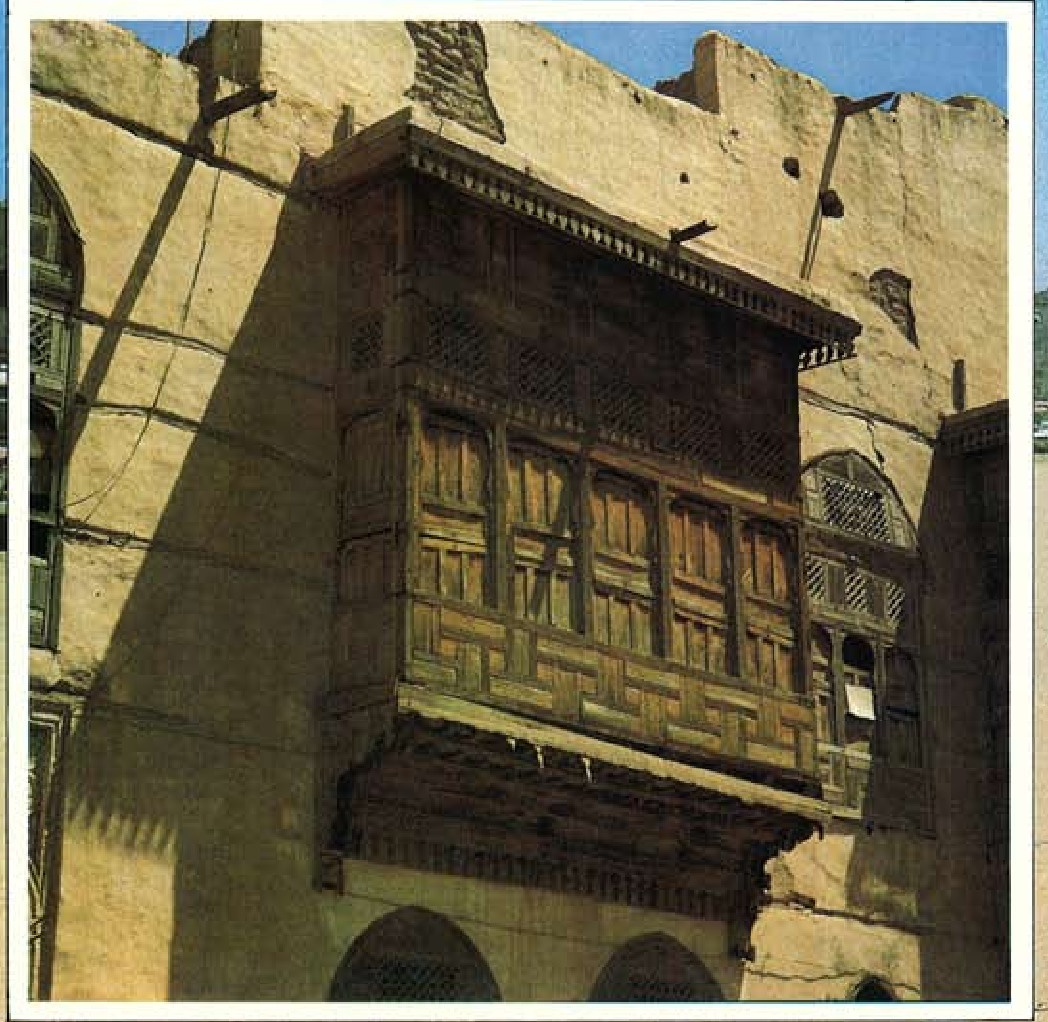
وج .. كانت الطائف تسمى به .. وهو الوادي الرئيسي بها

المحاصيل الزراعية والحرف

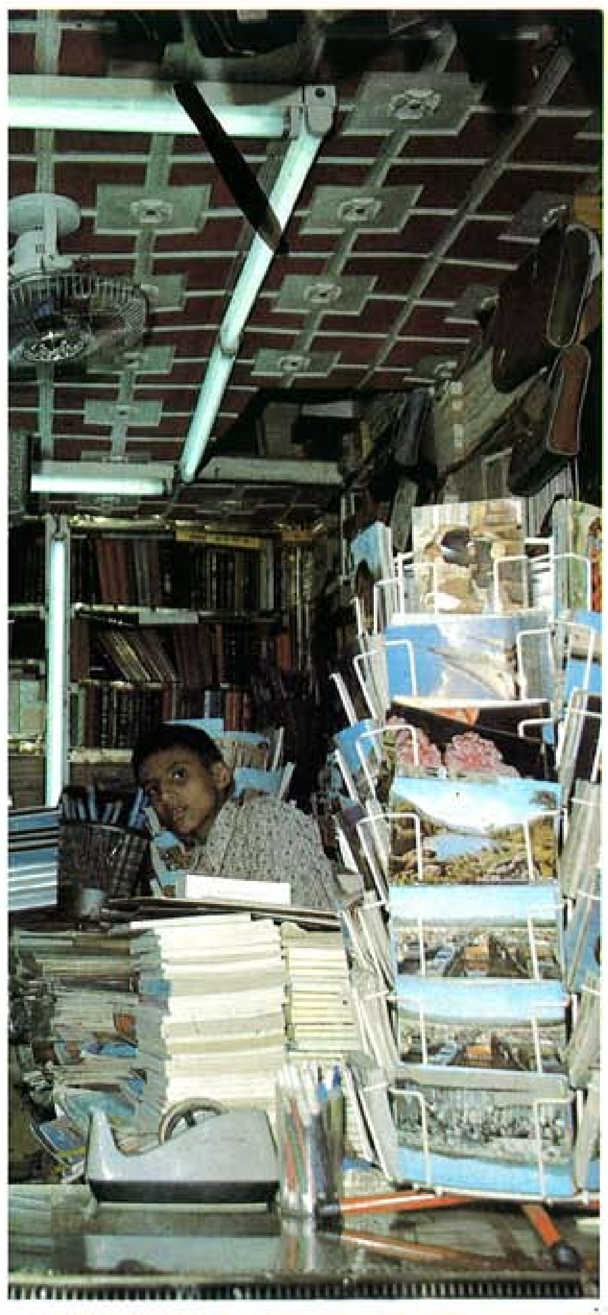
ان هذا التنوع في المناخ والتضاريس الارضية وخصوبة الارض ادّى الى انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في هذه المدينة واصبحت هذه الحرفة من الحرف التي تميزت بها هذه المدينة على سائر مدن الحجاز ونجد. ونتيجة لانتشار الزراعة على نطاق واسع فقد اصبحت هذه المدينة المكان الذي يسر الزائرين ويشرح قلوبهم فقد قال الاصمعي «دخلت الطائف وكأني ابشر وقلبي ينضح بالسرور ولم اجد لذلك سببا الا انفساح جوها وطيب نسيمها».

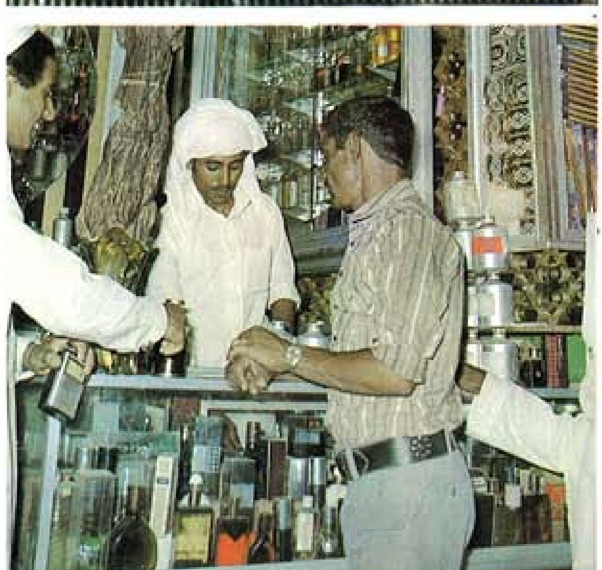
ونتيجة ايضا لهذا المناخ وكثرة خيراتها فقد بقيت الطائف من مخاليف مكة حيث كان لها حظ عند الخلفاء. وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ولا يجعل ولايتها الى صاحب مكة.

وقد قال عنها ابن حوقل «مدينة صغيرة نحو وادي القرى كثيرة الشجر والثمر وكثر اثمارها الزبيب وهي طيبة الهواء. وفواكه مكة وبقولها منها». ويؤيد هذا ابن جبير حيث يذكر في حديثه









عن فواكه اسواق مكة التي شاهدها «التين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ والاترج والجوز والمقل والبطيخ والقثاء والخيار» تجلب اليها من الطائف، اما الاصطخري الذي سبق ابن جبير بقرون فيؤكد ان الزبيب من اكثر ثمار هذه المدينة وان اكثر فواكه مكة منها. ويضيف القزويني الى هذه الفواكه والاشجار اشجار النخيل والموز. ويؤكد ذلك ياقوت.

وقد ذكر المقدسي ان اكثر فواكه مكة من الطائف التي هي موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة وعند الحديث عن العنب واجود انواعه اشار القزويني الى ان العنب السعدي الذي يزرع في الطائف لا يوجد نظير له في البلاد واما زبيبها فيضرب بحسنه المثل.

ويقال ان في الطائف وهط عمرو بن العاص وهو كرم كان يعرش على الف خشبة شرى كل خشبة بدرهم (فلما حج الخليفة سليمان بن عبدالملك احب ان ينظر اليه، فلما رآه قال احب ان انظر اليه فلما رآه قال: هذا اكرم مال واحسنه وما رأيت لأحد مثله لولا هذه الحرة في وسطه فقيل ما هذه بحرة ولكنها زبيبة فقال لله درّ قس بأي عش وضع افرخه. وقد أشار ابن المجاور الى ان اهل الطائف كانوا يزرعون الحنطة اللقمية التي تشابه اللؤلؤ.

ويعزو ابن جبير السبب في عمران الطائف وكثرة مزارعها الى هجرة المغاربة اليها حيث قال «ان السبب في عمران الطائف وكثرة مزارعها يعود الى ان الله جلب اليها من المغاربة ذوي البصارة والفلاحة والزراعة فاحدثوا فيها بساتين ومزارع فكانوا احد الاسباب في خصب هذه الجهات» ويعلق ابن جبير نفسه على هذه الرواية قائلا «والسبب في هذا كما يفهم من الرواية انه فضل واعتناء من الله عز وجل بحرمه الكريم وبلده الامين».

نستنتج من المعلومات التي دونت في اعلاه ان المحاصيل الزراعية متنوعة في الطائف وانها اضافة الى تنوعها تمتاز بجودتها بحيث اصبحت مضربا للامثال كما ان هذه المحاصيل والفواكه كانت تنتج بكميات كبيرة بحيث تفيض عن حاجة السكان المحليين. ونتيجة لهذا الانتاج الغزير فقد اصبحت الطائف المجهز الرئيسي لاسواق مكة بكل ما تحتاجه من فواكه وخضروات.

ومن هنا يمكن القول ان الحرفة الرئيسية في هذه المدينة هي الزراعة وقد اشار ياقوت بكل وضوح الى امتهان سكان الطائف حرفة اخرى الى جانب الزراعة وهي الدباغة.

المحاصيل الزراعية والحرف

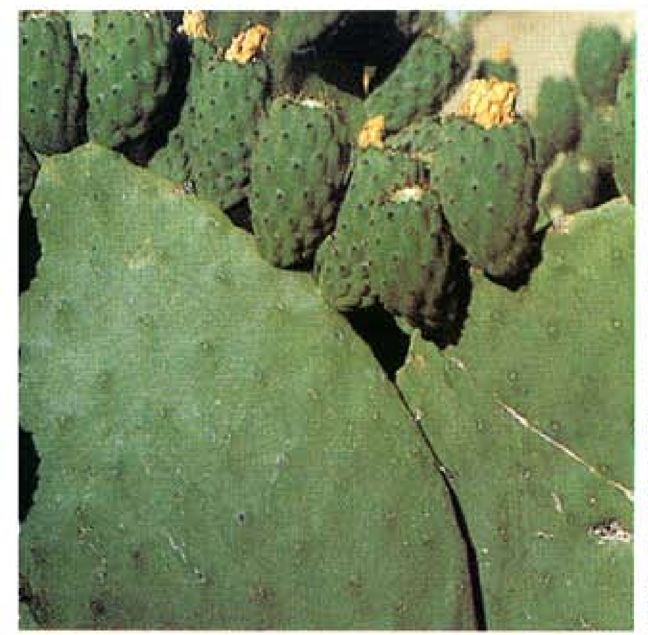
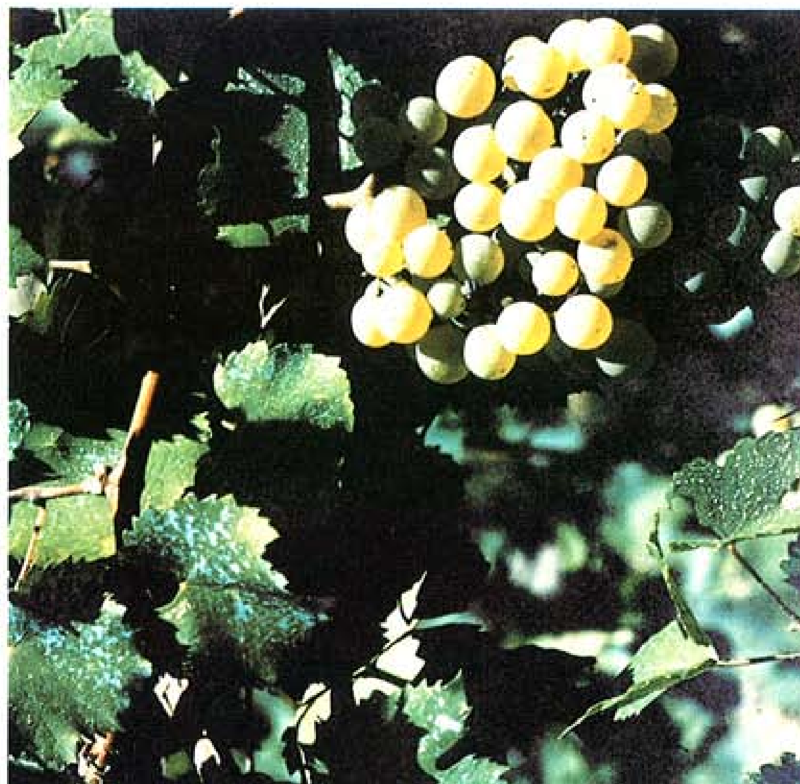
ان هذا التنوع في المناخ والتضاريس الارضية وخصوبة الارض ادّى الى انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في هذه المدينة واصبحت هذه الحرفة من الحرف التي تميزت بها

وكأني ابشر وقلبي ينضح بالسرور ولم اجد لذلك سببا الا انفساح جوها وطيب نسيمها».

ونتيجة ايضا لهذا المناخ وكثرة خيراتها فقد بقيت الطائف من مخاليف مكة حيث كان لها حظ عند الخلفاء. وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ولا يجعل ولايتها الى صاحب مكة.

[illegible] ابن حوقل «مدينة صغيرة نحو وادي القرى

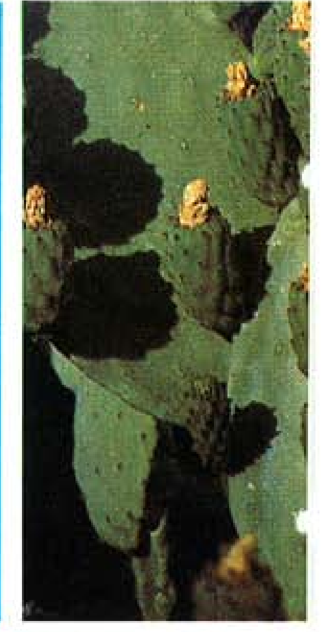


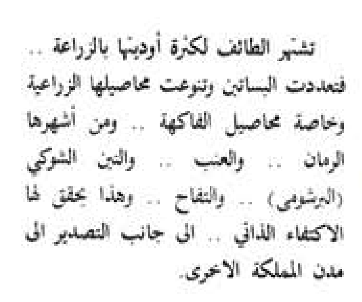




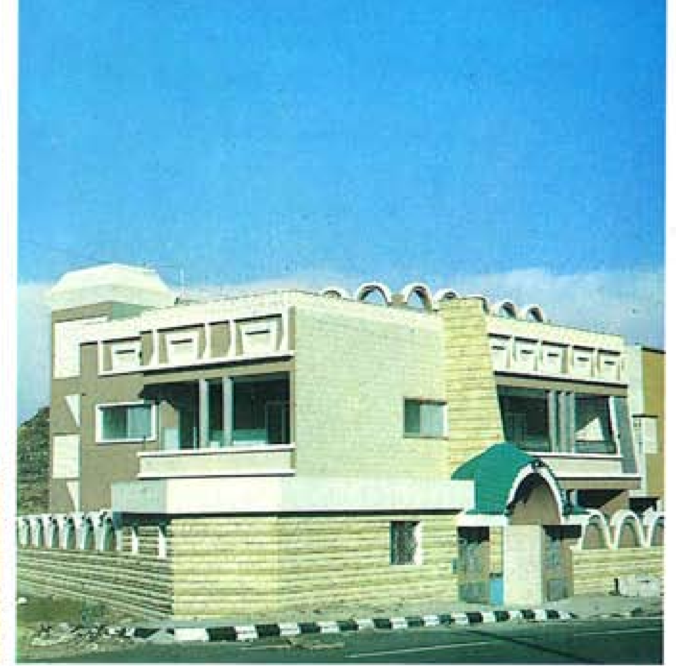








تشتهر الطائف لكثرة أوديتها بالزراعة .. فتعددت البساتين وتنوعت محاصيلها الزراعية وخاصة محاصيل الفاكهة .. ومن أشهرها الرمان .. والعنب .. والتين الشوكي (البرشومى) .. والتفاح .. وهذا يحقق لها الاكتفاء الذاتي .. الى جانب التصدير الى مدن المملكة الاخرى.





طراز البناء القديم .. والوسيط .. والحديث في مدينة الطائف

اشهر مواضع الطائف

بعد هذه الجولة القصيرة في اشتقاق اسم الطائف وما قيل في مدحها من آيات قرآنية واحاديث نبوية وابيات من الشعر والتضاريس الارضية الموجودة فيها وذكر المحاصيل الزراعية المتنوعة التي تنتج فيها لابد من ذكر اشهر المناطق والنواحي التي ورد ذكرها عند بعض الجغرافيين العرب بوصفها من احياء هذه المدينة واقسامها. وستكون معلوماتنا في هذا الفصل مستمدة من مصدر واحد في اغلب الاحيان ان لم تكن في جميعها. والسبب في هذا يعود بالدرجة الاولى الى اغفال او تجاهل الجغرافيين والرحالة العرب لذكر مثل هذه المواضع.

منعنا أرضنا من كل حي
كما امتنعت بطايفها ثقيف
وأسفلها منازل كل حي
وأعلى ماترى أبدًا حرامًا

فقد قيل «ان في الطائف قبل الاسلام حجر اللات وهو صخر كان في قديم الزمان يجلس عليه رجل يلت السويق للحجيج، فلما مات قال عمرو بن لحس. انه لم يمت لكن دخل في هذه الصخرة وامر قومه بعبادة تلك الصخرة .. وبنيت لها بيتا وعظمته وطاف حوله فلما اسلمت ثقيف بعث رسول الله (ص) ابا سيفان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه، والحجر الان تحت منارة مسجد الطائف». وهذا هو النص الوحيد الذي وردنا حول المواضيع القديمة الموجودة في المدينة. اما المواضع والاحياء التي ورد ذكرها فهي:

١- شيحاط ويقع خلفها حداب بني شبابة. وهي جبال من السراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد وليسوا من فهم عدوان وهذه الحداب وراء شيحاط، وشيحاط من الطائف.

٢- الشيحة من مواضع الطائف.

٣- الظريبة وهو موضع بناحية الطائف وقيل انه كان لسعيد بن العاص فيه مال فهلك فيه.

٣- جلدان وهو موضع بالطائف قال الشاعر:

ستشظلكم عن بطن وجّ سيوفنا
ويصبح منكم بطن جلدان مقفرا

٥- ركبة ويقال انها لبني ضمرة ... وقال ابو داود في كتاب الشهادات ركبة موضع بالطائف، قال غيره موضع على طريق الناس من مكة الى الطائف. وقد ذكر البكري نقلا عن مالك في الموطأ «ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبيت بركبة أحب اليّ من عشرة ابيات بالشام. وروى ان رسول الله (ص) بعث جيشاً الى بني العنبر فوجدهم بركبة من ناحية الطائف».

٦- النباوة موضع معروف بالطائف. وورد في الحديث. خطب النبي (ص) بالنباوة من الطائف.

٧- لية وهي التي فيها الوادي المشهور باسمها وهي ارض من الطائف، على أميال يسيرة. وقيل ان في هذه المنطقة حصن مالك بن عوف النصري صاحب الناس وأميرهم يوم هوازن.

٨- المشرق مصلى العيدين. وكل مصلى العيدين مشرق ويقول البكري ذكرته لان بعض العلماء غلط فيه فظنه موضعاً بعينه في قول أبي ذؤيب.

حتى كأني للحوادث مروة
بصفا المشرق كل حين تقرع

وقال البعض ان صفا المشرق - سوق الطائف.

وقال الحربي المشرق جبل بالطائف. وقال ابو بكر المشرق سوق الطائف. هكذا قال أبو عبيدة في قول خفاف بن ندبة.

مساجد الطائف

ولابد لنا قبل ان نختم بحثنا هذا من ذكر اسماء بعض المساجد الموجودة في هذه المدينة. منها مسجد ينسب للنبي (ص) في مؤخر المسجد الذي فيه قبر السيد عبدالله بن عباس رضي الله عنه في جداره القبلي من خارجه حجر مكتوب فيه «أمرت السيدة ام جعفر بنت ابي الفضل ام ولاة عهد المسلمين اطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله (ص) بالطائف وان ذلك سنة ١٩٢هـ». ويقول الزركلي نقلاً عن الحضراوي «ان المسجد المنسوب للنبي (ص) هو الان (اي بعد سنة ١٣٠٠هـ) تحويطة صغيرة طولها يزيد عن ذراع ملاصقة للجدار القبلي من القبة الأخيرة الواقعة في آخر المسجد العباسي على يمين الداخل من بابه الشرقي. ولا يزال الى يومنا على هذه الصفة».

والمسجد العباسي وهو مسجد الحبر بن عباس وله الشأن الاكبر في مساجد الطائف ومزاراته وقد دفن فيه جماعة. وهو



متسع مستطيل ينسب الى ابن عباس لانه مدفون فيه. وقد كان وما زال موضع عناية زائريه، كلما تخرب منه جانب عمر. ومن اوائل من عمره حسب ذكر الفاسي الخليفة المستعين الحباسي (قتل سنة ٢٥٢هـ) وقد بقي اسمه مكتوباً في المنبر الذي في المسجد كما عمر ضريح بن عباس في نفس الوقت.

مسجد عداس في المثناة ينسب لعداس أول من آمن في الطائف وهو مدفون في هذا المسجد. وقيل ان هذا المسجد اقيم في المكان الذي اوى اليه النبي (ص) واسلم به عدّاس ودفن فيه.

الطرق المؤدية الى الطائف

يبدو من المعلومات القليلة التي توفرت لدينا عن الطرق التي تربط الطائف، ذلك المركز الزراعي المهم – بغيرها من مدن واجزاء الجزيرة العربية انها لا تعطي صورة واضحة عن علاقة هذا المركز الحيوي بغيره من المناطق. فقد اشارت معظم المعلومات التي بين ايدينا الى الطرق والمسالك التي تربط الطائف بمكة فقط. وهذا يدفعنا للقول ان الاتصال الرئيسي لسكان الطائف هو مع مكة، وربما من هذا المكان يبدأ تحركهم نحو الجهات الأخرى متخذين من الطرق الموجودة التي تربط مكة المكرمة مع سائر مناطق الجزيرة مساراً لهم في اسفارهم. اضافة الى كل هذا فان الجغرافيين يبدأون حديثهم بالطرق المؤدية من مكة الى الطائف بعد زيارتهم لها..

والطريق من مكة الى الطائف ثلاث مراحل من مكة الى بئر ابن المرتفع ومن بئر ابن المرتفع الى قرن المنازل «قرية يحرم فيها اهل اليمن ثم يعدلون منها الى الطائف يمنة ومن يخرج من مكة يريد الطائف يأتي عرفات ثم يجوز منها الى بطن نعمان جبل يقال له نعمان السحاب لأن السحاب أبداً عليه ثم يصعد عقبة فاذا استوى عليها الصاعد اشرف على الطائف ثم ينحدر ويصعد ايضاً عقبة خفيفة تسمى تنعيم الطائف.

اما الطريق من الطائف الى جبل بدر فيتكون من الطائف الى المعدى ستة فراسخ.. والى خبث عنتر خمسة فراسخ وهو عنتر بن زبيبة السبسي .. والى حدّ ان ستة فراسخ والى بحرة خمسة فراسخ والى الدرب فرسخان والى ارض ليلى العامرية.

وعن الطريق من الطائف الى مكة فقد اشار ابن المجاور بقوله (راجع من الطايف الى حدب الرنح فرسخان وهو كهف جبل. والى الطود الاعظم ثلاثة فراسخ. جبل طويل وهو الذي يسمى بالحجاز).

هذا وان الطريق الذي يربط مكة بالحسا يمر بالطائف. وقد وصف ناصر خسرو هذه الطريق بانها موحشة مملوءة بالمخاطر بين اعراب من سفاكي الدماء في الطائف وغيرها من المدن والقرى التي يمر بها.

وقد ذكر ابن المجاور ان هناك طريقاً يربط الطائف بصعدة في بلاد اليمن كما ان هناك طريقا من الطائف الى تربة.

الجمال



من قصيدة لم تنشر — للشاعر: عزيز أباظة

سألوني عن الجمال فقلت
الحكم لاثنين: فيلسوف وشاعر

هو للفيلسوف. علم بعيد الغور فيه موارد .. ومصادر
وشروح محشودة وحواش وشروط تنفي واخرى تظافر
وهو للشاعر المحلق كون ساجر بين شعائر ومشاعر
في السماء الزرقاء في القمر الوضاء في الشمس في النجوم الزواهر
في الغروب المحزون في بسمات الصبح في غضبة البحار الزواخر
في الجبال الخضراء في القمم البيضاء في ساكب من السحب ماطر
في غناء الاطيار ترأمها الاشجار في زهرة المروج النواضر
في ذوات الجمال يخضعن كالورق ويهتجن كالنسور الكواسر
في القوام الرهيف في وثبة النهدين في رقة الخصور الضوامر
في شهى لذ من السحر يندي بين جفن ساه وجفن مغامر
في فتور هيمان ينضح دفئا في حديث نشوان غضي المكاسر
في ابتسام تليح فيه اللآلي في دموع تنهل عنها الجواهر
في تثني الأنثى اللعوب فإن حدقت فيها تماسكت تتواقر
في غلامية الغدائر في الفرعاء سالت في منكبيها الغدائر
في وفي ان الجمال ضروب مالها من أوائل أو أواخر
لا مقاييس للجمال فأهل الرسم والنحت يظلمون المشاعر
لا حساب المثلثات يمهد لك حسنا ولا حساب الدوائر
في يقيني أن الجمال المصفى ما يهز النفوس قبل النواظر
الجمال الذي سما لم يطاوله جمال ولم تحطه بصائر
انه اكمل الجمال جمال الله ينساب قدسه في الضمائر
انه خلقه السماوات والارض ... وما بينها بقدرة قادر
أنه شرعه الذي سن للإنسان ما إن لحكمه من نظائر
عجبا كيف يغتلي الشك فيه من بصير وكيف يكفر كافر



جد الملوك العلويين الذين يحتلون عرض المغرب منذ نحو ثلاثة قرون ونصف، والذين يعملون باستمرار على تأكيد الروابط وتمتينها بين البلدين، وهي روابط تصل احيانا الى المصاهرة على حد ما تم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله الذي زوج كريماته لامير مكة الشريف سرور.

ومثل هذه الظاهرة تؤكد ان الهجرات لم تكن من طرف واحد اي من الجزيرة العربية الى المغرب فحسب ولكنها كانت كذلك تتم من المغرب الى ارض الجزيرة العربية وتتمثل جلية في وفود **الحجاج** وخاصة منهم الطلبة والعلماء الذين كانوا ينهضون بدور التبادل الثقافي بين البلدين. وغالبا ما كان هؤلاء الحجاج المثقفون يكتبون رحلات يسجلون فيها انطباعاتهم عن الديار المقدسة وما شاهدوا فيها من مواقع وبقاع وآثار .. وما كان لهم من اتصالات برجال العلم والادب، وما ارتسم في ذهنهم من احوال الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع التعريف بكل مراحل الطرق، وما أتيح لهم في المدن التي حلوا بها من وقوف على المآثر وحضور الدروس ولقاء العلماء.

ولقد ترتبت عن اسباب، في طليعتها رحلة العلماء المغاربة الى الحجاز اهم ظاهرة تميز الفكر المغربي وهي اخذه بالمذهب المالكي وعلى هذه المرحلة اعتمد **ابن خلدون** حين اراد ان يعلل لانتشار المذهب المالكي في المغرب حيث ذهب الى ان رحلة المغاربة كانت غالبا الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى **العراق** ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ عن **علماء المدينة وشيخهم** يومئذ وأماهم **مالك** .. فرجع اليه اهل المغرب .. وقلدوه دون غيره..

أهم الرحلات الحجازية

واذا كان المغاربة قد عرفوا بتسجيل الرحلات، واذا كانت مجالات هذه الرحلات واهدافها متنوعة ومتعددة تقصد الى السياحة والسفارة وطلب العلم واداء فريضة الحج فان الرحلات الحجازية تشغل اهم حيز في هذا الفن الذي برز فيه المغاربة.*

محمد بن احمد الحضيكي

عني الحضيكي بتسجيل بعض ملامح حياته – والجانب العلمي منها خاصة – في رحلته الحجازية وفي فهرسته التي تضم

• استهدف الحضيكي برحلته علماء عصره

اجازات مشايخه المشارقة والمغاربة وفي اجازات اخرى اهمها اجازة عامة كتبها لعلماء **سوس** في مرض موته واخرى كتبها **لعمر الكرسيفي**.

وكتب ولد الحضيكي على طبقات والده ترجمة له موجزة نقلها **صاحب المعسول** واهمّ **ابو زيد عبدالرحمن الجشتيمي** المتوفى سنة ١٢٦٩ هـ بتسجيل حياة الحضيكي وتلاميذه ومحبيه في كتاب سماه «**ناقب الحضيكي**» وترجم له **عبدالحي الكتاني** في «**فهرس الفهارس والاثبات**» وعباس بن ابراهيم في «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام». كما ترجم له محمد المختار السوسي بايجاز في «**سوس العالمة**» وبتوسع في (المعسول) حيث نقل نصوصا من اجازاته وترجمة الكتاني له مع تلخيص لمناقب الجشتيمي السالفة الذكر.

ويتضح من ترجمة ولده له ومما سبق الى ذكره عنه صاحب المناقب خاصة انه **محمد بن احمد الجزولي اللكوسي اليوسي الحضيكي التارسواطي المنوزي**. ولد عام ١١١٨ هـ وتوفي سنة ١١٨٩ هـ.

قرأ **القرآن الكريم** في بلده على «امامهم سيدي عبدالله بن ابراهيم الجرسيفو ثم سافر في طلب العلم وجال في بلاده جزولة وادرك اكابر علمائها واخذ عنهم» وقد استعرض في اول رحلته اسماء اشياخه المغاربة*. اما الشيوخ الذين اخذ عنهم في الازهر فهم الفقهاء المالكيون وقد تحدث عنهم في رحلته وذكر انهم اجازوه. كما تعرض فيها لمشايخ آخرين حضر مجالسهم ممن كانت تزخر حلقات الازهر بدروسهم.

*المجلة أورد الدكتور الفاضل عباس الجراري في بحثه هذا اسماء ٢٥ كتابا للرحلات الحجازية كتبها علماء مغاربة .. وذكر انه اقتصر على ذكر الرحلات المعروفة .. المطبوع منها – وهو القليل – والمخطوط الذي يوجد في المكتبات العامة.

*المجلة: أورد الكاتب اسماء ١٥ شيخا مغربيا.

● المعلومات الجغرافية التاريخية مع الملاحظات الاقتصادية الاجتماعية

وقد جمع الحضيكي الى العلم الواسع والارومة الاصيلة سلوكا قويما وهمة عالية حتى غدا«..عالما بارعا وللسنة بجده وهمته متابعا، ماهرا بفنون علوم الشرع، كريم الاصل والفرع، ووليا كبيرا صفيا شهيرا تشد الرحال لزيارته ويتباهى عصره بزينته وعمارته».

وبلغ بهذا درجة من صفاء الذهن وطهارة النفس هيأته ليكون «صادق المكاشفات عجيب الاسرار ظاهر الانوار والكرمات. ومن اعظمها دوام الاستقامة على الكتاب والسنة ما بدل ولا غير ولا مل ولا فتر اقام رحمه الله على الجهاد طول عمره في العلم والعمل حتى نال من ذلك غاية الامل ولازم التدريس لا ينقطع عنه».

على ان اهمية الحضيكي تبدو فيما خلف من آثار، وهي كثيرة ورد ذكرها في ترجمته*.

رحلة الحضيكي الحجازية

توجد منها نسختان:

الاولى: مخطوطة **بالمكتبة الملكية** ومسجلة تحت رقم ٤٠٥. وهي مكتوبة بخط مغربي دقيق، ولكنه على دقته واضح ومقروء، وهي منسوخة في الثالث عشر من جمادي الثانية سنة ١٢٧٨ هـ.

الثانية: مخطوطة **بخزانة الرباط العامة** ومسجلة تحت رقم ٨٩٦ د وهي مكتوبة بخط مغربي غير جيد، وبها بعض المحو والخروم، وتقع ضمن مجموع من الورقة ١٠ الى ٢٩ أي في ٣٩ صحيفة من الحجم الكبير، في كل منها ٣١ سطرا. وهي اقدم من الاولى لانها نسخت سنة ١٢٢٩ هـ.

وقد كتب في طرة الصحيفة الاولى ما يلي: «الذي يظهر من تأمل هذه الرحلة انها **للشيخ ابي عبدالله محمد بن احمد الحضيكي السوسي** المترجم عندنا في حرف الحاء من فهرس الفهارس، فان المشايخ الذين سمى ولي، هم مشايخه الذين ذكرهم في فهرسته وكناشته وهما عندي. كتبه محمد عبدالحي الكتاني».

وعلى الرغم من ان هذه النسخة اقدم من الاولى، فان هاته تبدو اكثر ضبطا واقل تحريفا، ومن ثم اعتمدناها في نقل النصوص. ويبدو من المقابلة انهما منقولتان عن نسخة ثالثة لم تصل الينا يد البحث بعد.

* * *

وقد استهل الحضيكي رحلته بتحديد الهدف من كتابتها فصرح بانه «ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر رجاء من الله تعالى عظيم البركة وشمول الرحمة عند ذكرهم والانخراط في سلكهم لوفور محبتي لهم ولعظيم شوقي لذكرهم».

وبعد ان استعرض اشياخه المغاربة قال: «وهنا انتهى ذكر من ذكر من الأشياخ ولا أطيق حصرهم ولنشرع في ذكر من لقيناه في سفرنا للحج وبعض مراحله».

ولم يخف الحضيكي ان الحج لم يكن يخطر بباله، على الرغم من شدة شوقه لزيارة البقاع المقدسة، وان امكاناته المادية لا تسعفه، وان ابن عم له هو الذي سدد له النفقات في آخر لحظة والناس على أهبة السفر «لما تهيأ الناس وعولوا على الخروج للحج سنة اثنين وخمسين ومائة الف، وكنت مع اصحاب لي وقتئذ نتذاكر في مسائل من العلم في بلدتنا «**ترسواطة**» بواد «**لكوسة**»، لا يخطر لنا السفر للحج ببال لعدم النفقة، الا اني كنت أدعو والهج بزيارة **النبي صلى الله عليه وسلم** قبل ذلك.. فبينما نحن كذلك جلوس نتذاكر اذ جاء الخبر ان ابن عم لي كان ممن تهيا للسفر وأعد له كل ما يحتاج اليه في طريقه من زاد ومركوب وقد نزلت به الحمى من عند الله تعالى ووعك وعكا واهتم بالقعود فأرسلت اليه ساعتئذ ان ادفع لي النفقة فانخلع لك من مالي ففعل، فارتحل الناس وارتحلنا معهم في الثالث من يومنا ذلك»[1]

---

* المجلة: ذكر الكاتب ٢٥ أثرا من آثار الحضيكي في شتى فنون المعرفة.. في الفقه.. والحديث والرحلات.. والنحو.. والمناقب.. والشروحات.. والتعليقات.. والمنظومات.. والاجازات وكتاب «مجموعة في الطب».. وهذه الآثار منها ما هو مطبوع.. ومنها ما هو مخطوط في المكتبات العامة وعلى الاخص في المكتبة الملكية.. والخزانة العامة بمدينة الرباط في المغرب الشقيق.

[1] وتجدر الاشارة الى ان الرحلة كانت على البغال.

وتحرك الركب نحو «**سجلماسة**» فالقنادسة لينطلق منها في الطريق الذي اعتاد الحجاج ان يسلكوه، مرورا بأقاليم الشمال الافريقي عبر مدن وقرى عددها ووصفها **كعين ماضي وبسكرة وقابس وجربة وطرابلس وبرقة** وحين وصل الركب الى مصر توقف بمراكز كثيرة في طليعتها **بولاق والسويس**، ومنها عبر الى ارض **الجزيرة العربية** مرورا بمواقع ذكرها كبير الصعاليك **والعقبة والشرافات ومغارة شعيب فبير الدركين** الذي ذكر انه «حد الحجاز من جهة الغرب». ومنه انتقل الى **الحوراء فالنبط** أو (النبد) **ووادي النار والخضير والينبوع وبدر حنين والبزوة فرابغ**[1]، الذي توقف فيه واحرم. ثم اخذ طريق **الجحفة ومديد وعقبة السكار وكديد وعسفان ومر الظهران أو وادي فاطمة وذي طوى فمكة المكرمة**.

وبعد ان أدى المناسك وقف قليلا عند هذه المدينة ليتحدث عنها وعن **الكعبة** وعن **مناسك الحج** وآدابه وعن المشاهد والقبور وامكان المجاورة بمكة، متوسلا بنصوص القرآن والحديث واقوال الفقهاء، ومستطردا الى تحليل بعض الاحاديث ومدى صحتها، على حد ما فعل حين أورد الحديث النبوي المتعلق بالحجر الاسود (**ليبعثن هذا الحجر الاسود يوم القيامة له عينان تبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من اسلمه بحق**).

وانتقل بعد ذلك **للمدينة المنورة** بنفس علمي هادئ وطويل عن الزيارة وآدابها. وفي المدينة راوده احد اصحابه السوسيين بالمجاورة ولكنه استعظمها وابدى عزمه عليها في مصر..

وعبر عن نفس الطريق عاد الحضيكي مع بعض رفاقه من طلبة سوس حيث توقف بمصر والتحق **بالازهر** للدراسة، وهو جامع لم يفت المؤلف ان يقف عنده وقفة قصيرة كما وقف للحديث عن **النيل والاهرام** التي انهى بذكرها رحلته.

* * * *

وقد عنى الحضيكي في هذه الرحلة بتقديم العديد من **المعلومات الجغرافية التاريخية** الدقيقة ولفت النظر الى بعض **الملاحظات الاقتصادية والاجتماعية**، فضلا عن **المادة الفقهية التعليمية** التي قدم في عرضه لمناسك الحج.

فهو في كل مرحلة يعرف بموقعه وحد هذا الموقع كقوله «ثم نزلنا خلاء يعرف ببير الدركين قيل انه حد الحجاز من جهة الغرب». وكقوله عن **النمرة** «وهي حد عرفة من جهة مكة». وهو في جميع الاماكن التي مر بها مهتم بقضية الماء، وهي حيوية بالنسبة للحجاج، فيقول «ونزلنا بندرا يقال له الوجه وماؤه حلو لا بأس به ثم .. نزلنا واديا يحفر فيه الحجاج وهو ملح اجاج يسهل شاربه وبعضه أشد ملوحة من بعض».

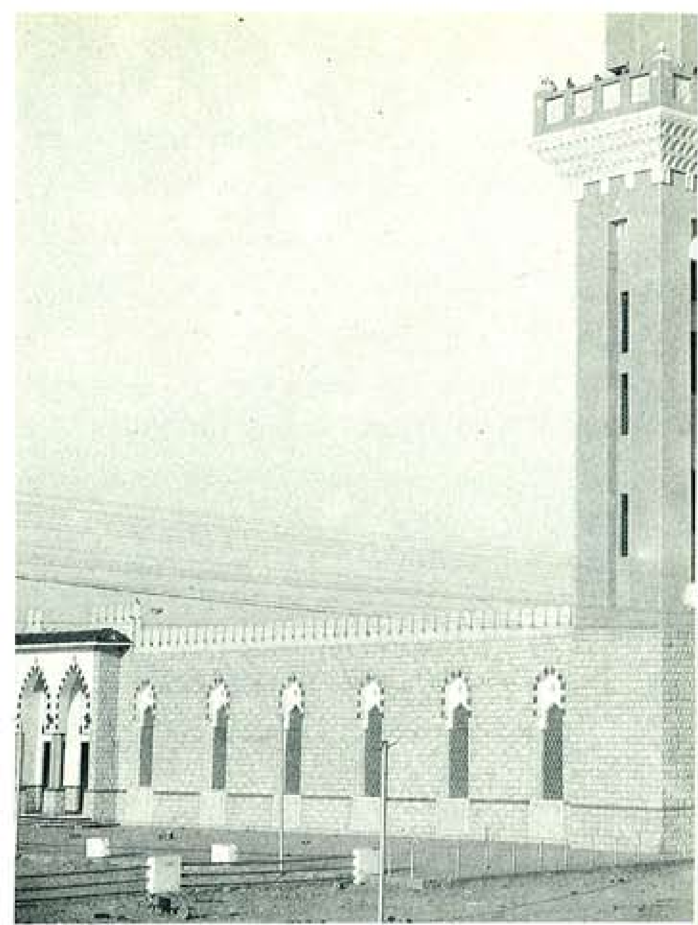
ثم انه في استعراضه لمختلف المراحل والمواقع يعطي **البيانات الجغرافية والتاريخية** اللازمة كقوله عن **الينبوع**: «ثم نزلنا الينبوع وهي قرى كثيرة ذات نخيل ومياه وقيل انها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقمنا فيه يوما وماؤه حلو وطيب، وهي مرسى تخرج فيها اقوات اهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وتحمل منه اليهم».

وكان اهتمام الحضيكي **بالجانب التاريخي** كبيرا، وخاصة ما يتصل منه بالرجال حيث نجده يلتفت اليه وهو ما زال بعد في المغرب. ففي سجلماسة تحدث عن «شيخ من شيوخ الوقت عظيم الشأن والقدر طويل الباع في علوم الشرع وله يد بيضاء في علوم القراءات» ويتحدث عن هذا الشيخ بأنه:

«سلمت له العامة والخاصة في العلوم والعمل ونشرت صيته في المغرب والشرق وصار في نواحي الغرب فريدا وحيدا بعلوم الحقيقة والشريعة».

مسجد نمرة في عرفات

[1] وهو مكان الاحرام بالنسبة للمغاربة.



ويصف هذا الشيخ بانه «نحيف الجسم في سن الشيخوخة» كما يروي أن «شهرته **بابن الحبيب** واسمه **احمد بن الحبيب**».

ولا بدع ان يهتم الحضيكي بهذا الجانب طالما انه صرح في أول رحلته ان الهدف منها هو ذكر رجال العلم واشياخه من المغاربة والمشارقة.

وفي نطاق اهتمامه بالجانب التاريخي نجده لا يمر بقرية أو مدينة دون ان يزور اضرحة اوليائها وعلمائها فقد تحدث في الحجاز عن قبور الشهداء والصحابة وأزواج النبي وعن المساجد والبقاع على حد ما فعل حين استعرض قبور البقيع وكذلك حين عدد مزارات مكة «واولها **البيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم** .. وقد جعلته **الخيزران** جارية المهدي مسجدا يصلى فيه واخرجته من الدار الى الزقاق الذي يقال له **زقاق المولد**. والثاني **منزل خديجة عليها السلام** الذي كان يسكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة وفيه ولدت أولادها منه صلى الله عليه وسلم، وفيه توفيت خديجة رضي الله عنها ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم مقيما به حتى هاجر فأخذه عقيل ثم اشتراه منه معاوية فجلعه مسجدا يصلى فيه وبناه. والثالث مسجد في دار الارقم عند الصفا ويقال لها «**دار الخيزران**» كان النبي صلى الله عليه وسلم مستتراً فيه في بداية الاسلام. والرابع مسجد بأعلى مكة عند الردم عند بني جبير بن مطعم. الخامس مسجد بأعلى مكة ايضا يقال له «**مسجد الجن**» يقال موضع الخط الذي خطه لابن مسعود ليلتئذ ويقال له «**مسجد البيعة**» لان الجن بايعوه صلى الله عليه وسلم هناك. السادس مسجد بأعلى مكة يقال له «**مسجد الشجرة**» يقابله مسجد الجن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا شجرة كانت في موضع ذلك المسجد فأقبلت تخط الارض حتى وقفت بين يديه ثم أمرها فرجعت. السابع مسجد يسميه اهل مكة «**مسجد عبد الصمد بن علي**» لانه بناه الثامن مسجد الموقف يقال له «**مسجد ابراهيم**»، وهو غير مسجد عرفة الذي يصلي فيه الامام، التاسع مسجد بمنى يقال له «**مسجد الكبش**» لان الكبش الذي فدى به ولد ابراهيم عليه السلام نزل هناك. العاشر مسجد على جبل ابي قبيس يقال له «**مسجد ابراهيم**» بعضهم وليس هذا بالخليل. الحادي عشر مسجد باعلى مكة عند سوق الغنم يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح. الثاني عشر «**مسجد العقبة**» حيث بايعه الانصار. الثالث عشر مسجد «**بذي طوى**». الرابع عشر «**مسجد الجعرانة**» حيث أحرم صلى الله عليه وسلم. الخامس عشر «**مسجد التنعيم**» حيث احرمت **عائشة رضي الله عنها** بأمره صلى الله عليه وسلم السادس عشر «**جبل حراء**» حيث يتعبد صلى الله عليه وسلم. السابع عشر «**جبل ثور**» الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الهجرة.

ويتضح ميل صاحب الرحلة الى تقديم معلومات عن البقاع التي زارها في مثل قوله عن المسجد الحرام «أعلم ان المسجد الحرام كان صغيرا، ولم يكن عليه جدار وانما كانت الدور محدقة به وبين الدور ابواب يدخل الناس من ناحية فضاق المسجد على الناس فاشترى **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه دورا فهدمها ثم احاط عليه جدارا قصيرا ثم وسع المسجد **عثمان بن عفان** رضي الله عنه فاشترى من قوم ثم زاد فيه **ابن الزبير** رضي الله عنهما اشترى دورا فادخلها فيه. ثم زاد **المنصور** في شقة الشامي. ثم زاد **المهدي**، وكانت الكعبة في جانب فأحب ان تكون وسطا فاشترى دورا ووسطها. **وأول من نفد اليه اساطين الرخام وسقفه بالسياج المزخرف الوليد بن عبد الملك**.»

وتصل المعلومات التي يقدم عن المشاهد والمزارات الى درجة كبيرة من الدقة على حد وصفه لغار ثور بأنه «غار له بابان بابه الاصلي الذي دخل منه صلى الله عليه وسلم الى جهة المغرب، فيه ثلاثة أشبار عرضا وفي ارتفاعه أزيد من شبر وبابه الشرقي أوسع وفي وسطه قدر قامة الانسان وسعته نحو عشرة أذرع».

اما الجانب الاقتصادي فيبدو عند الحضيكي في بعض الملاحظات التي انتبه اليها ونفث الانظار كقضية العملة المحلية وضرورة تحويلها الى ذهب وكبعض السلع القابلة للتبادل والمقايضة. وفي ذلك يقول «ولك ان تصرف دراهمك بالذهب فانه هناك أرخص تبراً ومسكوكا مما استقبلته الى بلاد الشرق. وفيه فائدتان يروج في كل بلد امامك وتصيب به غرضك حيث كنت وكيف شئت بخلاف هذه الدراهم الاسماعيلية فرواجها في عمالة المغرب فاذا خرجت منها فلا تروح الا ببخس، والفائدة الثانية انك اذا صرفتها تبرا كان او مسكوكا خف عليك حمله، تشده الى بطنك او تعلقه على جنبك فلا يثقلك اذ من اهم الامور ان تصاحب نفقتك ولا تفارقها طرفة عين في الحركات والسكنات يخافه السراق وتدفعه ايضا في بلاد الشرق بأكثر مما اخذته به هنا ولك ايضا ان تشتري العطرية **الكحل والشب والكبريت والمشط والمرآة والجلود المدبوغة** الحمر والصفر والنعال فانك ستلقى العرب رجالا ونساء يسألون عن ذلك ومعهم **اللحم والخضر والفواكه والسمن واللبن** وغير ذلك يدفعونه في العطرية ولا تنال غرضك منهم الا بها»..

ومما يدخل في هذا الجانب الاقتصادي ما ذكر الحجاج في منى بعد ان نحروا وافاضوا «أظهروا من الزينة والحلي والحلل وانواع الملابس ما لا عين رأت ولا اذن سمعت من نسج **اليمن والعراقين والهند والروم وخراسان وانواع الطيب** واختلاف الوانه تهب به الريح من كل جانب وتفوح به الهواء وانواع السلع ونفائسها وتشريق اللحوم بأطيابها، وأبرزوا تجارتهم بأصنافها، فيالذلك الموسم المعظم والمربح الكبير الجسيم من بركة عظيمة فليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم».

والرحلة بعد هذا غنية بالارتسامات الاجتماعية على حد قوله عن **أهل مكة** بانهم «**اهل كرم وجود وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة، والوانهم الى الادمة ناضرة ظهرت فيهم سمة المجاورة وغطتهم محاسن الكعبة**».

وقد كتب الحضيكي رحلته باسلوب تبدو العبارة فيه مركزة وموجزة وسهلة في الغالب[3]، لا يميل الى السجع الا في بعض الوقفات التي تهدأ فيها نفسه ليتذكر ويتأمل أو يدعو ويتوسل كقوله حين توقف في **رابغ**: «فلما كشف الليل سر باله وشمر أذياله، وأسبل النهار اضواءه وأظهاره، بادر الناس اغتنام سنة الاشعار والتقليد، وخلعوا المخيط بالتجريد، وعملوا بالتأزر والانتعال، بعد التنصف والاغتسال، واستأنسو بالتلبية والابتهال، من طول الوحشة والاوجال، وركبوا وقد استهل برؤية الهلال، على متون الرواحل والجلال ونادى مناديهم بالارتحال، وازدحموا للتحول والانتقال، واهلوا بالحج على الجبال، مقبلين على مواطن الخيرات والاعمال، اماكن تحط فيها الاوزار والاثقال، وترفع فيها الاكف الى **الله مولانا المتعال** ومواضع الرجاء والتضرع والاستقال، حيث يرضى المولى الجليل عبده الحقير بالغفران والكمال، واسباغ النعم ودرور الارزاق واسترسال مهبط الرحمة والبسط والانس والاعتدال، ام القرى وحرم الله ذي الاكرام والجلال، سبحانه من الاله بلا مثال، والله يوفق لصالح القول والفعال».

وهو في اسلوبه يتوسل بصيغ الخطاب والتنبيه والتوجيه على حد ما رأيناه في بعض النصوص التي أوردنا حيث يستعمل كلمات كـ: اعلم – ولك – اياك–. ثم انه غالبا ما يستطرد بعرض المعلومات أو ذكر الادعية والنصائح او للاستشهاد ببعض الابيات والمقطوعات التي تضفي على رحلته جوا شعريا يزيد في بث الشحنات العاطفية التي تثيرها البقاع المقدسة، كانشاده عن المدينة المنورة شعرا.

[3] قد يظهر بعض القلق والاضطراب في العبارة ولكنه راجع الى النسخ.

المراجع والمصادر

* تاريخ ابن خلدون ج٦.
* القرطاس لابن ابي زرع (ط حجرية).
* الاستقصاء للناصري ج٢ (ط الدار البيضاء)
* الدرر البهية والجواهر النبوية لادريس العلوي ج١ (ط حجرية).
* المن بالامامة لابن صاحب الصلاة – تأليف د. عبد الهادي التازي.
* وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ تأليف د. عباس الجراري (ط دار الثقافة – الدار البيضاء).
* مناقب الحضيكي للحشتيمي.
* مجلة «المناهل» العدد ٨ (وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية – الرباط – المغرب ١٩٧٧م.

شعرنا المسرحي الحديث

بقلم: عبد الله الماجد



شكسبير





أرسطو

احمد شوقي

اذا كان الشعر **الدرامي** هو الذي خلد **شكسبير** اكثر من ثلاثة قرون، ولا زال بريقه يتقد من وراء تلك القرون، فإن مستقبل الشعر العربي الذي سيخلد شعراءه هو نفسه الشعر الدرامي، ذلك ان الشعر اصلا نشأ شعرا دراميا، وليس من منافاة الصواب، **ان نقول ان المسرح هو اب الفنون فقد كان المسرح منذ نشأته شعريا، وسيظل الشعر هو مجال المسرح الحقيقي.**

ان درامية الحياة، وما ينشأ فيها من صراع اوجده الانسان هي المهمة الاصلية للمسرح، وهي مهمة لن يبلغها الا بالتعبير الدرامي، ومايزال صوت الفيلسوف الاغريقي «**ارسطو**» يرن رنين الذهب الخالص، عندما اشار الى ان التاريخ حينما يسجل بالشعر يبقى تاريخا، وانه لا فرق في ذلك في ان يسجل بالنثر او الشعر.

.. لكن الخلاف هو ان الشاعر يجب ان يبدع شعرا لاحداث لم تحدث بعد وهو الفرق في ذلك بين **المؤرخ** .. **والشاعر**.

المؤرخ والشاعر

لقد كان المعلم الاول يشير الى ان كتابة التاريخ هي «الصورة الجامدة الطبيعية» للاحداث التي حدثت وشكلت الحياة، بينما تبقى الصورة المتحركة مجال الشاعر الحقيقي،

ليس من منافاة الصواب أن نقول إن المسرح هو أب الفنون، فقد كان المسرح منذ نشأته شعريًا، وسيظل الشعر هو المجال الحقيقي للمسرح.

لكن هل تكفي هذه الصورة المتحركة لتوجد فرقا بين المؤرخ الشاعر والشاعر؟

.. الجواب على ذلك يحدده منطق الحياة، الذي اشار اليه الفيلسوف الالماني **هيجل** فيما دعاه بالتناقض، تناقض الحياة .. هذا التناقض الذي يراه الانسان في حياته اليومية بين البكاء والضحك، بين الحياة والموت بين المرض والصحة ... الخ .. هو الصورة الكبيرة للدراما التي تتشكل منها الحياة، وهي الصورة التي يرسم منها الشاعر صوره المتعددة، وحينما يكمل الشاعر رسم صورته مجسدا موقفه في ظل الصراع الانساني الممتد مضمونا، وفي اطار الصورة الدرامية التي تجمع بين بعدي الزمان والمكان شكلا ومضمونا، يكون ذلك هو الفرق بين المؤرخ والشاعر..

بدايات شعرنا المسرحي

وعلى هذا المستوى المبدئي من الفهم للمسرح الشعري، يكون من الصعب تحديد بداية شعرنا المسرحي الحديث، بل سيبدو حكمنا قاسيا على كل البدايات التي يعتقد انها تشكل بداية حقيقية لمسرح شعري عربي اصيل، فحينما ننظر في مسرحة الشاعر الكبير **أحمد شوقي** الاولى «**علي بك الكبير**» التي كتبها عام ١٨٩٣ م نجد انها تتخلى عن التعبير الدرامي لتفسح المجال للغناء الذي ينسي الشاعر موافقة الدرامية وربطها في وحدة فنية فضلا عن موضوع المسرحية، الذي لا يصلح ان يكون موضوعا ذا مضمون درامي، وعلى العكس من ذلك حينما توفر للشاعر مضمون درامي كقصة «**مجنون ليلى**» صاغ منها مقطوعة غنائية طويلة.

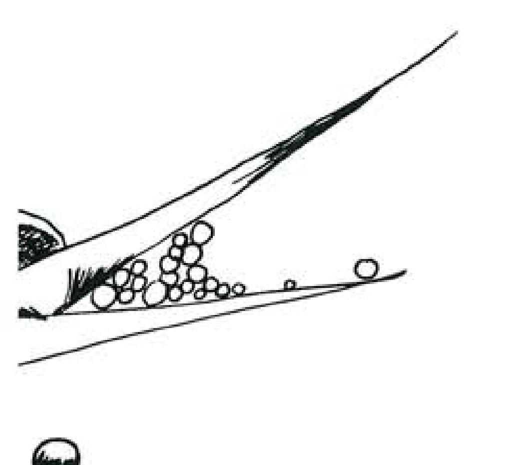
وعلى هذا فجميع ما كتبه شوقي في المسرح لا يشكل بداية اصلية للمسرح الشعري العربي، ولا حتى «**خليل البازجي**» الذي كتب مسرحية «**المروة والوفاء**» و «**عبد المطلب ومحمد عبد المعطي مرعي**» اللذان ألفا مسرحيتي «**حرب البسوس**» و «**امرئ القيس**» ١٩١١ م او **عبد الله البستاني** الذي ألف عدة مسرحيات شعرية (انظر مقالة احمد عبد الرحمن بمجلة الادباء العرب العدد الثامن ١٩٧٢ م عن المسرح في الادب العربي).

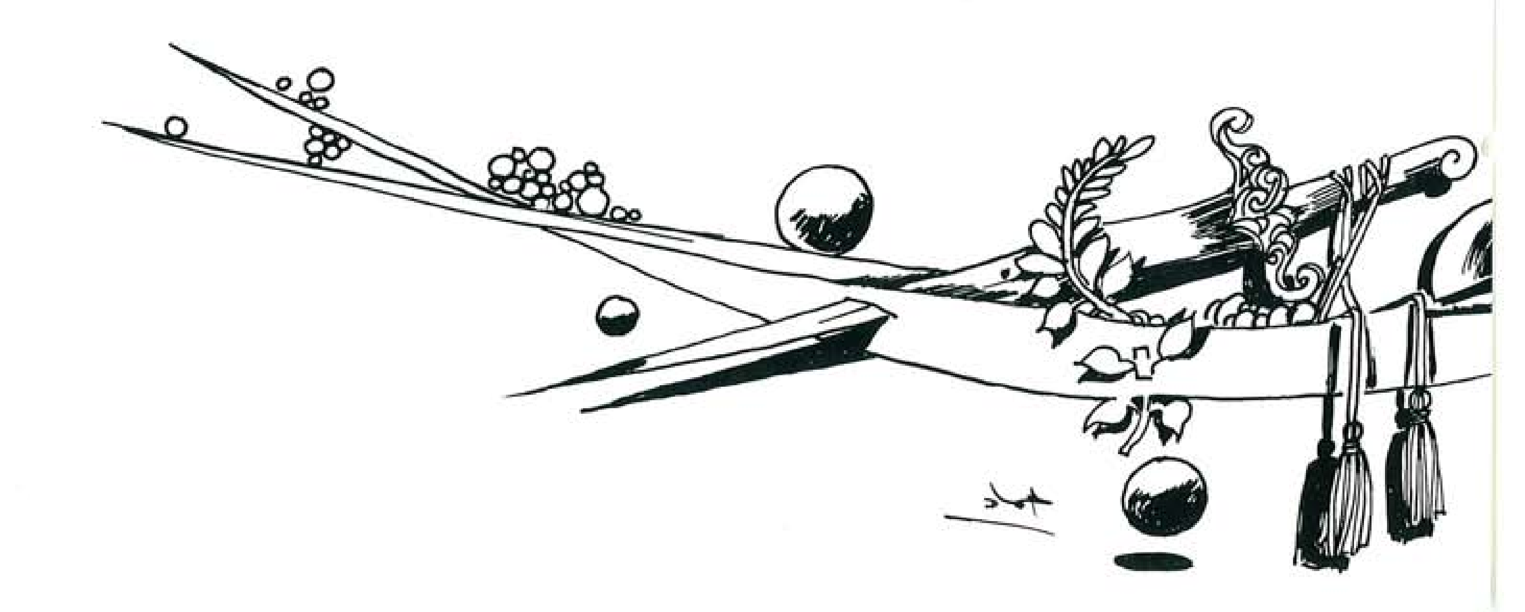
واخيرا يلحق بهما الشاعر الكبير **عزيز اباظة** .. فإن ما كتبه هؤلاء، وغيرهم مما يند عن البال في هذه اللحظة، لا يشكل سوى عدة **قصائد غنائية**، او قصيدة غنائية طويلة قسمت الى عدة اقسام ووزعت على عدة شخصيات كأي دور في اية تمثيلية تلفزيونية او حتى سينمائية، واين هذا كله من الدراما الحقيقية؟

الشعر المرسل في المسرح

وقبل قيام «**جماعة ابوللو**» يحاول عدد من الشعراء كتابة «**الشعر المرسل**» كتوطئة لكتابة «**الملاحم**» والمسرحيات الشعرية، منهم «**عبد الرحمن شكري**» و «**الزهاوي**» و «**توفيق البكري**» و «**احمد زكي ابو شادي**» ولم ينجح اي منهم في كتابة الشعر المرسل. الا حينما حاول **محمد فريد ابو حديد** ان يكتب في عام ١٩١٨ مسرحيته «**مقتل عثمان**» وينشرها عام ١٩٢٧. ويعقبها بمسرحيتين هما «**خسرو شرين**» و «**ميسون الغجرية**» ويترجم بعدهما ملحمة «**سهراب ورستم**» للشاعر «**ماتيو ارنولد**» واخيرا يتوج اعماله الناجحة - اذا ما قيست بمن سبقه - بترجمته لمسرحية شكسبير **ماكبث**. وكانت اول ترجمة لهذه المسرحية **لعبد الملك ابراهم واسكندر جرجس عبد الملك** عام ١٩٠٠ م.

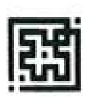
وبنفس المستوى يترجم «**علي احمد باكثير**» مسرحية «**روميو وجوليت**» سنة ١٩٣٧ «وربما كان النجاح الذي لمسه باكثير في ترجمته لشكسبير دفعه الى ان يؤلف مسرحيته «**السماء او اخناتون ونفرتيتي**» سنة ١٩٤٣.





ترجمة الشعر المسرحي

لقد تميزت تجارب ابو حديد وباكثير في المسرح الشعري بفهمها لطبيعة التعبير الدرامي في الوقت الذي سقطت فيه العديد من التجارب المعاصرة لها، واذا ما أتيح لنا الاطلاع على النماذج القليلة التي نشرها الدكتور **محمد نجم** في كتابه عن **المسرحية في الادب العربي** التي تمثل الخطوات الاولى في ترجمة مسرح شكسبير مثل ترجمة «**نجيب الحداد**» لروميو وجوليت فاننا سندرك الفهم البدائي الساذج الذي كان ينطلق منه مترجمو شكسبير او كما قال الدكتور نجم العبث في هذه التراجم، وحتى بعد زمن متأخر من صدور تلك الترجمات حينما اقدم الشاعر الكبير «**خليل مطران**» على ترجمة بعض مسرحيات شكسبير لم تكن تلك الترجمات تشكل اي فهم واع لطبيعة الشعر الدرامي الذي يتميز بالحركة والمواقف الشعرية المكثفة بالاساطير التي تشعل الصراع الدرامي وتشكل موقفه، وليس ادل على ذلك من ان مطران ترجم مسرحيات شكسبير عن الفرنسية، فأي تصور لما ستؤول اليه لغة شكسبير بعد نقلها من لغة الى لغة شكسبير ثم نقلها من لغة الى لغة، خاصة اذا كانت هذه اللغة تتميز بالحركة والتكثيف الدرامي انها بعد ذلك ستصل حتما الى درجة من النثرية والاسفاف يأنفها اي عمل درامي .. ولا يقلل من حكمنا هذا ان ترجمة «**مطران**» امتازت بفخامة العبارة وبلاغة اللفظ فليست هذه العوامل مما يتطلبه نقل العمل الشعري الدرامي، بقدر ما يتطلب المحافظة على النفس الدرامي، وعلى الشحنات الحادة التي تفيض بالصراع المأساوي القلق. هذه العوامل التي تشكل التعبير الدرامي كان «**محمد فريد ابو حديد**» على وعي بها، يتضح ذلك من مقدمته المطولة لترجمته لمسرحية «**ماكبث**» وهو ما ارجو ان يتاح لي الوقت للوقوف عليها، حتى نخلص من ذلك الى التطورات التي اعقبت تلك الفترة مرورا بأحدث الترجمات العربية لشكسبير حتى نقف على التطور الطبيعي في شعرنا الحديث الذي اوصل بعض شعرائه الى ان يفتحوا ستارة المسرح بثبات ووعي على مسرح شعري حقيقي.



الإنسان ومشكلة الغذاء

إعداد: محمد مبارك

يمثل تطوير الزراعة لمواجهة نقص الغذاء في العالم تحديا كبيرا امام العلماء المختصين .. فاعداد سكان العالم في تزايد مستمر، والغذاء لا يواكب في زيادته ارتفاع نسبة المواليد. والزراعة اليوم ليست فقط علم النبات بجوانبه المختلفة، بل تشمل ايضا تربية الحيوانات المزرعية، والدواجن، والأسماك والغابات.

ومع تطور العلوم اهتم الانسان بسبل توفير حياة اكثر هدوءا وأسهل مما كان عليه الآباء والأجداد .. كما اهتم بصحته بحيث تدل المؤشرات ان نسبة الوفيات في هذا العصر بسبب تطور صناعة الادوية والصناعات الاخرى التي توفر سبل العيش ببساطة لانسان اليوم .. أقل مما كانت عليه في الماضي .. لكن **مشكلة نقص الغذاء أمام التزايد المستمر لعدد السكان أصبحت هي المشكلة الاساسية التي تواجه عالم اليوم** .. هي المشكلة لابد ان تكون مواجهتها في اطار عالمي مثلما هي تمثل تحديا ليس لبلد واحد او بلاد محددة وانما للعالم اجمع في المستقبل.

وقد يتطلب الأمر لتطوير الزراعة في مواجهة نقص الغذاء .. تعبئة الموارد البشرية، وتحقيق التوازن الطبيعي، والمواءمة بين عناصر الانتاج الزراعي الرئيسية وتحقيق أعلى توافق بين امكانات التقنية والاقتصادية في الانتاج والعمل على تحقيق التوازن بين الطلب والعرض للانتاج الزراعي. وقد طرحت مجلة الفيصل هذه المشكلة في ندوتها لهذا



اشترك في الندوة:

د. عبده سعود المشهدي - السعودية • د. رشاد الناظور - الأردن • اسماعيل أورهان تبركوز - تركيا
د. فايز خصاونه - الأردن • د. أحمد سعيد الشيخ - مصر • د. عبد الرحمن الطيب عبد الحفيظ - السودان
جميلي ديانيال - الفلبين • د. محمد شافي - الهند • د. شابير حسين - باكستان • محمود بن جعفر - ماليزيا
د. عمر هجي - الحبشة • د. أسير محمد - باكستان • د. محمد خليل يوسف - مصر • د. عطا الله أحمد أبو الحسن - السودانية

الشهر أمام عدد من العلماء الزراعيين والجيولوجيين في بعض بلدان العالم وكيف يمكن تطوير الزراعة لمواجهة أزمة الغذاء ومواجهة الجوع الذي يهدد الانسان .. والذي قد يكون اشـــد خطرا على العالم من الحروب المدمرة.



عملية استغلال الموارد الارضية والمائية والبشرية والرأسمالية المتاحة للقطاع الزراعي في وحدات انتاجية بهدف انتاج الزروع النباتية والحيوانية اللازمة للانسان من ذلك يتضح انه سوف يكون بالامكان تطوير الزراعة وذلك عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد المختلفة باتباع الوسائل المثالية التالية:

** حصر الموارد الزراعية الارضية والمائية والعمل على استغلالها وصيانتها.

** العمل على زيادة حجم المزارع للاستفادة من المزايا المرتبطة بالسعات المزرعية الكبيرة، ويتم ذلك عن طريق تشجيع استخدام الميكنة الزراعية من خلال نظام التعاون الانتاجي.

** وضع وتنفيذ السياسات الزراعية الكفيلة بزيادة الاستخدام الأمثل للموارد المزرعية الارضية مثل:

أ- السياسات التي تستهدف زيادة الرقعة المزروعة من خلال برامج استصلاح واستزراع الأراضي وبرامج توسيع طاقة المشروعات الاروائية من جهة وبرامج زيادة الغلة الفدانية بزيادة استعمال الاسمدة المناسبة من جهة أخرى.

ب- السياسات التي تستهدف توفير الامكانيات اللازمة لتوزيع المدخلات المستحدثة وتقديم التسهيلات الائتمانية والموارد الزراعية الرأسمالية وتوفير الامكانيات التسويقية وما يتضمنه ذلك التوسع من اقامة شبكات الطرق ووسائل النقل المناسبة.

** المحافظة على خصوبة التربة باتباع الطرق العلمية السليمة في التسميد بالنسبة لكمية ونوع وطريقة اضافتها.

** رسم سياسة وقائية للنباتات من الحشرات والامراض المختلفة.

** دفع الابحاث نحو ايجاد أصناف جديدة من المحاصيل ذات النوعية الجيدة والانتاجية العالية ومقاومتها للآفات الزراعية وتحملها لحالات الجو المعاكسة كالجفاف والحرارة والبرودة.

** زيادة الكفاءة الانتاجية للحيوانات عن طريق استجلاب سلالات معينة لانتاج اللحم واخرى لانتاج اللبن وايضا بالنسبة للدواجن لانتاج البيض واللحم.

** وقاية الحيوانات والدواجن من الأمراض الوبائية عن طريق المحاجر الصحية والتطعيم والتوعية البيطرية للمزارعين.

** ايجاد مصادر اخرى بجانب البروتين الحيواني كالبكتريا والطحالب والفطر.

بالاضافة الى ذلك يجب ان ندرك دور الارشاد الفعال في عملية التطوير فالارشاد لا يقتصر على نقل نتائج البحوث الزراعية بعد تبسيطها الى الزراع بل يتجاوز ذلك الى الاسهام في زيادة فاعلية هذه النتائج وتجاوبها في المجال التطبيقي. ودور الارشاد في توعية الزارع وتغيير اتجاهاته وتطويره ومساعدته لمساعدة نفسه عن طريق اللافتات وبدون ممارسة اي ضغط او اجبار وتعريفه بدوره الفعال في تنمية موارد المجتمع الزراعية وصيانتها وحث المزارعين على احترام وتنفيذ اللوائح والسياسات الزراعية.»



تطوير عوامل الانتاج الزراعي

أما **الدكتور رشاد الناطور** استاذ ورئيس قسم العلوم

البيولوجية بالجامعة الاردنية فيركز على ضرورة تطوير عوامل الانتاج الزراعي وطرق مضاعفته ويقول:

«ان العوامل التي تحدد الانتاج الزراعي في اي بلد كان هي:

**** توفر الأراضي الخصبة**

**** توفر ماء الري «أو معدلات امطار موسمية مرتفعة نسبيا».**

**** توفر مزارعين وفنيين وخبراء باعداد ونوعيات مناسبة**

**** توفر الادوات والماكينات الزراعية اللازمة.**

**** توفر رأس مال معقول.**

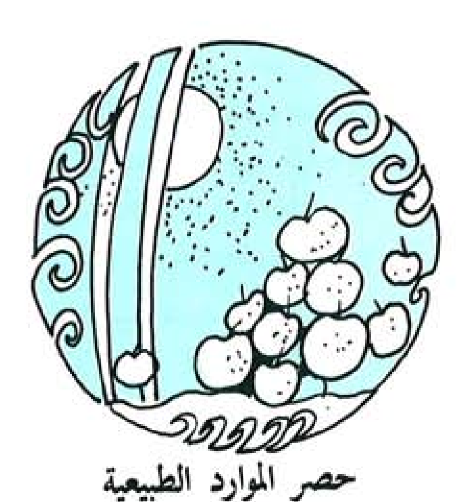
فاذا ما توفرت هذه العوامل أصبح بالامكان، وبيسر تطوير الزراعة بحيث يزداد الانتاج الزراعي لدرجة الكفاية على الأقل، وهناك عدة وسائل وطرق فنية متيسرة تساعد في مضاعفة الانتاج للوحدة الزراعية المعينة. فبالامكان في كثير من الحالات زراعة نفس الارض مرتين في السنة، كما ان توفير الاصناف المحسنة من بقوليات وحبوب وخضار واشجار فاكهة يزيد الانتاج بنسبة عالية جدا .. ومع الأسف فان هذا الأساس غير متبع في بلدان كثيرة في العالم.

ويمكن زيادة الانتاج الزراعي عن طريق زيادة الانتاج الحيواني بزيادة اعدادها وكذلك بتحسين أنواعها.

كما ان انتاج الاسماك (تربيتها) في برك صناعية من الماء العذب لأمر متيسر وسهل للغاية، الا انه لا يمارس بشكل جدي في العالم حتى الآن.

ومن الطبيعي جدا ان يواكب عمليات زيادة الأراضي المروية باستصلاح اراض جديدة وزيادة الدورات الزراعية وتكثيف الزراعة والتوسع في تربية الحيوانات مع تحسينها لابد ان يواكبها في نفس الوقت عمليات فنية اخرى كثيرة أهمها حماية المحاصيل الزراعية والحيوانات من الأمراض والآفات الحشرية، وتحسين الغذاء للحيوانات، وتزويد التربة بالمخصبات بشكل مستمر ومكافحة الأعشاب.

كما يجب في رأبي لانجاح مهمة الانتاج الزراعي ب... كـ... عام لغرض زيادة انتاج الغذاء التوسع في عمليات التصنيع الزراعي لحفظ الفائض من الغذاء المنتج».



حصر الموارد الطبيعية

ويدلي **الاستاذ اسماعيل اورهان تبركوز** – وكيل وزارة الاصلاح الزراعي في تركيا ومستشار رئيس الوزراء برأيه لحل مشكلة نقص الغذاء التي تهدد الانسان في النقاط التالية:

**** القيام بحصر لجميع الموارد الطبيعية .. مثال ذلك، الاراضي الزراعية والمراعي والغابات والمياه والمناخ، ثم تصنيفها حسب كفاءتها الانتاجية.**

**** يجب ان يراعى في زراعة المحاصيل، مناسبتها للأرض والظروف المناخية وان توضع اعتبارات السوق (العرض والطلب) في الحسبان.**

**** يجب الاهتمام بالآلات الزراعية، والمعدات، والأسمدة، والمبيدات الحشرية .. الخ الى جانب الاهتمام بتعليم وتدريب وتثقيف العاملين بالزراعة.**

**** يجب بذل الجهود الكفيلة بتطوير الصناعات الزراعية عموما والصناعات الغذائية بصفة خاصة.**

عوامل تطوير الزراعة

ويشارك **الدكتور فايز خصاونة** – من الاردن – **والذي يعمل باحثا علميا بالمركز القومي لتطوير الأسمدة بهيئة «وادي تينسي» في الولايات المتحدة الامريكية يشارك برأيه في هذه الندوة بقوله:**

«ان هناك عدة عوامل ... من اجل زيادة الانتاج «غذاء وخيوط» وتنقسم هذه العوامل الى قسمين: عوامل مباشرة:

** زيادة الميكنة من اجل الاقتصاد في الايدي العاملة ومن اجل اتاحة المجال امام الفلاح الواحد ان يفلح ارضا واسعة يكون إنتاجه منها يزيد عن حاجته وحاجة عائلته الغذائية بحيث يستطيع ان يبيع الفائض في الاسواق.

** زيادة استعمال الاسمدة الزراعية بطرق مربحة، وليس بطرق عشوائية، فان استعمال السماد الزراعي ان لم يكن حسب أصوله العلمية فانه يؤدي الى خسائر وانخفاض المحاصيل، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعزى حوالي نصف انتاج المحاصيل الزراعية الحالية الى استعمال الاسمدة الزراعية المناسبة.

** استعمال البذور المحسنة وطرق وقاية النباتات المناسبة.

عوامل غير مباشرة:

وقبل ان تسنح الفرص لهذه العوامل بان تؤثر على مجرى التطور الزراعي فان هناك العوامل غير المباشرة وهي:

** تغيير قوانين الحيازة او الامتلاك، وكذلك قوانين الايجار والاستئجار للاراضي الزراعية بحيث تسمح للمزارع ان يزيد المساحات التي يزرعها كما تسمح له باستثمار عوامل الانتاج بشكل مجد.

** تغيير قوانين الاقتراض من البنوك الزراعية بحيث تسهل على المزارع الحصول على رؤوس الاموال التي تلزمه.

بالاضافة الى ذلك فان الامر يتطلب انشاء معاهد للبحوث العلمية المختصة بالزراعة.



العنصر البشري .. والروتين

كما شارك في هذه الندوة من مصر **الدكتور أحمد سعيد الشيخ** وكيل كلية الزراعة بجامعة الأزهر ورئيس جمعية الانتاج الحيواني المصرية .. فتحدث عن وسائل تطوير الزراعة في مواجهة الجوع، وحددها في النقاط التالية:

** تطبيق الوسائل التكنولوجية الملائمة للبيئة المحلية، وليس التكنولوجيا المستوردة دون تطوير لاختلاف الظروف في كل دولة.

** العناية بالعنصر البشري تدريبا وارشادا، وتنمية الوعي بين المزارعين والفلاحين ورعايتهم صحيا.

** القضاء على الروتين واستخدام العاملين الاكفاء في الادارة.

** البحث العلمي المنظم لوضع الحلول للمشكلات ورصد المبالغ اللازمة لتشجيع الباحثين على حل مشكلات محددة.

** الاهتمام بالتصنيع الزراعي.

** دراسة اقتصاديات المحاصيل الزراعية والحيوانية والاتجاه نحو التخصص في الانتاج

** حل مشكلة نقص المياه اللازمة للزراعة والاستزراع الصحراوي.



تزايد عدد السكان

ومن السودان يدلي **الدكتور عبد الرحمن الطيب عبد الحفيظ** عميد كلية الزراعة بجامعة الخرطوم برأيه مقدما لمشكلة تزايد التعداد السكاني في العالم .. وطارحا وجهة نظره حول قضية تطوير الزراعة لمواجهة هذا التزايد البشري فيقول:

«ان التعداد السكاني للعالم سيتضاعف في عام ٢٠١٠ وسيقفز من ٤ بليون الى ٨ بليون نسمة، وهذه الزيادة المضطردة في العددية لا تقابلها زيادة في الانتاج الزراعي، ولذا لابد من اتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة أزمة الغذاء العالمي المتوقعة.

وان اردنا تطوير الزراعة لمواجهة هذه الأزمة فلابد من اتخاذ خطوات جادة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

** استعمال الميكنة.

** استغلال الموارد الطبيعية من ماء وارض استغلالا أمثل لزيادة الانتاجية كما وكيفا.

** تطوير البحوث العلمية.

** تكثيف عمل الارشاد الزراعي ليرقى بالمزارع لانه العمود الفقري الذي يعتمد عليه نجاح وفشل الزراعة.

** التوسعة في التعليم الزراعي.

انتاج أوفر.

** اقامة مشاريع تسليف لتنمية الزراعة.

** انشاء شبكة طرق تربط المزارع بالأسواق.

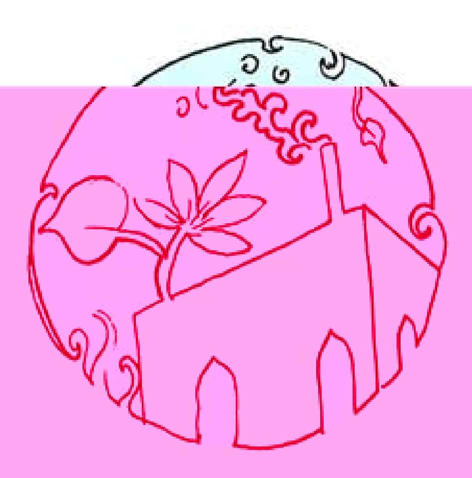
** تحسين وتطوير نظام الري.

** انشاء المستودعات المجهزة والمناسبة.

** الاستعمال الصحيح للمبيدات الحشرية ومكافحة الآفات.

** استخدام تقاوي وبذور عالية الانتاجية.





الترشيد الزراعي العلمي

ويرى الأستاذ **جميل دانيال** من الفلبين والذي شغل عددا من المناصب في حقل الزراعة منها نائب رئيس هيئة الارشاد الزراعي، يرى لمواجهة مشكلة نقص الغذاء العالمي اتباع كل او بعض الأساليب التالية:

** اتباع الاساليب العلمية في اجراء الابحاث الزراعية المناسبة.

** التوسع في استصلاح الاراضي للحصول على

التخطيط بواسطة الخرائط

ومن الهند يشارك **الدكتور محمد شافي** استاذ ورئيس قسم الجغرافيا .. ووكيل الجامعة الاسلامية في «اليجار» سابقا .. يشارك بوجهة نظره قائلا:

«يجب ان تتطور الزراعة من اجل التغلب على مشكلة نقص الغذاء، ولكن التطوير يجب ان يكون على اساس علمي مخطط.

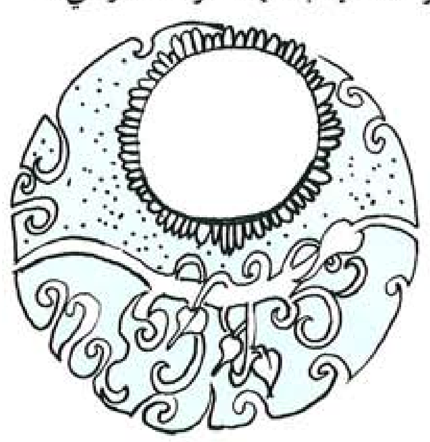
ولكي يمكن تحقيق التخطيط العلمي للزراعة، فان الواجب يحتم المعرفة التامة لموارد الأراضي.

فيجب ان تتوفر لدينا خرائط الأراضي التي تساعدنا على الاستعمال الصحيح للاراضي الموجودة بهذه الخرائط، فمنها نعرف اين توجد الأراضي الزراعية؟ وفيم تستعمل؟ كذلك نعرف منها اين الأراضي البور وسبب عدم زراعتها هل يرجع ذلك لقلة المياه؟ أو لقلة الجهد الذي يبذله المزارع؟ او لزيادة الملوحة والأحماض بالتربة؟

فاذا تمت مساحة الأراضي واعداد الخرائط، فان ذلك لن يؤدي الى زراعة اراض جديدة فحسب، بل والى ضمان

تخطيط متميز للمحاصيل.

ولقد استطاعت بريطانيا اثناء الحرب العالمية عندما توقفت وارداتها من البذور الغذائية، استطاعت زيادة انتاجها من الموارد الغذائية باستعمال خرائط الأراضي».



التشريع الاسلامي

ومن استراليا يطرح **الدكتور شابير حسين** الباكستاني الجنسية والذي يعمل مستشارا بهيئة تطوير نورث كوينزلاند في استراليا يطرح وجهة نظره في هذه الندوة قائلا:

«يجب ان تطور الزراعة في مجال التشريع الاسلامي الذي يحد من اساءة استعمال الموارد وضياعها، ويجب ان تطبق العلوم الزراعية الحديثة مثال ذلك:

** استعمال الاحصاء في جميع الأراضي التي تغل انتاجا زراعيا، وفي ادارة المزارع والحقول، ولسوف تساعدنا هذه الاحصائيات في الوصول الى تخطيط الانتاج وتحقيق الكفاية الذاتية حسب احتياجاتنا ومتطلباتنا.

** يجب تطبيق الوسائل الفنية والأبحاث الحديثة في مجال الانتاج. مثل استعمال الكمبيوتر في التقديرات والتطبيقات، والتصميات التجريبية، كما يجب استعمال الطاقة الشمسية اذا أمكن ذلك.

** ان تتضافر جميع جهود الانتاج بغية الوصول الى تحقيق الانسجام بين كافة الوسائل للوصول الى مستويات انتاجية عالية مع انخفاض العادم من الموارد.

** الاستفادة الى أقصى حد من الطاقة البشرية المدربة والمؤهلة، هذه الطاقة متوفرة في العالم، لكن توزيعها غير متناسب مع متطلبات النشاط الزراعي.

** توصيل الاختراعات والابتكارات الحديثة بسرعة الى المزارعين والمنتجين.

التخطيط والاستراتيجيات

ومن ماليزيا يسهم **الاستاذ محمود بن جعفر** مدير المزارع بكلية الزراعة في ماليزيا بوجهة نظره في هذه القضية قائلا:

«ان مشكلة الغذاء ليست ظاهرة مفاجئة، فهي تنشأ نتيجة التخطيط المضطرب والاستراتيجيات غير الدقيقة، ومن ثم يتعذر تطوير الزراعة على أساس سليم. فهي تتطلب اهتماما بالغا لمواجهة احتياجات الأمة.

وقد تستطيع الدولة تحقيق كفايتها، او حتى تحقيق فائض في الانتاج لكن ميزان مدفوعاتها يظل عاجزا نتيجة التخطيط غير السليم.

ولكي نستطيع تطوير الزراعة بنجاح .. لكي نخلص العالم وخصوصا العالم الاسلامي من مشكلة الغذاء، فانه يجب ان تتوفر لدينا الخطط والاستراتيجيات الملائمة لتحقيق هدفنا.

والدول الاسلامية بما تتمتع به من ظروف بيئية زراعية



جيدة، تستطيع المضي في طريقها لانتاج محاصيل زراعية، وهذه بدورها، وفي ظل الظروف الجوية المناسبة يمكن ان تهيئ انتاجا جيدا من منتجات الألبان، وفي نفس الوقت فانه يجب على الدول التي تستمد ثرواتها من غير القطاع الزراعي، ان تنهض بالزراعة في مجال استعمال الميكنة والأسمدة، وان تكون على استعداد لاستيعاب واستيراد المواد الغذائية من الدول المنتجة. وبهذه الطريقة تحقق فائدة ودعما اخلاقيا واقتصاديا

يعتبر بمثابة حافز للدول المنتجة، ومن ثم تدعم الروابط بين الدولتين (المستوردة والمنتجة).

كذلك فان الدول الأقل تطورا في مجال الزراعة تستطيع التخطيط لسياسات بعيدة المدى بمساعدة الوسائل التكنولوجية الواردة من الدول المتقدمة في مجال الانتاج الزراعي».



الارادة السياسية

وبعلل **الدكتور عمر وهبي** رئيس قسم التسويق الزراعي باللجنة الاقتصادية لافريقيا التابعة لهيئة الأمم المتحدة بأديس أبابا في الحبشة يعلل لأزمة نقص الغذاء في الدول النامية اولا .. ثم يسرد الحلول التي يراها فيقول:

«تبرز أزمة نقص الانتاج الغذائي بصفة خاصة في البلاد النامية وذلك لعدة اسباب اهمها اسباب تاريخية وهي توجيه اهتمامات واستثمارات الدول النامية الى المحاصيل التصديرية التي تصدر كمادة خام للدول الصناعية. وقد اقتصر انتاج الغذاء على صغار الزراع بغرض الاكتفاء الذاتي كهدف أساسي دون انتاج فائض تسويقي الا بالقدر اليسير.

لذلك يجب لكي تطور الزراعة في الدول النامية لمواجهة الأزمة الغذائية ان تتوفر لدى حكومات تلك الدول وقبل كل شيء الارادة السياسية للتوسع في الانتاج الغذائي ليس فقط في صورة خطة تنمية ذات أهداف براقة موضوعة بغرض الحصول على مكاسب سياسية وقلما تتحقق هذه الأهداف في معظم خطط التنمية لأنها دائما مبالغ فيها، ولكن يجب ان تترجم هذه الارادة السياسية في صورة ارتباطات مالية واستثمارية محددة بمصدر هذه الموارد وتوزيعها زمنيا على مختلف المشاريع الزراعية بصورة علمية دقيقة.

اما دراسة وتقييم المشاريع اللازمة فهو شيء ليس بالعسير وذلك لوجود الفنيين للقيام بهذه المهمة طالما كان الجهاز التنفيذي قادرا على القيام بمهمته بكفاءة وأمانة واخلاص.

زيادة انتاجية الأراضي

ومن الباكستان يتحدث **الدكتور أمير محمد** نائب عميد كلية الزراعة ليالبور عن هذه المشكلة قائلا:

«ان أفضل استراتيجية لتطوير الزراعة لمواجهة مشكلة الغذاء التي تعتبر وشيكة الوقوع، هو التركيز على زيادة انتاجية الفدان في الأراضي الصالحة للزراعة. وتشير التقديرات ان انتاجية الفدان، في الدول النامية، يمكن زيادتها الى الضعف او على الأقل الى ٥٠٪، اذا استعملت الأساليب الزراعية المتطورة واستغلت الموارد المناسبة كالتقاوي المنتقاة والمخصبات المتوازنة والمبيدات الحشرية. وتعتبر هذه هي الخطوة الاولى للتغلب على مشكلة نقص الغذاء التي تواجهنا.

ان اصلاح الاراضي المالحة والمغمورة بالمياه، والتي أصبحت مشكلة كبرى في كثير من البلدان، يجب اجراؤها فورا. وهي مشكلة يمكن حلها اذا توفرت لها الاعتمادات المالية اللازمة.



ان الزراعة تمارس، في أغلب الدول النامية، كحرفة تقليدية اكثر منها كصناعة حديثة. واذا نظمت أساليب معالجة المحاصيل بطريقة عقلانية من أجل الحصول على أكبر فائدة ممكنة من مجموعة الموارد الطبيعية المتاحة – كالتربة والماء والمناخ – فان الانتاجية سترتفع لا محالة. على انه لا يجدر بنا المبالغة في دور البحوث التي تشمل العلوم الاجتماعية والفيزيائية والبيولوجية. ذلك ان تثقيف الفلاح من خلال وسائل الارشاد الزراعي المتنوعة، يمكن ممارسته على مستوى كبير، كما يجب ان تكون اساليب الارشاد الزراعي مناسبة

للظروف والتقاليد المحلية لكل دولة على حدة .. كما انه لا يمكن تطبيق وسائل ثبت نجاحها في دول متطورة، على دول اخرى نامية ذات ظروف زراعية مختلفة.



تعمير الصحارى

ويقول الدكتور **محمد خليل يوسف** استاذ ومدير معمل الفسيولوجيا التطبيقية بمعهدا أبحاث الصحراء بجامعة نيفادا .. وهو مصري الجنسية يقول:

«ان زيادة انتاج الغذاء امر واجب لمواجهة الزيادة الهائلة في السكان. وحيث ان الصحارى تحتل نسبة تتراوح بين ٢٠–٤٠٪ من مساحة الكرة الأرضية، فانه يقع على الانسان واجب تكييف نفسه وحيواناته ومحاصيله الحقلية مع طبيعة الأرض القاحلة والحرارة. كما يجب على الانسان – بالاضافة الى التوسع في تعمير الصحارى – ان يكتشف الطرق والوسائل الكفيلة بزيادة كفاءة الأرض ومحاصيل الحقل وحيوانات المزرعة.

وفي الامكان تحقيق هذه الزيادة في الكفاءة بواسطة العوامل التالية مجتمعة:

**** تطوير السلالات الحيوانية الجديدة التي تحقق انتاجا اقتصاديا تحت كافة الظروف الجوية بمختلف المناطق بالعالم.**

**** توفير التقاوى العالية الانتاج من محاصيل الحقل كي تناسب مختلف العوامل الفيزيائية والبيولوجية بكافة الأقاليم المناخية.**

**** ميكنة الزراعة باستغلال الطرق المناسبة لمختلف المناطق بالعالم.**

**** تطوير الصناعات الزراعية عن طريق استغلال الطرق التكنولوجية الحديثة.**

**** تطوير برامج التعلم والارشاد الزراعي.**

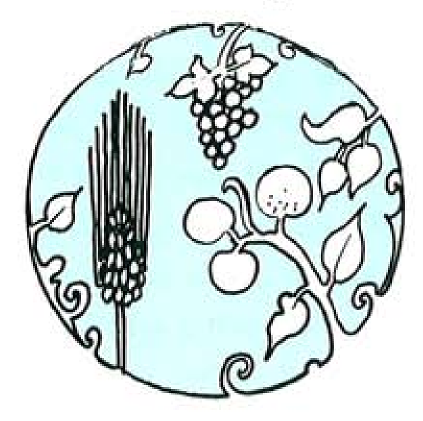
ومع وضع العوامل السابق الاشارة اليها في الاعتبار بصفة خاصة، فان تعاون الحكومات والهيئات الدولية يمكن ان يؤدي الى زيادة انتاج الغذاء».

المطالبة بموقف جدي

ومن المملكة العربية السعودية يساهم **الدكتور عطا الله أحمد أبو حسن** برأيه في قضية هذه الندوة الهامة شارحا بتلخيص بعض وسائل زيادة الإنتاج الزراعي لمواجهة مشكلة نقص الغذاء .. او الكارثة كما يسميها ويقول:

«مما لاشك فيه ان نقص الغذاء في العالم يعد من أهم المشاكل التي يجب ان يقف منها المهتمون بالزراعة موقفا جديا محاولين ايجاد الحلول السليمة التي تحول دون حدوث مثل هذه الكارثة.

حيث ان التقارير التي اعلنت عن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية على لسان مديرها تشير الى انه بحلول عام ١٩٨٥م سيكون هناك نقص في الحبوب الغذائية قدره (٨٥٥ مليون طن) وهذا شيء مخيف.



الا أنه في اعتقادي ان العالم لديه المصادر الوافية والقدرة الكافية للعمل على زيادة الانتاج الزراعي وتوفير الغذاء الكافي وعدم الاستسلام لمثل هذه الآراء المتشائمة.

فهناك وسائل عديدة لزيادة الانتاج الزراعي في العالم والتخفيف من حدة هذه المشلكة.

ويمكن تلخيص هذه الوسائل في النقاط التالية:

** من المعروف ان هناك مساحات شاسعة من الاراضي القابلة للزراعة في الدول النامية والتي لم تستغل بعد الاستغلال المطلوب، لذا فباستغلالها يمكن زيادة الانتاج الزراعي.

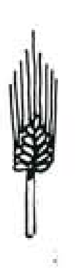
** الاهتمام بالمزارع وتطوير ثقافته الزراعية وتدريبه على استخدام الآلات الزراعية الحديثة وصيانتها واستخدام أفضل الطرق في الزراعة.

** استخدام المساحات الزراعية الواسعة بدل الحيازات الصغيرة والعناية بخصوبة التربة.

** مقاومة الآفات والحشرات الزراعية.

** استخدام أصناف المحاصيل المحسنة ذات الانتاجية العالية.

** الاهتمام بالتجارب الزراعية التي تخص كل منطقة على حدة وسهولة نقل نتائجها الى الفلاح لكي يعمل على [illegible]ها.



تعلـــيق

اذا كان لنا تعليق على هذه الندوة فاننا نضيف الى مجموعة الآراء القيمة بان **التعاون الدولي** .. **وانتشار السلام** في ربوع المعمورة سوف يؤديان – بلاشك – الى **التنسيق الايجابي** لمواجهة الأزمة للحيلولة دون وقوع الكارثة التي تهدد حياة الانسان ووجوده على الأرض

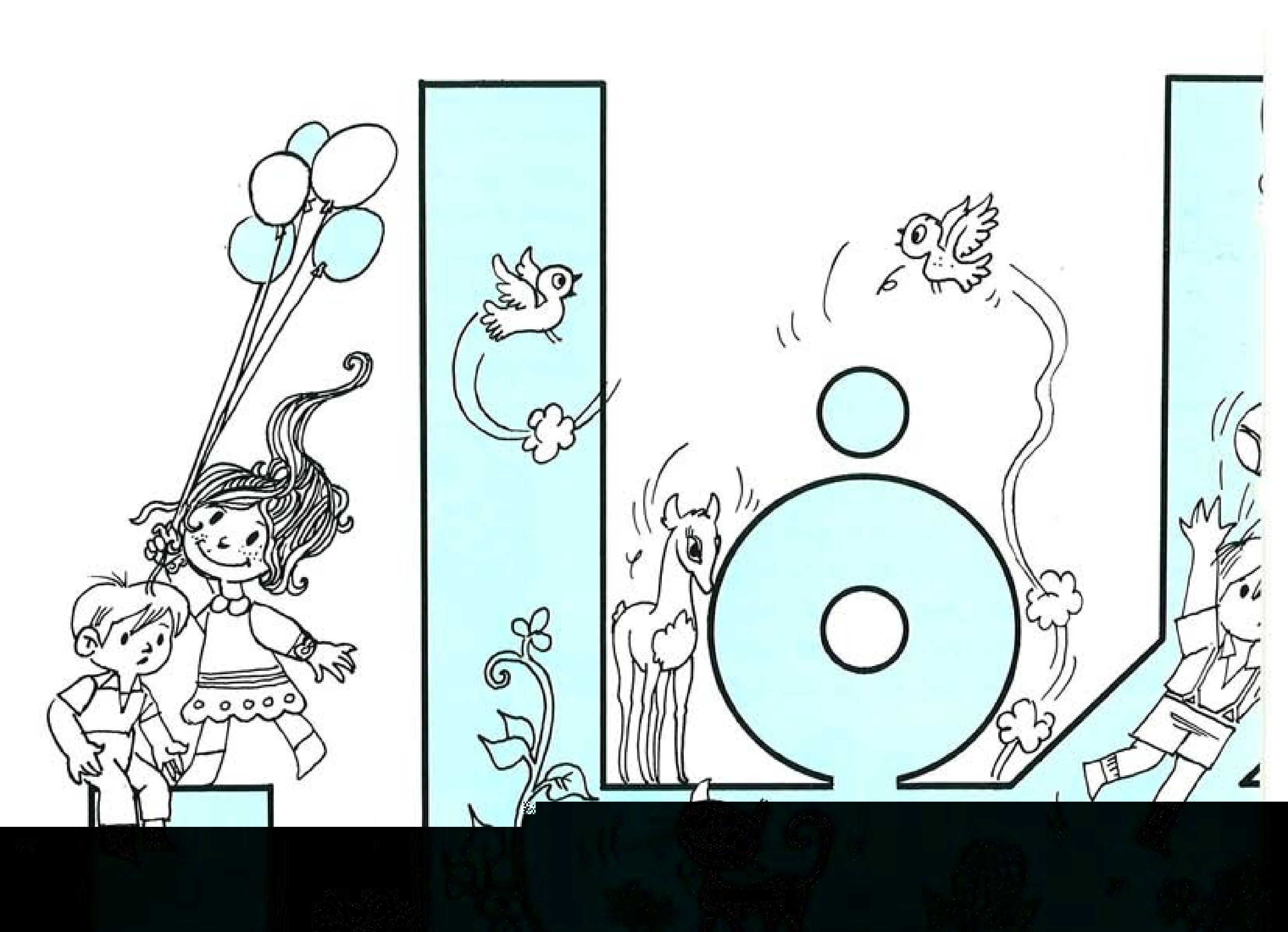
الأسرة وعلاقتها

الاسرة والطفل تاريخيا



ينقسم تاريخ الاسرة، كما يقول العالم «**لويس مرجان**» الى ثلاث مراحل: (**الوحشية**) و(**البربرية**)، ثم (**المدنية**) .. وخلال هذه الرحلة الانسانية التي قطعتها الاسرة منذ فجر التاريخ كانت لها علاقتها الوثيقة بطفلها، الذي هو رمز لاستمرار وجودها وحياتها على الارض .. وتتمثل هذه العلاقة في الحب والحماية، والرعاية والتنشئة .. وقد تطورت هذه العلاقة تطورا كبيرا محسوسا، وتطورت نظرة الاسرة الى طفلها..

* **في المرحلة «الوحشية»** لم يكن غريبا على الاسرة ان تحب طفلها، فهو أمر طبيعي، وكانت تحميه من الطبيعة والحيوانات الضارية .. وقد عاش الانسان خلال هذه المرحلة على ما تنتجه الطبيعة بلا تدخل من جانبه، سوى انتاج ما ييسر عملية استخدام ما تجود به الطبيعة .. وكانت الاسرة في ذلك الحين هي مجتمع الطفل، ولا شيء غيرها كما كانت من جانبها مدرسته الوحيدة في الافادة من الطبيعة، وفي عمليات القنص والصيد كانت تدع ابنها للحياة — حين يشب عن الطوق وتتركه يعتمد على نفسه في سن مبكرة، وكان الطفل في هذه المرحلة لا يكلف الأسرة كثيرا، ولم يكن عبئا كبيرا، غير انه لم يكن يضيف اليها شيئا خلال سنين نشأته الأولى..



الاهتمام به، والحرص عليه .. فضلا عن البحوث والدراسات الخاصة بهذا «الانسان» الصغير، الذي هو أمل الانسانية، وهو مستقبلها .. وعلى الرغم من تلك المؤسسات التي تشارك في تربية الطفل جسميا، وعقليا، وخلقيا، وتعده للحياة كالمدارس والجامعات، وقصور الثقافة وأجهزة الاعلام، وغير ذلك من المؤسسات، الا ان **الأسرة ما زالت هي الخلية الاولى للمجتمع وستظل أولى المؤسسات الانسانية التي ترعى الاجيال الجديدة، والتي تربيها وتنشئها، وترعاها، وتسد مطالبها، واشباع حاجاتها المادية، والروحية، والعاطفية، والنفسية، كما ان الاسرة ستبقى دائما وسيلة توارث الثقافات، والناقلة للتراث الحضاري واللغة والدين من جيل الى جيل** .. وما زلنا نرى ان الاسرة وتأثيرها يفوق كافة المؤثرات التعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية .. اذ يتوقف عليها تأثير كل هذه المؤثرات، وكافة المؤسسات، فضلا عن دورها المباشر في تربية الطفل، فهو يفتح عينيه عليها، ومنذ هذه اللحظة، بل وقبلها يتم تشكيلة من أجل هذا كان لابد وان تبذل جهود كثيرة لدراسة علاقة الاسرة بالطفل، وعلاقة الطفل بالاسرة، من كل الزوايا .. وان كل دراسة من هذا اللون تعد ضوء كاشفا لمستقبل هذه الاجيال وبالتالي مستقبل الوطن، والانسانية كلها..

مسؤوليات الاسرة تجاه الطفل

* * * * * * * * * *

وبطرح موضوع الاسرة وعلاقتها بالطفل عدة تساؤلات بعضها خاص بالدولة والمجتمع وبعضها خاص بالاسرة ذاتيا، وبالابناء انفسهم، .. وهي تساؤلات قد تجد اجابات عليها، وقد يصعب علينا ذلك نتيجة لقلة البحوث والدراسات الميدانية والبيانات الاحصائية، التي تحتاج اليها اشد الاحتياج من أجل أن نصدر أحكامنا، أو نقرر شيئا بشأنها .. ومن بين هذه التساؤلات .. كيف تعالج الدولة مشاكل الاطفال؟ هل تدبر لهم مدارس تتسع لهم جميعا حين يصل بهم العمر الى سن المدرسة؟ ما مدى الرعاية الصحية، والاجتماعية التي تقدم لهم؟ هل هناك اهتمام بثقافة الطفل واجهزتها؟ ثم: ماذا عن أنظمة حماية الطفولة ورعايتها، والى أي حد يتم تطبيق هذه القوانين!

أما في مجال الاسرة فان الاسئلة تزيد على الحصر، فهي تتناول الوضع الاقتصادي للاسرة ومتوسط دخلها، ونصيب الابناء من هذا الدخل، وابواب الانفاق الاسري ونسبته للدخل (**كم يخصص للسكن، الطعام، الملابس، العلاج، التعلم، الصحة، التربية**) وهل يستأثر الاب لنفسه مثلا بنسبة كبيرة ينفقها على ذاته، وعلى رغباته؟ .. ثم ما علاقة افراد الاسرة بعضهم ببعض؟ هل يقوم الاب بدور «**الدكتاتور**» ويحيا الافراد في ظله بلا شخصية؟ هل العلاقة بين افراد الاسرة وطيدة، يسودها الحب والاحترام، ام ان هناك منازعات وشقاق يمزق شمل الاسرة؟ هل يعيش افرادها اجزاء منفصلة بعضها عن بعض، ام انهم ملتحمون في حب وولاء؟ وما هي القيم التي تتجلى في حياة الاسرة وتسود؟ : ما عدد الابناء وما نصيبهم من مساحة في السكن، وما نصيبهم من ميزانية الأسرة؟ .. ثم ما هو دور الاسرة مع الطفل بالنسبة للمدرسة، بشكل خاص، وبالنسبة للمجتمع بشكل عام؟..

ان هذه الموضوعات المثارة تكشف عن تشعب موضوع الاسرة والطفولة، وعن صعوبة تغطيته في دراسة قصيرة كهذه، فنجد انفسنا نضع بضع مؤشرات عامة، كل منها يثير قضية

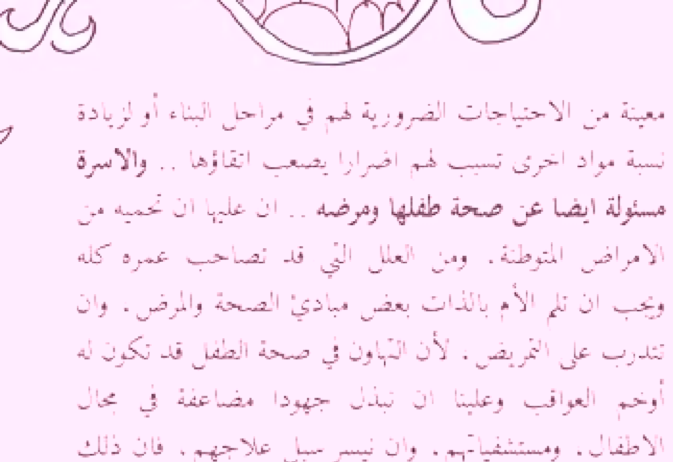
تحتاج الى بحث خاص، واستقصاء طويل المدى .. ولابد من ان ينهض بهذا العبء فريق متكامل من الباحثين، اذ ان أي فرد لا يمكن ان يقوم بمثل هذا العمل الضخم، **لذلك نقصر حديثنا هنا على الدور الذي يجب ان تنهض به الاسرة تجاه أطفالها**..

الاسرة وصحة الطفل

* * * * * * *

الاسرة مسئولة عن طفلها، ونموه الجسماني، والعقلي، والنفسي، والخلقي، وهي خلال اضطلاعها بهذه المسئولية تبذل كل جهودها لتوفر له الغذاء .. والتغذية ترتبط بالصحة والنمو .. والترشيد الغذائي في وطننا العربي عامة أمر أصبح على درجة كبيرة من الأهمية، والوعي الغذائي مفقود، والاحتياجات الاساسية للطفل ليست معروفة تماما للأسرة .. انها قد تجد نفسها امام أطعمة تقليدية، لا تملك تغييرها ولا تدرك أهمية ذلك، ولا تفهم الى أي حد يتأثر الطفل بالغذاء.

ان الغذاء ليس ان نملأ بطون اطفالنا بما يشبع جوعهم .. ان الغذاء اصبح «علما» وحاجة الجسم اليه بنسب معينة مقدرة في جو بذاته أمر تعكف عليه معاهد التغذية ومراكز صحية، وتخرج للناس بنتيجة ابحاثها الى ان تستطيع ان تخرج علينا معاهدنا ومراكزنا بمثل هذه الدراسات علينا ان نستهدي بما توصل اليه العالم حتى لا يشب ابناؤنا غير اصحاء لنقص نسب

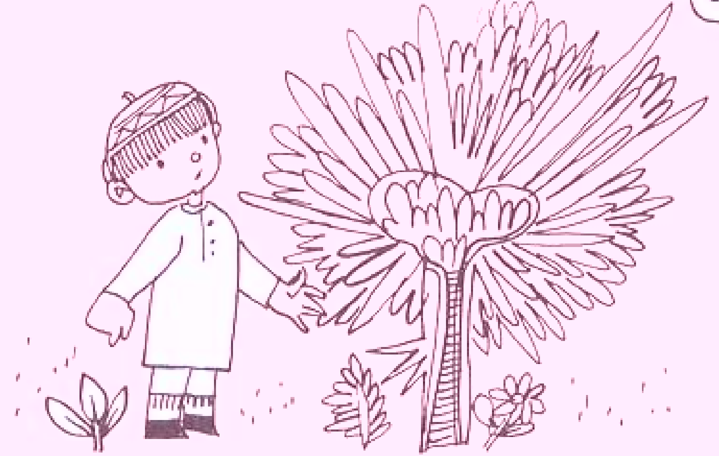


معينة من الاحتياجات الضرورية لهم في مراحل البناء أو لزيادة نسبة مواد اخرى تسبب لهم اضرارا يصعب اتقاؤها .. **والاسرة مسئولة ايضا عن صحة طفلها ومرضه** .. ان علينا ان نحميه من الامراض المتوطنة. ومن العلل التي قد تصاحب عمره كله ويجب ان تلم الأم بالذات بعض مبادئ الصحة والمرض. وان تتدرب على التمريض. لأن التهاون في صحة الطفل قد تكون له أوخم العواقب وعلينا ان نبذل جهودا مضاعفة في مجال الاطفال. ومستشفياتهم. وان نيسر سبل علاجهم. فان ذلك يوفر علينا الكثير في المستقبل، اذ لو شب الطفل سويا سليما، استطاع ان يقهر الكثير من الامراض التي تعترضه في مستقبل حياته .. ان الاسرة تبني صحة وجسم طفلها، وهي بذلك تبني اللبنة الاولى في حياته .. ولا يفوتنا ان نذكر الاسرة بالرياضة وممارستها، ففضلها على الجسم والروح معروف، ومساهمتها في بناء الجسم لا تحتاج منا الى دليل..

الاسرة وتربية الطفل

* * * * * * *

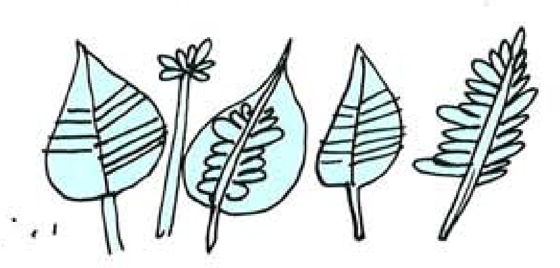
قلنا ان الاسرة كانت تتحمل وحدها مسئوليات ابنائها، واليوم تشاركها مؤسسات عدة .. غير ان الاسرة كانت وما زالت وستبقى المسئولة الأولى عن حضينها، ولن تستطيع مؤسسة مهما كانت أن تعوض عن الأم في هذه المرحلة بالذات .. واذا ما حرمناه من الاسرة فقد حرمناه من أروع ما في الحياة واجمل ما في الوجود.. ان الاسرة السليمة هي وحدها القادرة على النهوض باعباء طفلها في هذه السن المبكرة بالذات، ثم هي تستكمل فيما يلي من العمر واجباتها حيال ابنها من واجب التربية: خلقية، نفسية، ووجدانية ودينية .. اننا نعرف **ان دور المدرسة قاصر على التعلم، مهما أطلقنا عليها من مسميات، والتربية لا تأتي بالتعلم فحسب، كما ان التعلم وحده لن يخلق مواطنا** [illegible] اضافيا.. واذا تحملت المدرسة المختصة بالاطفال مسئولياتها تجاه الاطفال في مجال التعلم: بل وفي مجال التربية الجماعية الا انه يبقى دور الاسرة. لكي يتحول هذا التعلم. وتتطور هذه المعارف الى سلوك انساني .. ان ترجمة ما يتعلمه الطفل وتحويله الى تصرف. وتعامل. وعلاقة انسانية. هو مسئولية الاسرة أولا واخيرا ان العلوم المجردة. والمعرفة التي يبذل المعلمون جهودهم من أجلها قد تضيف الى رصيد الطفل من المعارف الجامدة. اذ لا معنى عند الطفل للحروف الابجدية مثل الالف والباء. غير ان الالف والباء يشكلان كلمة لها معنى خطير في حياة الطفل



هي: أب .. والفارق شاسع بين حرفين مجردين، وبين معنى يتجسد فيهما، ومسئولية الاسرة هي ان تدب الحياة في الحروف والارقام وان يدرك الصغير مفهوما، اذ ان الانفصال بين الامرين صار أبلغ الضرر به..

ونحن على يقين من ان الاسرة تحتاج فعلا الى المبادئ الاساسية للتربية، حتى لا تفاجأ يوما بابنها يفتش في المكتبة بحثا عن كتاب في التربية ليعرف اذا ماكانت قد بنته بطريقة علمية أم لا – كما تقول الفكاهة الشهيرة – لذلك **فلابد من ان تسود قيم رفيعة جو الاسرة، ولابد وان يكون كبارها قدوة لصغارها ومثلا أعلى لهم، ولابد للأسرة ان تثقف وجدان الطفل، وبتعويد عينيه بالنظر الى الجمال، في الطبيعة ولوحات الفن، وتثقيف اذنيه بسماع الموسيقى والشعر والكلمات الحلوة، وان تثقف شفتيه بنطق احلى العبارات .. وبذلك نربي جسمه وعقله ووجدانه..**

والحياة في الاسرة تدرب الطفل على الروح الجماعية، والاجتماعية، وكما يرى اسرته، سيكون اسرته في المستقبل .. واذا ما سادت الروح العائلية، والعواطف الاسرية حياة العائلة، نشأ طفلها نابذا الفردية والانانية، مؤمنا بالتعاونية، والتكافل الذي هو أساس الحياة الاجتماعية، واذا كنا نشكو في الوقت الحاضر من كثير من أمراضنا الاجتماعية كالسلبية، وانعدام الاستمرارية، ومن النظرة الذاتية وقلة الموضوعية في أحكامنا وفقداننا الاحساس بالزمن، وعدم اتقاننا العمل ونقصان النظرة الشمولية الى أمورنا فان ذلك يرجع الى حد كبير الى ان الاسرة



لم تغرس نفوسنا ذلك خلال مرحلة الطفولة ويجب ان نتفادى ذلك وان نبدأ من منطلق اننا مهددون من عدو يريد ازالتنا من طريقه، وضرب نمونا وتقدمنا – ان تخطيطنا لحياتنا يجب ان يبنى على اساس **ان الاستعمار والصهيونية لا تريد لنا الحياة** .. في حين يجب ان ننطلق: دولا، وشعوبا، وافرادا، باقصى ما نستطيع لنلحق بركب الانسانية ولنواكب التقدم الحضاري والا حكم علينا بالموت .. **يجب ان نربي اطفالنا على هذه القيم الأصلية: التمسك بالفضيلة والخير بالحق والحرية، والنضال من اجل التقدم** .. ولا يتأتى ذلك بالحس المرهف والتربية الاستقلالية والوعي الى اننا نربي ابناءنا لزمان غير زماننا..

الاسرة ونفسية الطفل

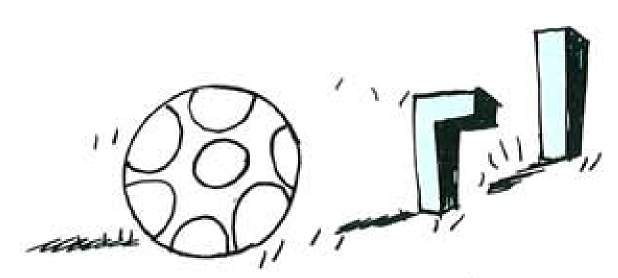
توفر الاسرة للطفولة الامن، والسلام، والاستقرار .. ولابد لها هي نفسها من هذه الأمور لكي تمنحها لطفلها، لان فاقد الشيء لا يعطيه، لذلك فمن الضروري لكي ينمو الطفل سويا ان يعيش حياة سليمة، وقد ثبت ان سلوك الابوين، ومعاملتهما الواحد للآخر، يؤثر في نفسية الطفل تأثيرا كبيرا، **والاطفال الذين يعانون مشاكل نفسية هم ثمرة لأسر منهارة**، اذ يسود التوتر جو المنزل، ويحتار الصغار لأي جانب ينحازون بل في بعض الاحيان يفيد الاطفال من الخلاف في تحقيق رغباتهم، او قد يحاول احد الأبوين جذب الاطفال لصفه فاذا به «يرشوهم»..

وربما أهمل الأبوان الاطفال لأنهما كلهما في الصراع الذي يشغلهما طيلة الوقت، ويعيش الطفل مضطربا، وتظهر صور هذا الاضطراب في ألوان من السلوك غير السليم، كإهمال الدراسة، أو الشجار مع الزملاء أو الجيران، وربما بدت في اشكال أعنف كالانحراف أو السرقة .. **ان الحب والحنان ضروريان للاطفال، ولا يقلان ضرورة عن الطعام، وتتصور بعض الاسر ان القسوة هي التربية الصحيحة، فتشتد الأوامر والنواهي، واذا بهم امام طفل لا يستجيب لهذه أو تلك**، واذكر طفلة طلبنا اليها ان ترسم ما تشاء فاذا بها ترسم دائرة، وخطا طويلا، ومن ورائه جسم صغير .. وابدينا اعجابا بالرسم،



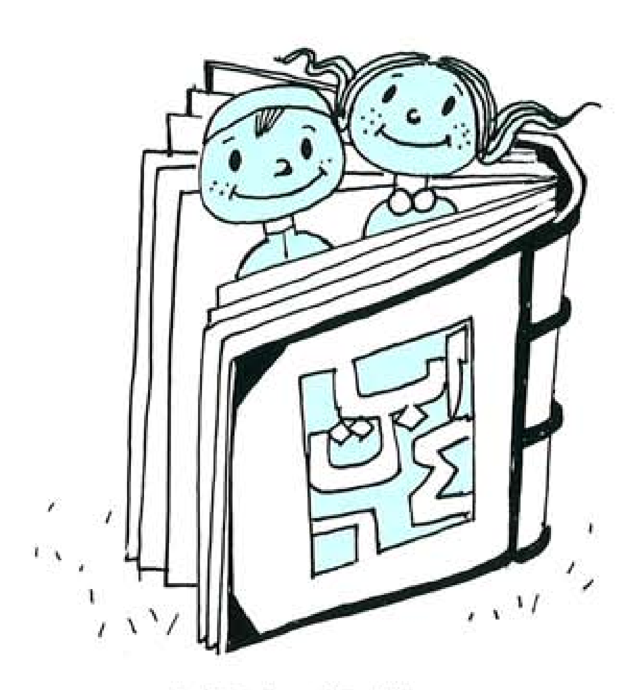
وتطوعت الصغيرة لتفسيرة «هذه الدائرة الواسعة هي فم ماما وهي تشتم وتصرخ، وهذا الخط الحائط، وانا الجسم الصغير الذي يختفي وراءه».

ان الصغار شديدو الحساسية وهم يتأثرون تأثرا بالغا بكل ما يجري حولهم داخل نطاق الاسرة فضيق المكان الذي يسكنونه له أثره، فقد يتسبب في عدة مظاهر تعرقل نموهم النفسي، وتؤدي الى اضطراب شخصيتهم، وتدفعهم للغضب لأقل سبب .. كما ان العقاب الجسدي يورث الصغار الجبن، ويسبب



لهم من العاهات النفسية الكثير مما يصعب علاجه مستقبلا، كما ان تهديدهم، واخافتهم ينتج عنه عواقب وخيمة اذ يصبحون عرضة لاهتزازات نفسية تصاحبهم بقية العمر..

ولاشك ان الطلاق، وانفصال الآباء عن الامهات يحدث لدى الاطفال توترات عنيفة، ويؤثر أسوأ تأثير على نفسية الطفل، الذي يتنازعه سلطان الامر الذي يؤخر نموه ويعرقل



دور الأسرة في معاونة الابناء في المدرسة

المدرسة لن تستطيع ان تساعد الطفل على نموه وتعليمه الا بمساندة وتعاون الاسرة: وليس ادل على ذلك من دراسة حالة الاطفال الذين هم بلا اسر **ومهمة الاسرة ليست انجاب**

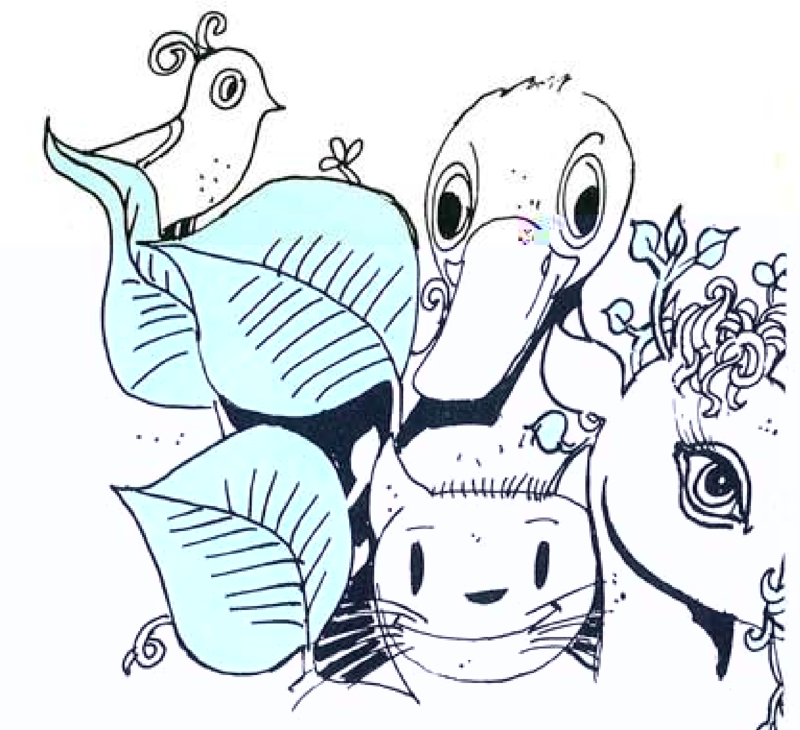
دخل عليه أحد الولاة فوجده يلاعب الصغار، ودهش الرجل، ولم يكتم دهشته عن سيدنا عمر، كيف وهو امير المؤمنين يضيع وقته في مثل هذا؟ وسأله سيدنا عمر .. – ماذا تفعل انت مع اطفالك حين تعود الى بيتك؟

اجاب الرجل: الكل يصمت ويهدأ .. هيبة واحتراما لي..

فعزله عمر قائلا: اذا كان يفعل هذا مع ابنائه، فكيف هو مع الآخرين؟

ان حب الاطفال امر لا نقدمه ولا نعرفه للأبوين، انه شيء لا يمتدح، انه ثياب تحميهم من القلق، وهو الأمان والراحة، وهو العطاء بلا مقابل، والأب حين يحترم ويحب ابنه يتدرب على احترام وحب الناس جميعا .. حب الأب لأبنه يعطيه مثلا للحياة، ونمطا يسير عليه في تعامله مع الآخرين ويجب في ظروفنا الراهنة ظروف انتقال المجتمع من البداوة الى التحضر من القرية الى المدينة، بل لقد زحفت المدنية والحضارة الى اجزاء ما كانت لتصل اليها، يجب في هذه الظروف ان نعوض اطفالنا عما فقدوه، **ومطلوب منا ان نبذل جهودا من اجل غرس قيم اسلامية عربية أصيلة ترسم خطانا** .. كالكرم والحنان، واحترام حقوق الآخرين، والتفتح على وجهات النظر الاخرى في عصر تنبت فيه كل يوم أفكار جديدة لدينا ضدها الكثير نتيجة التراكمات السحيقة الناجمة عن فترة التخلف الطويلة التي عشناها تحت براثن المستعمرين **ويتصور البعض ان العقاب وسيلة مثلى للتربية، في حين انه يحيط اطفالنا أو يحول بينهم وبين النمو بشكل سوي، والبديل للعقاب هو التفاهم وبالصبر والمثابرة** ان المطلوب منا الا نزحم اطفالنا بالاوامر والنواهي، وما اكثرها في دنيا اسرنا، ان المطلوب منا الا يخرج اطفالنا داخل قوالب نعدها لهم، **ان المطلوب ان ندرك ان حشد دماغ الطفل بالمعلومات اصبح غير مجد فلسنا نريد دوائر معارف تتحرك بيننا ولا نريد ذاكرة حافظة لبلايين الاشياء والمعلومات اذا كانت امام ابسط المواقف ترتبك وتضطرب..**

يجب ان تدرك الاسرة ان الاطفال يختلفون في مواهبهم، واستجاباتهم للأمور والمواقف .. والمدرس مهما كان دارسا ومدربا الا انه لن يستطيع ان يراعي الفروق بين أطفال الفصل الواحد كما ان قدرته على استخدام أحدث الوسائل التعليمية، وبراعته في تناول دروسه لن تستطيع ان تفيد طفلا قلقا في بيته مضطربا في أسرته، **ان الطفل يحمل مشاكل البيت معه، وما اصعب طردها من رأسه خلال جلسة في مدرسة** .. ان ارتداء ملابس المدرسة لا يعني انه تخلى أو اقتلع ما جاء به من منزله بداخله، كأن يفكر فيما سمعه عن مشاكل الاسرة المادية أو مرض بعض افرادها، أو وجود مشاكل بينهم، او وقوع حوادث وفاة، او طلاق، بل وقدوم طفل جديد .. كل هذه الامور تظل مع الطفل، أو التلميذ اثناء الدراسة ويجب علينا ان نساهم مساهمة ايجابية في جعله يذهب الى مدرسته وقد تخفف من مثل هذه الاعباء العائلية وعند عودته يجب الا نزحمه ايضا بالعبارة التقليدية .. ذاكر .. ذاكر .. ذاكر .. وتبدأ الاسرة في ذكر حوافز الاستذكار .. والمطلوب ليس مثل هذه الكلمات وتلك النصائح بل تهيئة الجو ويبدأ بسؤاله عن اخباره وتهدئته نفسيا .. واشعاره بانه انتقل الى جو آخر كله حب .. وعطف .. وحنان .. ويأتي خلال الحوار والاخبار دور الاسرة في لفت نظر الابن الى ما يجب عليه عمله وكيف يمكن مساعدته فيه .. والمتابعة بهذه الصورة الرقيقة لا يمكن ان تكون تدخلا في عمله، وهناك عشرات الوسائل لحفز الابن على دراسة موضوع معين، كأن نتحدث حول الموضوع أو ندعي اننا لم ندرسه في مدارسنا في الماضي، وحبذا لو استطاع ان ينقل الينا بعض خبراته فيه .. المهم ان نبحث باستمرار عن مداخل لتهيئة الجو بلا أوامر أو نواهي، وأن نشاركه (الاعباء) كأن نبري له القلم، أو نلصق أوراق كتاب ممزق .. الخ المهم المشاركة .. ولابد الا نقطع عليه حبل الاسترسال في المذاكرة بكلمات سخيفة، أو بتدليل زائد قد تضع امامه ببساطة شيئا من فاكهة، او قطعة من حلوى اوكوب عصير دون ان نجعل ذلك معطلا له، وعلينا الا ننسى فترات الراحة، فان المتعب لا يستطيع التحصيل جيدا.



والاسرة مطالبة فوق هذا بمتابعة امتحانات ابنائها، والاستفسار من الاساتذة عن حال الابناء في دراستهم، فان اغفال الامر قد يكون وخيم العاقبة، اذ نفاجأ بعد مرور الوقت بتخلف التلميذ في مادة أو اكثر .. **ويجب الا تعتمد الاسر على الدروس الخاصة لانها تدرب التلاميذ على عدم الاعتماد على** النفس وذلك له نتائج سيئة لا تتكافأ حتى مع النجاح في الامتحان. اننا لا نريد ان يجتاز التلميذ امتحانه الدراسي فحسب. بل اننا نريد ان نربيه على قيم. واولى هذه القيم تحمل المسئولية ولا يتأتى ذلك ونحن نستورد له يوميا اساتذة يحشون رأسه بمعارف يقذف بها فوق ورقة الاجابة ليعبر الى اعلى. وقد فقد القدرة على الاعتماد على النفس. والثقة فيها..

الاسرة وثقافة الطفل

* * * * * * *

ان السر في ازمتنا الثقافية يكمن في التخلف الذي عشنا فيه طويلا. والذي بات من الضروري تجاوزه باسرع ما يمكن. ولن يتأتى ذلك الا عن طريق الثقافة .. وليس في برنامج الاسرة العربية، ولا في ميزانيتها ما ينبئ بالاهتمام بهذه القضية. فما دخل الكتاب بشكل عضوي حياة الاسرة. وهي لم تبدأ كذلك في الاقبال على الفنون بشكل يرضي. والارقام مؤشر خطير في هذا المجال. اذ لا تكفي الضجة المفتعلة حول الثقافة لتقنعنا ان الثقافة اصبحت واحدة من اهتمامات الأسرة .. مثلا: ماذا تقول عن توزيع الكتب؟ هل يتردد الفرد بشكل يرضي على المتاحف؟ ومعارض الفنون؟ وقاعات المحاضرات واذا كانت الاسرة لا تعنى بثقافتها، واذا كان رب الاسرة يقنع ببعض سطور يخطفها من جريدته لا يكتفي بما تلقاه من قشور المعرفة في مدرسته أو معهده، أو يقف به الامر عند ما درسه حتى في الجامعة، **فهل نطمئن الى اننا سوف نتجاوز قريبا التخلف الحضاري الذي عشنا فيه؟ .. ان الثقافة باتت ضرورة لحياة الاسرة، وليست شيئا كماليا**، ولا هي من الرفاهية، فضلا عن انها تثري حياتها .. ثم انها تنعكس على العلاقات الاسرية، فتحسنها، وتعمقها. سيقرأ الطفل الكتاب اذا وجد الاسرة تحتفي به .. سيعرف طريقه لسماع الموسيقى اذا كانت الاسرة تحترمها .. ان تذوق الفنون يبدأ من الاسرة .. وتكوين العلاقة بينها وبين الطفل يبدأ وهو في المهد .. الطفل في المهد، وفي عربيته، قبل ان يعرف كيف يسير على قدميه، **يجب ان يحاط بالكتاب المصور الملون الجميل .. ليصادقه، ويحبه** .. ثم ان الطفل لن يعرف برامجه في الاذاعة والتليفزيون الا عن طريق الاسرة، ولن يتمكن من الاستماع او المشاهدة الا بمساعدتها، لن يشتري المجلة او الكتاب الا بواسطتها .. وبالتالي فان غرس حب الثقافة والافادة منها ومن اجهزتها لن يتأتى الا بالاسرة التي لابد وان تتثقف ذاتيا، ولابد وان تدرب طفلها على ذلك .. ورب الاسرة مسئول مسئولية مباشرة عن هذا الامر الحيوي الذي [illegible] محصوراً .. ونحب ان يحث رب البيت على الثقافة، انه لو انفق عليها قدر ما ينفق على السجاير لعاد ذلك على الاسرة بالكثير في حاضرها ومستقبلها. **ان الثقافة يجب ان تكون بابا من ابواب الميزانية لكل فرد في الاسرة**. الزوج. والزوجة. والاطفال. ويجب ان تتدرب الاسرة على الافادة من الامكانيات المتاحة كالاذاعة والتلفزيون، وان تأخذ منها ما يفيدها وان تختار ما هو صالح منها.

واذا كنا قد تحدثنا عن الاسرة بشكل عام وعلاقتها بالثقافة. وعرضنا لدور رب الاسرة: فنحن في مسيس الحاجة الى وقفة طويلة مع المرأة العربية. وموقفها من قضية الثقافة عامة، وثقافة الطفل خاصة..

المرأة والثقافة

* * * * *

لا رغبة لنا في أن نقسو على المرأة العربية في مرحلتها الراهنة. فاننا نعرف أعباءها .. ان المرأة تتأنق وتبذل الكثير من أجل هذه الاناقة. وهي تعرف أحدث موديلات الملابس. وتسعى الى مستحضرات التجميل والعطور. والسؤال الذي يطرح نفسه. في هذه المرحلة الخطيرة من مراحل حياتنا هو هل



بذلت المرأة بعض الجهد من اجل اناقة الفكر؟ .. انها تسعى اسبوعيا من أجل تصفيف شعرها، هلا تذكرت ما تحت الشعر، وواجبها حيال رأسها وعقلها؟ .. ثم ولماذا (الموده) واحدث المودات في ثيابنا دون ان نبحث عن احد الافكار لعقولنا احدث اساليب التربية وعلم النفس لحياتنا؟ .. **هل تسعى المرأة المثقفة الى اغلى الكتب فضلا عن ارخصها، بدلا من هذه المستحضرات؟ هلا بحثت المرأة العربية عن تعطير وجودها بدراسة تاريخها النضالي القديم وقيمها الخالدة التي حافظت عليها، وبالتالي ظل مجتمعنا متماسكا، متقدما، عبر قرون طوال؟** .. ايهما اجدى علينا: ان نقبل على الثقافة، فتنعكس اثارها على الاسرة فردا فردا .. بل وعلى المجتمع كله .. أم نقبل على هذه المسائل العارضة التي نعارضها ولا نرفضها، ولكننا نريد ان نجمع بين الحسنيين، وان تتأنق المرأة، شكلا ومضمونا، وان تتعطر عقلا وثيابا .. **ان طفلا نعكف على تربيته، وفق اصول التربية الحديثة، ووفق قيمنا الغالية، قد يكون في المستقبل بطلا وزعيما يقود امته الى ما فيه الخير،** بل قد يفيد الانسانية بقدر ما افادها **جابر بن حيان، وابن سينا** ان اسرة سعيدة، تخلقها قوامها الدين والخلق، ستكون لبنة في بناء مجتمع صالح، يستطيع مجابهة عدوان المعتدين، ويفرش الطريق لمستقبل رائع.

ان علاقة المرأة بالثقافة يجب ان تتوثق فهي لا تستطيع ان تعتمد على ما تلقته في بيت اسرتها، أو في سنين دراستها، التي تطول أو تقصر، بل لابد لها وأن تواصل الدراسة فاننا في عصر ما عاد يعطي للجاهل مكانا بل هو يسحقه سحقا خلال السرعة التي ينطلق بها الى الفضاء .. الام العربية يجب ان تكون دائرة معارف لابنائها، ترد على اسئلتهم في ثقة بالنفس، وقدرة على التحصيل .. وهي قدوة لهم في احترامها للكتاب – أصل الثقافة – ولابد وان يتدرب الجميع على التعامل معه .. ثم هي قدوة لهم في الافادة من بقية اجهزة الاعلام ووسائل الثقافة ولابد لها وان تنتقي منها وتختار، فان ما تقدمه هذه الاجهزة وتلك الوسائل يجب الاستفادة منه مع تفادي ما قد يسببه من اضرار..

ان اقبال المرأة العربية على الثقافة يفيدها ذاتيا، ثم يعكس على أسرتها، وأطفالها وما عاد هؤلاء يكتفون بالقشور العلمية المدرسية: والملابس الأنيقة، والطعام الجيد، **ان عقولهم ايضا اشد حاجة الى الاشباع عن طريق الاسرة، وان ما يتلقاه عن طريقها لا ينسى** .. واننا لنتطلع الى يوم يرضع فيه الطفل مع لبن امه المعرفة والقيم، ويومها سوف نطمئن كل الاطمئنان على مستقبل هذا الرضيع، وبالتالي مستقبل الامة، بل ومستقبل الانسانية كلها...

ملحوظة:

* * *

هذه المعلومات عن الاسرة وعلاقتها بالطفل اعتمدت فيها على كتاب «**كيف تساعد طفلك في المدرسة**» تأليف **(ماري فرانك .. ولورانس فرانك)** .. وهذا الكتاب قال عنه **بينامين بك** صاحب الكتاب الشهير عن رعاية الطفل انه «كتاب يبحث عنه الآباء منذ زمن طويل» ذلك لان الكتاب يرافق الطفل من سنواته الأولى حتى يشب عن الطوق .. ويرسم للاسرة كيف تعينه في عمله .. وبهذه المناسبة فانني أطالب بترجمته..



• هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ صرخة عاتبة مجروحة بالأسى، في وجه التخلف الإعلامي الذي عاناه الأدب اليمني من قبل أدباء العربية •

تأليف : احمد محمد الشامي

«لعل الأدب اليمني هو الأدب الوحيد – بين آداب اللغة العربية – الذي لم يعن به الأدباء .. لا أقول العناية التامة بل حتى ولا القليل منها .. لا من قبل أدباء اليمن ولا من قبل أدباء العربية ومؤرخي آدابها في الاقطار الأخرى على السواء النثر منه والشعر، والمحكم، والحميني، والقديم منه والحديث».

بهذه العبارات العاتبة يقدم الاستاذ **احمد محمد الشامي** الأديب والوزير والشاعر اليمني كتابه «**قصة الأدب في اليمن**» الذي طبع في بيروت عام ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ.

وقد عزا أسباب هذه الظاهرة الى عدم عناية **الأدباء اليمنيين** بنشر تراثهم .. وكتبهم .. ودواوين شعرائهم .. وآثار أدبائهم من ناحية .. والى قصور **أدباء الاقطار العربية** الشقيقة في الاحتفاء بالأدب اليمني وتقديره حق قدره من ناحية أخرى وخاصة فيما يتعلق بمخطوطات تراث الفكر اليمني النفيس الذي تحفل به المكتبات الشهيرة في بلاد العرب .. وفي مكتبات العالم.



عبدالله البردوني

ثم يورد الاستاذ **الشامي** المبررات والمعاذير لأدباء اليمن .. ولأساتذة تاريخ آداب العرب محملا الظروف القاسية التي كانت تكتنف اليمن وتحيط بها تبعة ظاهرة عدم العناية بالأدب اليمني.

وكتاب «قصة الأدب في اليمن» الذي نقدمه للقارئ كان صرخة عاتبة مجروحة بالأسى في وجه **التخلف الاعلامي** الذي عاناه الادب اليمني .. وموضوع بحثه جديد على المكتبة العربية الحديثة كما يذكر المؤلف الشامي في مقدمته ورغم ما بذله المؤلف من جهد الا انه يعترف بعدم استطاعته ايفاء الموضوع حقه قائلا:

«وليس في طاقتي ان أوفي الموضوع حقه فدون ذلك خرط القتاد وخصوصا والبحث بكر، ومصادره متنافرة، وما من كتاب من كتب الادب والتاريخ والتراجم، سواء منها القديمة أو الحديثة الا وفيه حادثة تذكر من موضوعنا وسأحاول ان اجمع الأجزاء المتناثرة، والقطع المبعثرة، والحوادث المتفرقة واؤلف منها شيئا ان لم يف بالغرض المرجو فلابد ان يضع لبنة في بنائه».

واليوم وقد مضى على هذا الكتاب ما يقارب ١٢ عاما .. ترى ماذا يمكن ان يقال وقد شهدت الساحة الأدبية آثارا أدبية يمنية شملت الجانب الادبي «الابداعي» .. والجانب الأدبي «الدراسي» .. أو البحث «الأكاديمي».

فقد اصدر الشاعر اليمني المعروف **عبدالله البردوني** كتابا هو عبارة عن رحلة في تاريخ الأدب اليمني .. كما أصدر **ابن الوزير** كتابا عن الشعر اليمني المعاصر .. وساهم في مجال الدراسة والبحث الاكاديمي المعاصر الشاعر اليمني **عبد العزيز المقالح** بكتاب له قيمته في مجال الدراسات المعاصرة.

اما فيما يتعلق بالجانب الابداعي فقد طغى الشعر على غيره من فنون الأدب الابداعي اذ صدرت مجموعة ليست قليلة من الدواوين الشعرية الحديثة لشعراء يمنيين منهم **البردوني** .. **والمقالح** .. **والشرفي** .. وغيرهم من **الشعراء المحدثين الذين حاولوا مواكبة حركة التجديد في الشعر الحديث** متأثرين بشعراء **العراق** .. **ومصر** .. **ولبنان**. وطغيان الشعر على غيره من الفنون الأدبية الحديثة ظاهرة يتصف بها **أدب الجزيرة العربية** .. **والخليج** عموما لأسباب **تاريخية** .. **وبيئية**.

فقد فتح ادباء هذه المنطقة عيونهم على الشعر وحده .. سواء في المنزل .. او المجتمع .. او المدرسة .. او المجالس العامة .. والخاصة انطلاقا من الموروث التاريخي «**الشعر ديوان العرب**» .. وجزيرة العرب مهد هذا الديوان .. هذا مع وجود محاولات جادة ظهرت في فن القصة القصيرة .. والرواية في **الكويت**، **والمملكة العربية السعودية**.

وللحقيقة .. فان التخلف الاعلامي الذي شكا منه الشامي بالنسبة **للأدب اليمني** يمكن ان ينسحب ايضا على **الأدب**



السعودي .. وأدب الخليج .. فأدب هذه المنطقة عموما لم يجد حقه من الدراسة .. والبحث والاهتمام سواء كان ذلك من جانب ادباء المنطقة أنفسهم، أو من جانب أدباء المنطقة العربية الذين ساعدت وسائل الاعلام على تعريفهم ليس على المستوى العربي فحسب بل على المستوى العالمي من خلال ترجمة بعض آثارهم الى اللغات الاجنبية.

وكتاب «قصة الأدب في اليمن» قديم .. وجديد في وقت واحد

* **قديم** .. من حيث تاريخ طباعته التي مرت عليها أحداث اثني عشر عاما تقريبا.

* **وجديد** .. لأن مثل هذه الكتب لا تنتهي قيمتها «بالتقادم» الزمني .. ذلك لأن أثرها رغم ارتباطه بمرحلة زمنية معينة يظل ممتدا ومرتبطا بالمراحل التالية له.

وأي دارس لتاريخ الأدب اليمني لا يستطيع وهو يرصد حركة هذا التاريخ ان يغفل هذا الكتاب خاصة انه اول كتاب حديث يتناول قصة الأدب في اليمن منذ عصوره السحيقة .. اضافة الى ان ظاهرة التخلف الاعلامي التي أحاطت بهذا الأدب وغيره من آداب الدول المجاورة ما زالت آثارها باقية الى اليوم مع وجود بعض الاضواء البسيطة التي فرضتها ظروف هذه المنطقة الاقتصادية .. والسياسية.

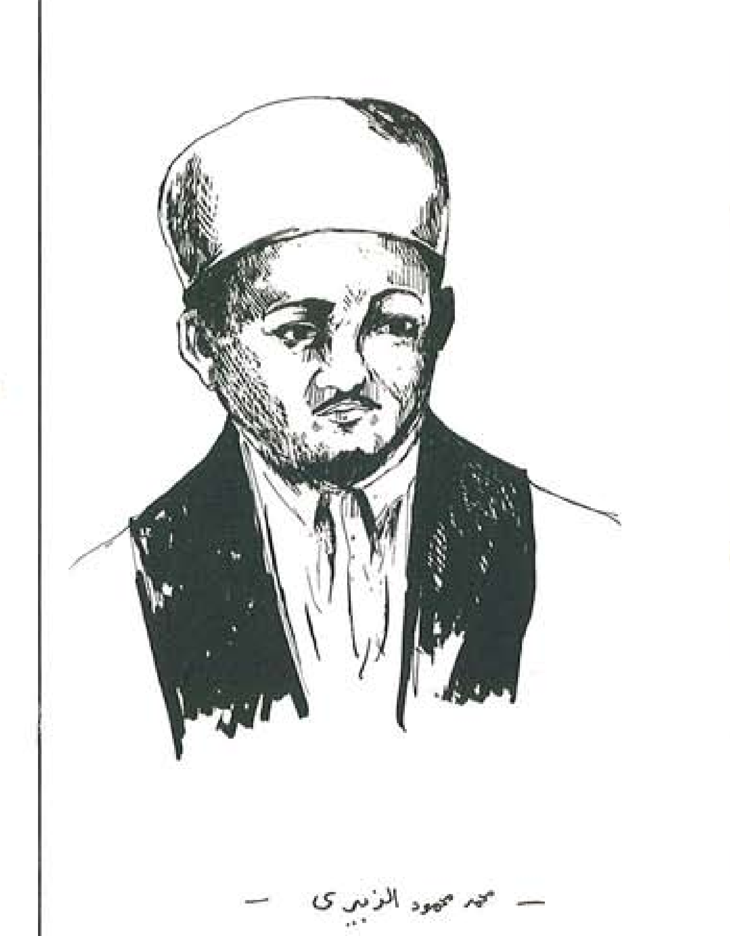
وقد أتخذ الاستاذ الشامي في كتابه «قصة الأدب في اليمن» منهجا خاصا في تأليف الكتاب .. فهو لم يربطه بالتاريخ السياسي .. ولم يقسمه وفق هذا التاريخ كما يفعل كثيرون .. كم انه لم يسلك منهج «الفصل» و «الباب» .. بل كاد في منهجه ان يقرب من المنهج الذي يرصد التاريخ الأدبي من خلال «الظواهر الفنية» لهذا التاريخ حينا .. الى جانب الربط التاريخي السياسي حينا آخر.

حضارة اليمن

يتحدث المؤلف بعد المقدمة .. تحت عنوان «**حضارة اليمن**» عن جغرافية اليمن من خلال كتاب «**صفة جزيرة العرب**» للهمداني .. ثم يمر على الاحداث القديمة التي مر بها ابتداء من غزو **الأحباش** لليمن عام ٥٢٥م ومقاومة «**سيف بن ذي يزن الحميري**» لهم واجلائهم عن اليمن .. ومرورا بوصاية **فارس** ثم **دخول الاسلام الى اليمن** وذلك في سطور عاجلة .. ويشير الى الاشعار القديمة .. والقصص .. والوصايا التي تنسب الى هود عليه السلام .. وقحطان .. ويعرب .. ولقمان الحكيم .. واسعد الكامل .. والتبابعة الأولين.

رحلة في كتاب





محمد الزبيدي

الشعر الجاهلي» لمحمد فريد وجدي، وكتاب «**نقض كتاب في الشعر الجاهلي» لمحمد احمد الغمراوي**، وكتاب «**النقد التحليلي» لمحمد لطفي جمعة**.

ثم يفند المؤلف في رده مفهوم .. واختلاف اللهجات .. ويعرج اثناء رده على لغة نقوش «**المسند**» الذي أوقع الدكتور طه حسين في اللبس مقتفيا رأي «**مارجليوث**» الذي سبق طه حسين في مثل هذه الاراء ويورد في هذه النقطة عددا من الامثلة والشواهد ويتوسع في بحث خاص عن «المسند» .. أصله .. اشتقاقه .. اقوال اللغويين والعلماء فيه .. ولا ينسى ان يلحق بحثه عن المسند ببحث آخر عن «**الكتابة وأصل الخط العربي**».

الشعر والشعراء

ينطلق المؤلف من خلال هذا العنوان في بداية كلامه عن الشعراء اليمنيين في **العصر الجاهلي** فيذكر عددا من اسماء الشعراء الذين يعود أصلهم الى اليمن ويقسمهم الى قسمين:

* قسم غادر اليمن مهاجرا الى الحجاز والى الشام والعراق في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء، وملوك بني أمية (ومن بعدهم).

* وقسم نزح أو نزح أباؤهم في تلك الهجرات الجماعية **كاللخميين .. وآل غسان .. والاوس والخزرج .. وقضاعة .. والازد** .. وغيرهم.

ولا ينسى المؤلف وهو يتحدث عن شعر وشعراء اليمن ان يعود لمناقشة طه حسين فيما يختص بنفيه للشعر والشعراء اليمنيين .. ويستند في رده على قصائد اختارها لشعراء يمنيين .. كما يدعم رأيه بكلام **للدكتور محمد كامل حسين** .. ودور الشعراء اليمنيين في مصر .. وينهي المؤلف حديثه عن قضية الشعر والشعراء باعطاء القارئ نبذة عن الشاعر اليمني «**ذو جدن**» أو «**النواحة**» كما يلقب .. وعن اسمه .. ومتى عاش .. وعن شعره.

عصبية العرق

وتحت هذا العنوان يناقش المؤلف الشامي في كتابه «قصة الادب في اليمن» قضية **عصبية العرق .. ومعركة القحطانية والعدنانية** .. ونتاجها في الشعر .. وما نسج حولها من روايات.

ويكمل حديثه عن موضوع العصبية بين قحطان وعدنان تحت عنوان «**الدوافع**»، نسبة الى القصائد الشعرية التي تناولت هذا الموضوع ابتداء بقصيدة «**الدامغة**» **لمسلم بن العليف** .. ومرورا بقصيدة «**دامغة الدامغة**» التي رد فيها **علي بن سليمان الاسلمي** على العليف .. **وقصيدة الهادي بن ابراهم الوزير** «**دامغة دامغة الدامغة**».

موجز تاريخي

ويقسم المؤلف الشامي تاريخ اليمن في فتراته الادبية المجهولة الى عشرة أقسام سالكا نهج من سبقوه من المؤرخين



للأداب من خلال الاحداث .. والمتغيرات .. وهذه الاقسام المحددة بعشرة أقسام هي:

١ **فترة الجاهلية:**

وهي فترة المجد العتيد والخرافات .. والاساطير .. والتبابعة .. والاقيال.

٢ **صدر الاسلام:**

وتبتدئ هذه الفترة حوالي ٦٠٠م .. أي سنة ٢٣ قبل بعثة الرسول بعد ان تهدم سد مأرب .. وتنتهي سنة ٧٥٠م – ١٣٢هـ.

٣ **من سنة ١٣٢هـ الى ٢٩٤هـ (٧٥٠–٨٢٠م).**

أي انها تبدأ بتلاشي الحكم الأموي .. وتنتهي بحروب ابراهيم بن موسى الجزار.

٤ من سنة ٢٠٤ الى ٢٧٧هـ (٨٢٠–٨٩١م).

٥ من سنة ٢٧٧ الى ٣٣٢هـ (٨٩١–٩٤٤م).

٦ من سنة ٣٣٢ الى ٤٣٩هـ (٩٤٤–١٠٤٨م).

٧ من سنة ٤٣٩ الى ٥٦٩هـ (١٠٤٨–١١٧٤م). وهذه الفترة تبتدئ بقيام ملك عظيم وتنتهي بفاتحة الحملات المصرية على اليمن.

٨ من سنة ٥٦٩ الى ٩٢٢هـ (١١٧٤–١٥١٧م) وهي فترة عرفت فيها اليمن ثلاث دول هي:

* دولة «**بني أيوب**»
* دولة «**بني رسول**»
* دولة «**آل طاهر**»

٩ من سنة ٩٢٣ الى سنة ١٢٥١هـ (١٨١٥–١٨٣٦م).

١٠ من سنة ١٢٥٢ الى سنة ١٣٨٢هـ (١٨٣٧–١٩٦٢م).

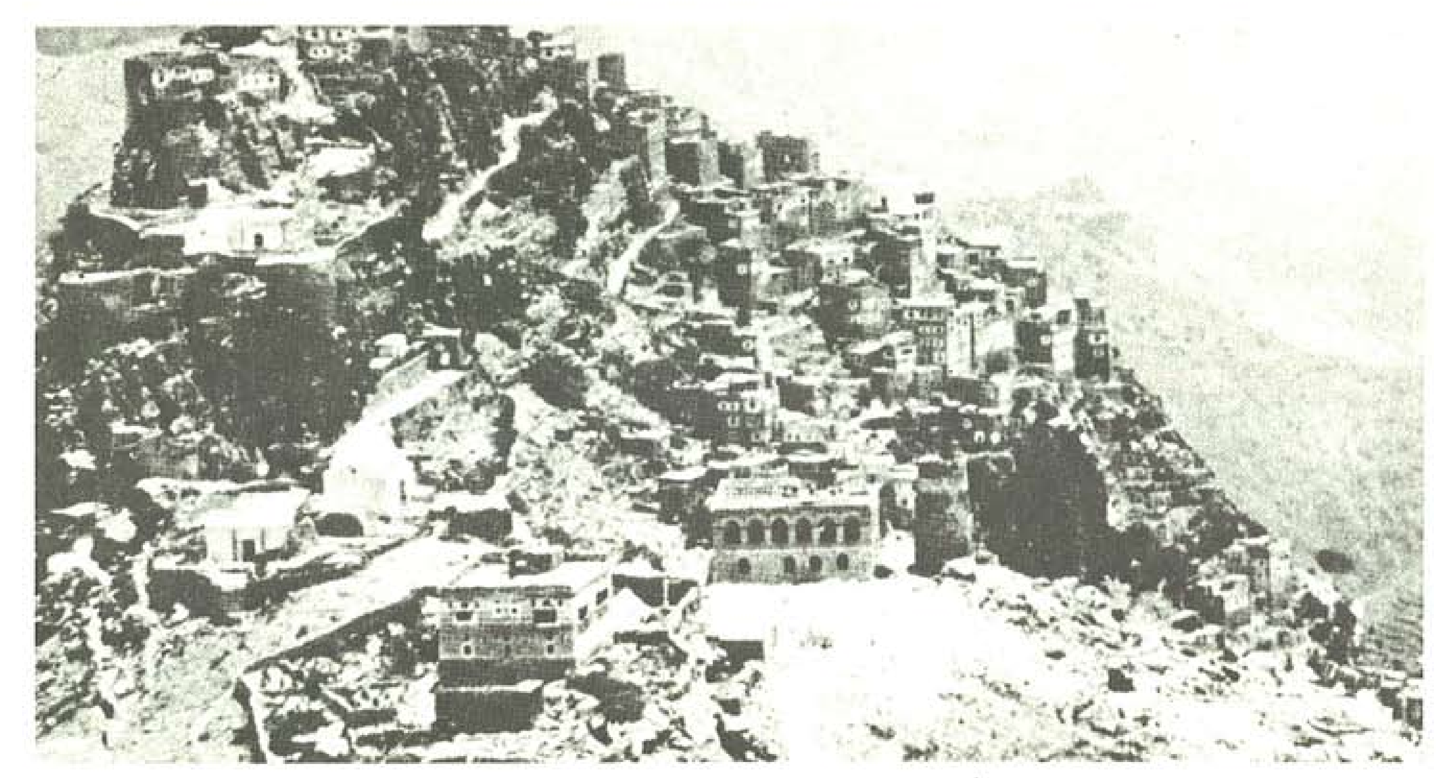
وكان المؤلف يورد تحت كل قسم من هذه الاقسام اسماء ابرز علمائه .. وشعرائه .. وقد عرف القراء العرب من اسماء الفترة العاشرة عددا من الشعراء لظروف خاصة كالهجرة الى البلاد العربية .. او عن طريق نشر بعض نتاجهم الشعري ..

ومنهم الشاعر الوزير **محمد محمود الزبيري** ..والشاعر **علي عبد العزيز نصر** .. والشاعر الوزير **احمد محمد الشامي** مؤلف هذا الكتاب .. **والبردوني** (الشاعر الضرير) .. وغيرهم.

ورغم ظهور عدد من الشعراء الشباب الجدد في هذه الفترة الا ان المؤلف الشامي لم يذكرهم.

الأدب الشعبي

ولان لكل شعب لهجته الخاصة المتداولة في الحديث



والتعامل اليومي .. وهي وسيلة التفاهم بين الأمي .. والمتعلم .. والمثقف .. وكل لهجة لها خصائصها .. وفنونها .. وطرق تعبيرها. فقد أفرد المؤلف الشامي في كتابه «قصة الأدب في اليمن» «**الأدب الشعبي**» ببحث خاص .. تناول فيه ابرز أشكاله .. وأسمائه وهي:

** **الزامــــل**:

ويعرفه المؤلف بأنه «نوع من الرجز يلجأ اليه أبناء اليمن عندما يكونون في حالة خصام .. أو حروب .. فيقف قائدهم – وهو في غالب الأحيان يجيد نظم الزوامل – أو أي واحد منهم فيرتجز بضعة أبيات بلهجته العامية فيتلقفها القوم وينغمونها بأصواتهم ثم ينشدونها جميعا لاثارة الحماس، وتحفيز الهمم .. وكذلك اذا كانت جماعة من الناس او قبيلة من القبائل تريد ان تحقق لها مطلبا أو تسأل أمرا .. فانها توفد زمرة تمثلها وهم ينشدون «**الزامل**».

«والزامل .. عادة يكون باللغة العامية .. وتتفاوت القطعة منه ما بين بيتين وثمانية أبيات» مثل ذلك قول الشيخ الفقية **شاعر طولان**:

ما بانسلم للجنود الكافرة
لو بايقولون القيامة با تقوم
ولو سما الدنيا تقع له طايرة
تلقى القنابل مثلما عد النجوم

** **القصيــــــد**:

وهو في عرف أهل اليمن «**الشعر القبلي**» كما يقول المؤلف .. والفرق بينه وبين «الزامل» ان اوزانه تتشعب كثيرا .. وان القطعة منه تتراوح ما بين العشرة ابيات والمائة بيت .. مثل ذلك قول الشاعرة «**غزال المقدسية**»:

سوا سوا ياعباد الله متساوية
ما حد ولد حر والثاني ولد جارية

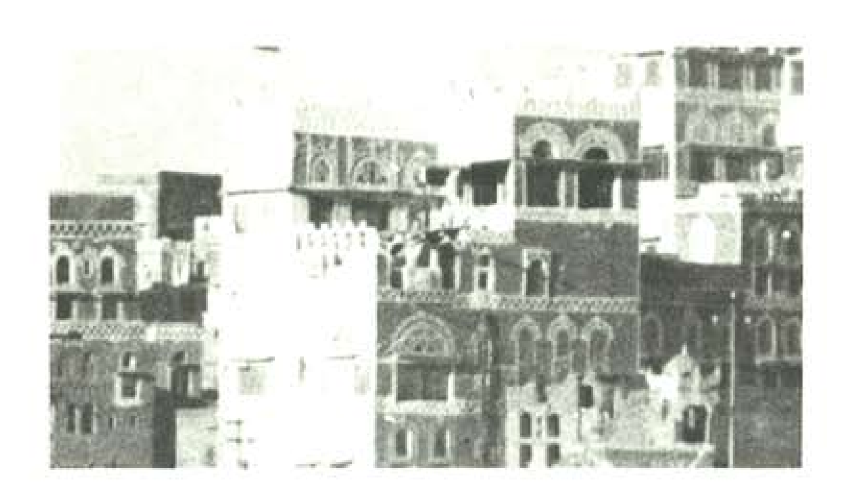
** **الغنــــاوي**: ويعرف المؤلف هذا اللون من الشعر الشعبي بقوله «ومن الأداب الشعبية ما يسمونه «**بالغناوي**» مفردها «غنوية» وهي في الغالب أبيات مفردة، أو رباعية كل بيت منها بقافيتين .. وهذا النوع خاص بالنساء يترنمن به في الحقول، أو مشارف الجبال، أو في مجالس العزاء، أو في الازمات» مثل ذلك:

ما حيلتي والخل قد جفاني
وسل نوم العين وابتلاني
ما زد تنازل لي ولا بنظرة
أمره الى الله، هو عليم بسره

** **الشعر الحمينــــي**:

ويعرفه المؤلف بانه «جماع آداب اليمن الشعبية، فقد يطلق فينطوي تحت مدلوله العام، **القصيد، والزامل، والغناوي**، ونحو ذلك .. والشعر الحميني مما اختص به أهل اليمن ولم يعرف عند غيرهم في أي قطر من الأقطار العربية لا قديما ولا حديثا .. وله

رحلة في كتاب



أشكال كثيرة .. وبحوث متعددة».

ويشير المؤلف ان هذا اللون يعبر به في شتى المناسبات .. والحالات الانسانية .. وان كل الأوزان .. والتفاعيل .. والبحور المعروفة في الشعر العربي والرجز القديم يتيسر أعاريفها أهل اليمن في شعرهم الحميني .. ويبيحون لأنفسهم ان لا يتقيدوا بالحركات النحوية .. بل يسكنون ويجزمون أواخر الكلمات تبعا للنغم والموسيقى .. ولا يبالون ان يجمعوا بين «بحرين» في بيت واحد .. ويضيفون الى ذلك من عندهم ما يبدعونه من **«تفعيلات»** و **«توشيحات»** ثم لهم أوزان وبحور أخرى لم يشر اليها **«الخليل بن احمد»** .. ولا غيره من علماء العروض».

ويورد المؤلف طائفة مختلفة من الشعر الحميني .. مثل ذلك:

صادت فؤادي بالعيون الملاح
وبالخدود الزاهرات الصباح

** **الامثال العرفية:**

وهي الأمثال الشعبية .. ولكل شعب أمثاله الشعبية .. والفصيحة. وهناك ألوان أخرى من الشعر الشعبي عرفت بها بيئة اليمن لم يشر اليها المؤلف مثل [illegible] .. وهو يعترف بأنه لم .. يأت على الموضوع حقه لأنه ليس من المتخصصين فيها .. ولم يمارسها كثيرا على حد قوله.

مع ستة شعراء

ويخص المؤلف ستة شعراء في كتابه .. ببحث خاص ..

أخبارهم .. أنسابهم .. أزمانهم .. شعرهم .. وهم: **«عمرو بن زيد** – المفرق الاكبر»، **«عمرو بن زيد الغالبي»**، **«عمرو بن زيد السعدي»**، **«عمرو بن يزيد العوفي»**، **«احمد بن يزيد القشيبي** – الكبير»، **«احمد بن يزيد القشيبي** – الثاني».

العصر الحديث

احتل الحديث عن «العصر الحديث» .. ونماذج من شعر بعض الشعراء ما يقارب من نصف صفحات كتاب «قصة الأدب في اليمن» تأليف الشاعر والوزير اليمني احمد محمد الشامي.

وكان المتوقع ان يكون حديثه عن النهضة الأدبية الحديثة في اليمن عبارة عن دراسة راصدة .. لكن الواقع لم يكن كما كان متوقعا .. فقد غلبت النماذج الشعرية على الموضوع كله .. ولم يكن للمؤلف موقف .. أو رؤية يستطيع القارئ من خلالها ان يكون فكرة عن الشعر اليمني.

واذا كانت هناك كلمة [illegible] فهي ان المؤلف في هذا الكتاب لم يقف من الأدب اليمني موقف الدارس الناقد .. والباحث الذي يربط أجزاء الموضوع .. ويوصل العلائق المختلفة والمتصارعة .. والمتأثرة بعضها ببعض .. كما انه ركز على الشعر وحده في تدوينه بصورة عامة مع وجود فنون أدبية أخرى لا نشك في وجودها .. أو وجود ظلال لها.

وملاحظة اخرى .. هي اننا نعتقد ان المؤلف لم يتناول كل الظواهر .. والعطاءات الأدبية في اليمن .. جبله .. وتهامته .. ومع ذلك يعد الكتاب بصفته أول محاولة حديثة لكتابة قصة أدب اليمن .. يعد عملا له أبعاده .. ويظل متميزا بالريادة.

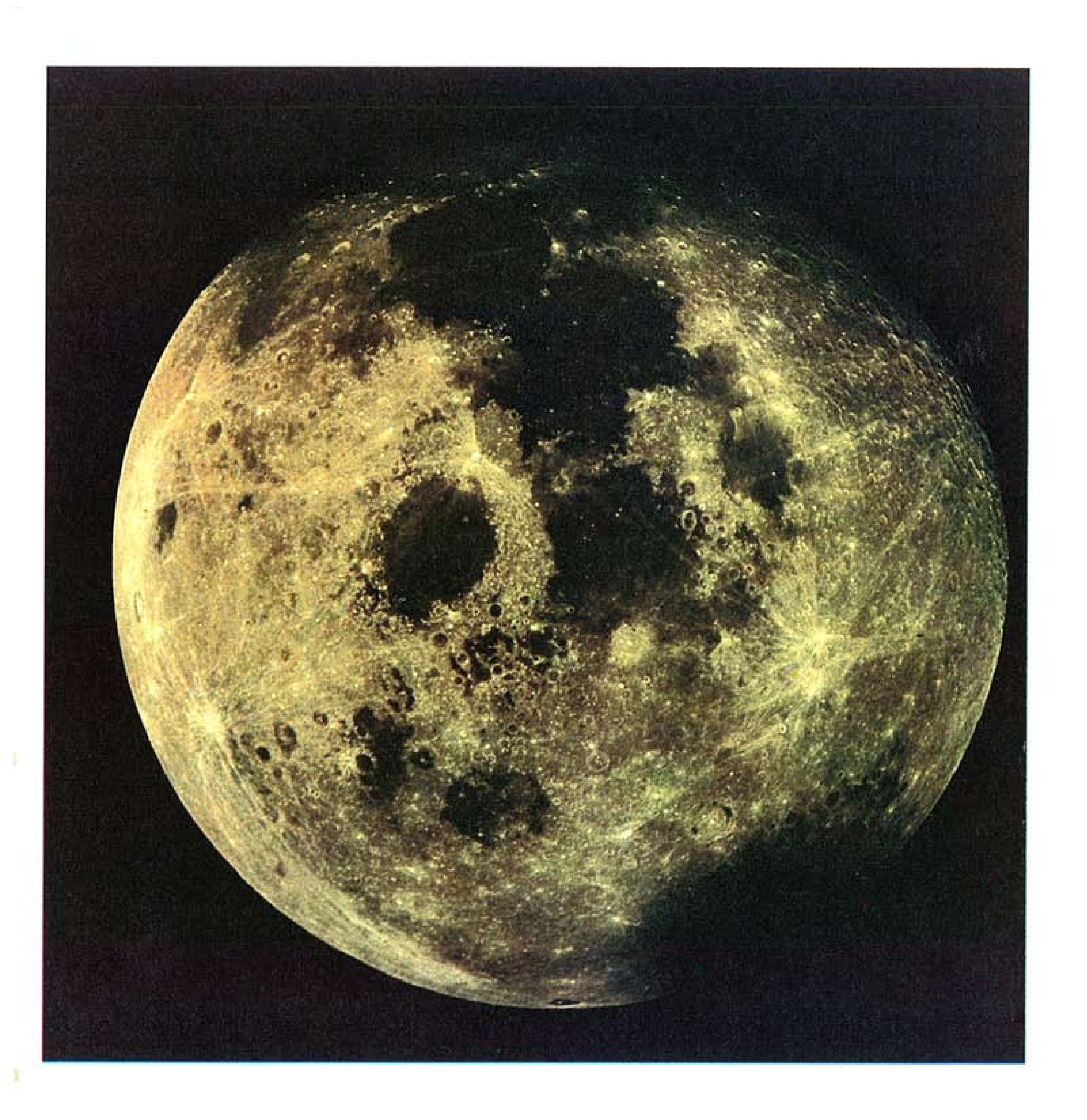
موضوع خاص :



الكوكب .. والإلهام .. والمستقبل

القمر.. ذلك الكوكب القريب منا والينا..
والذي كان محط اهتمام الانسان منذ عهود بعيدة القدم..

وكان مسرح نشاطه، فلكيا كان، ام فنانا، خلال الخمسة والعشرين قرنا الماضية..
وهو الذي كان اول كوكب حط الانسان قدميه عليه،



بعد سلسلة من التجارب..
وعديد من سفن الفضاء، كانت وجهتها، في أغلب الأحيان، اليه..

القمر.. الكوكب، وضياء الليل، والالهام، والغد.. يواجهنا بوابل من الاسئلة اذا ما رفعنا ابصارنا اليه.. وخلف كل سؤال علامة استفهام، تبحث عن جواب وتلهث خلف رد شاف.

القمر.. في القرآن الكريم

ورد ذكر القمر في القرآن الكريم في عدد من السور.. جاء في سورة الأنعام (٧٧) «فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي».

ولفظ القمر في ٢٦ آية قرآنية في سور مختلفة هي:
«(الانعام ٩٦) – (الاعراف ٥٤) – (يونس ٥) – (يوسف ٤) – (الرعد ٢) – (ابراهيم ٣٣) – (النحل ١٢) –

(الانبياء ٣٣) – (الحج ١٨) – (العنكبوت ٦١) – (لقمان ٢٩) – (فاطر ١٣) – (يس ٣٩ و٤٠) – (الزمر ٥) – (فصلت ٦٧) – (القمر ١) – (الرحمن ٥) – (نوح ١٦) – (المدثر ٣٢) – (القيامة ٨، ٩) – (الانشقاق ١٨) – (الشمس ٢) – (الفرقان ٦١)».

القمر .. في اللغة العربية

جاء في **لسان العرب لابن منظور**

القمر: لون الى الخضرة، وقيل: بياض فيه كدرة، حمار اقمر. والعرب تقول في السماء اذا رأتها: كأنها بطن أتان قمراء فهي امطر ما يكون، وسنمة قمراء: بيضاء، وفي الحديث ان النبي (ص) ذكر الدجال فقال: هجان أقمر، قال **ابن قتيبة:** الاقمر الابيض الشديد البياض. والانثى: قمراء ويقال للسحاب الذي يشتد حنوؤه لكثرة مائه: سحاب اقمر، واتان قمراء اي بيضاء وليلة قمراء اي مضيئة، واقمرت ليلتنا: اي اضاءت، واقمرنا: اي طلع علينا القمر.

والقمر: الذي في السماء، قال بن سيده: يكون في الليلة الثالثة من الشهر وهو مشتق من القمرة، **والجمع أقمار.** واقمر: صار قمرا، وربما قالوا: اقمر الليل ولا يكون الالل في الثالثة، انشد الفارس.

ياحبذا العرصات ليلا في ليال مقمرات

وابو الهيثم: يسمى القمر لليلتين من اول الشهر **(هلالا)**، ولليلتين من آخره ليلة ست وعشرين وليلة سبع وعشرين هلالا، ويسمى ما بين ذلك **(قمرا)**.

والجوهري يرى ان: القمر بعد ثلاث الى آخر الشهر يسمى قمرا لبياضه وفي كلام بعضهم **قمير** وهو تصغيره، **والقمران**: الشمس والقمر. **والقمراء**: ضوء القمر، وليلة مقمرة وليلة قمراء مقمرة، قال:

ياحبذا القمراء والليل ساج
وطرق مثل ملاء النساج

وحكى ابن الاعرابي: ليلة قمراء، قال **ابن سيده**: وهو غريب، قال:

وعندي انه عنى بالليل الليلة او انثه على تأنيث الجمع.

وعن ابن الاعرابي، قال: وقيل لرجل: اي النساء احب اليك؟

قال: بيضاء بهترة، حالية عطرة، حيية خفرة، كأنها ليلة قمرة.

قال ابن سيدة:

وقمره عندي هي النسب، ووجه اقمر، مشبه بالقمر.

واقمر الرجل: ارتقب طلوع القمر.

وقال **ابن احمر:**

لا تقمرن على قمر وليلته
لا عن رضاك، ولا بالكره مغتصبا

والعرب تقول: استرعيت مالي القمر: اذا تركته هملا ليلا بلا راع يحفظه، واسترعيته الشمس اذا اهملته نهارا قال **طرفة:**

وكان لها جاران قابوس منهما
وبشر، ولم استرعها الشمس والقمر

اي لم اهملها.

وجاء في **المعجم الوسيط:**

اقمر الهلال: صار قمرا وذلك في الليلة الثالثة من الشهر.

اقمر القوم: طلع عليهم القمر.

واقمر التمر: ادركه البرد قبل نضجه فلم يحل.

والابل ونحوها اقمرت: وقعت في كلأ كثير.

وفي معجم متن اللغة لاحمد رضا:

القمر: ابن الارض الذي يدور حولها وينيرها ليلا، (جمع) اقمار، ويسمى هلالا لليلتين او ثلاث من اول الشهر وآخره، ثم هو قمر سائر الشهر.

ويقال: اضيع من قمر الشتاء: لانه لا يجلس فيه للسمر كقمر الصيف.

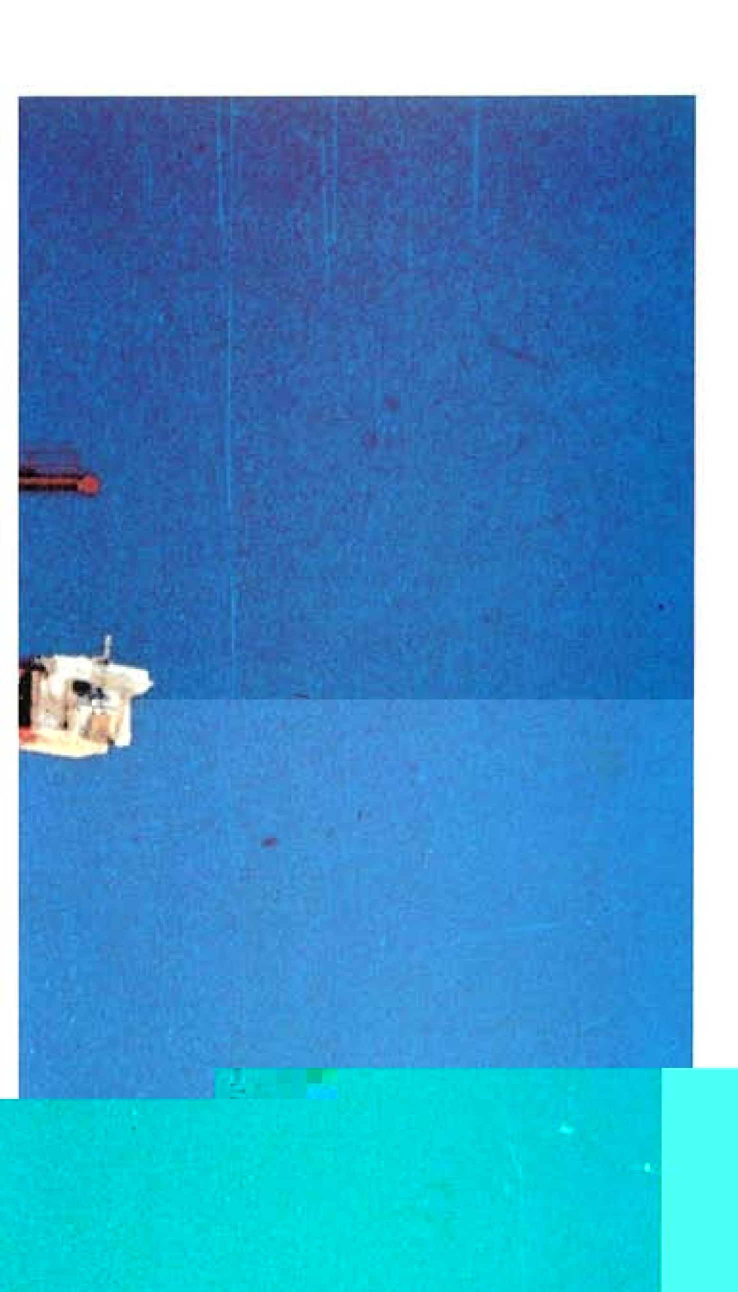
والقمرة: لون الى الخضرة او بياض فيه كدرة او البياض الصافي.

وفي معجم الالفاظ والاعلام القرآنية:

اقمر الهلال: صار قمرا .. والقمر: الكوكب السيار الذي يستمد نوره من الشمس .. ويدور حول الارض .. ويضيئها ليلا.

اسماء القمر .. عند العرب

وللقمر اسماء نطقت بها العرب: **المقر، الباهر، البدر، الطوس، الجلم، الفاسق، الوباص، الزبرقان، المنشق، الواضح، الباحور، الابرص، الزمهرير**، ومنه قوله سبحانه وتعالى (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) وقول بعض العرب:



وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزّمهرير ما ظهر

ومن اسمائه السمار، والساهور.

القمر .. في الامثال العربية

* «اضيع من قمر الشتاء»، قيل لانه لا يجلَس فيه
* ان يبغِ عليك قومك، لا يَبغِ عليك القمر
* اضوأ من القمر، واتمّ من البدر

القمر .. في انصاف الابيات

** اريها السّها وتريني القمر
** لا تخرج الاقمار من هالاتها
** هكذا البدر في الظلام يوافي
** كذاك كسوف البدر عند تمامه
** وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وصارت هذه الانصاف امثالا يتداولها المثقفون .. والمطلعون.

القمر .. في الشعر العربي

ما نورده هنا من نماذج شعرية هي قليل من كثير وقد ورد في (ديوان العرب).

قال الطائي:

ان الهلال اذا رأيت نموه
ايقنت ان سيكون بدرا كاملا

وقيل:

المرء مثل هلال حين تبصره
يبدو ضعيفا ضئيلا ثم يتسق
يزداد حتى اذا ما تم اعقبه
كرّ الجديدين نقصا ثم ينمحق

وقال ابو عاصم البصري:

رأيت الهلال وقد احدقت
نجوم الثريا لكي تسبقه
فشبهته وهو في اثرها
وبينها الزهرة المشرقة
بقوس لرام رمى طائرا
فأتبع في اثره بندقة

وقال عبدالله بن المعتز في وصف القمر وتشبيهه:

وانظر اليه كزورق من فضة
قد اثقلته حموله عنبر

وقال عبدالجبار الصقلي:

ورب صبح رقبناه وقد طلعت
بقية البدر في أولى بشائره
كأنما ادهم الاظلام حين نجا
من اشهب الصبح القى نعل حافره

وقال آخر:

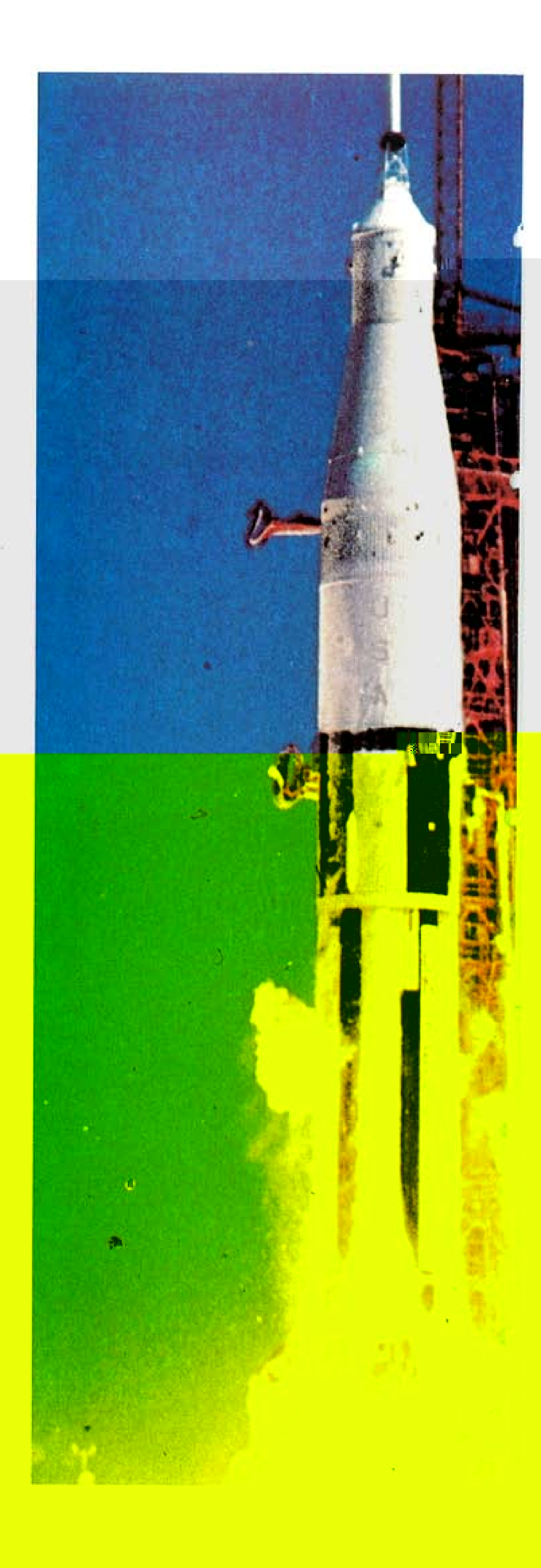
والجو صاف والهلال مشنف
بالزهرة الزهراء نحو المغرب
كصحيفة زرقاء فيها نقطة
من فضة من تحت نون مذهب

وآخر يقول:

وكأن الهلال نون لجين
غرقت في صحيفة زرقاء

وفي هجاء القمر قال ابن الرومي:

رب عرض منزه عن قبيح
دنسته معرضات الهجاء
لو اراد الاديب ان يهجو البدر
رماه بالخطة الشنعاء
قال: يابدر انت تغدر بالساري
وتزري بزورة الحسناء
كلف في شحوب وجهك يحكي
نكتا فوق وجنة برصاء
يعتريك المِحاق ثم يخليك
شبيه القلامة الحجناء
ويليك النقصان في آخر الشهر
فيمحوك من اديم السماء



فاذا البدر نيل بالهجو هل يأمن
ذو الفضل السنَّ الشعراء
لا لأجل المديح بل خيفة الهجو
اخـذنـا جوائز الخلفـاء

وفي باب الهجاء ايضا روى ان اعرابيا رأى رجلا يرقب الهلال، فقال له: ما ترقب فيه، وفيه عيوب قال: وما هي ؟ فقال: انه يهدم العمر، ويقرب الاجل، ويحل الدين، ويقرض الكتان، ويشحب اللون، ويفسد اللحم، ويفضح الطارق، ويدل السارق.

ومن عيوبه: ان الانسان اذا نام في ضوئه حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل، ويهيج عليه الزكام والصداع، واذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة في ضوئه، تغيرت طعومها وروائحها.

ما هو القمر ... ؟

ان لفظ قمر يمكن اطلاقه على اي كوكب يتبع في دورانه اي كوكب آخر. وعلى هذا الاساس يطلق على القمر «**تابع الارض**» لانه يدور في فلكها .. كما يطلق عليه «**التؤم الاصغر للارض**» او «**التابع الطبيعي لها**».

وهو كوكب مظلم .. لا يضيء الا بما يعكسه من ضوء يتساقط عليه .. فان اضاء بأشعة الشمس، قيل انه في «النهار القمري» .. واذا أضاء بأشعتها المنعكسة اليه من الارض فهو في «الليل القمري».

واذا كان القمر لا يضيء الا بما يعكسه من اشعة الشمس، فان وجوهه الثلاثة التي يطلع علنا بها (الهلال والمحدب والبدر) تنتج عن اختلاف كمية الضوء الواصلة الى الارض، والمنعكسة الى القمر، عند دورانه من حولها.

اوجه القمر

يطل علينا القمر، في اول ايام الشهر الهجري، (هلالا). والعالم الاسلامي كله يربط تقويمه الهجري بظهوره. وللهلال اهمية كبرى لدينا، خصوصا في الشهور التي ترتبط بمواسم اسلامية معينة .. مثل:

* **المحرم** .. وبه تبتدئ السنة الهجرية.
* **رمضان** .. ومعه يكون شهر الصيام.
* **شوال** .. وبه تهل ايام عيد الفطر المبارك.
* **ذوالحجة** .. وبعد تسعة ايام منه يكون وقوف الحجاج بعرفات، والحج فريضة .. وهو الركن الخامس من اركان الاسلام ويظل الهلال مطلا علينا طوال الربع الاول من الشهر، ثم يكون (**محدبا**) خلال الربع الثاني، ومع انتصاف الشهر يصير (**بدرا**). ثم تصير فيه حكمة الآية الكريمة «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» فيعود من بدر الى «محدب» الى «هلال» مرة اخرى مع نهاية الشهر القمري..

الشهر القمري

اذا اردنا مناقشة حركة القمر، فان ذلك مرتبط بدراسة حركة الشمس وغيرها من الكواكب السيارة .. فالشمس، وان بدت وكأنها تسبح عبر خلفية من النجوم الثابتة، فذلك يرجع الى ان كل من الكواكب التي تدور في فلك الارض، تكمل دورة واحدة حول الشمس كل ٣٦٥¼ يوم تقريبا. وكذلك القمر .. لكن حركته تبدو اكثر سرعة لأنه يكمل مداره حول الارض في جزء من العام.

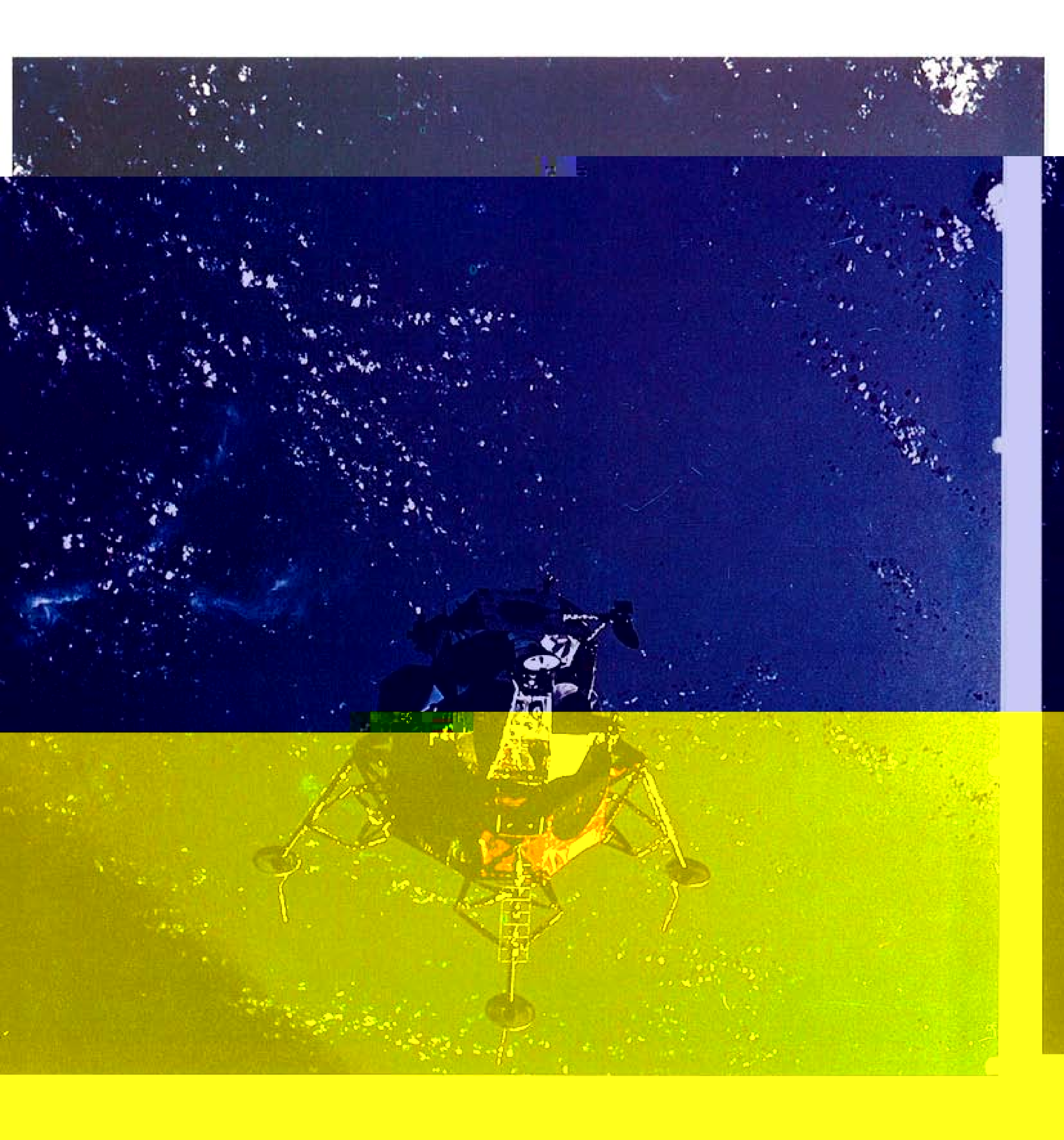
والقمر يدور حول الاجرام في ٢٧⅓ يوم. واذا تحرينا الدقة فهي ٢٧٫٣٢١٦٦ يوما. ولذلك، فنحن لا نرى – من على الارض – الا نصفا من القمر .. اي حوالي ٥٩٪ من سطحه الكلي.

اما المدة التي يكمل القمر فيها دورة حول الارض، بالقياس الى النجوم فيكون نظام (الارض – القمر) خلالها، قد تحرك بنفسه مسافة ضئيلة على امتداد مداره حول الشمس. ولذلك تعتبر المدة بين ظهور قمرين كاملين متتاليين او اقمار كاملة متتالية (**اقترانا**)، وتكون اطول قليلا من المدة المنقضية بين عبورين متتاليين في خط الزوال السماوي.

وهكذا تكون الفترة المنقضية بين ظهور القمر بدرا، والبدر الذي يليه هي الشهر القمري، وتبلغ ٢٩½ يوما (اي ٢٩٫٥٣٠٦ يوما بالضبط).

واذا نظرنا الى القمر من جهة الشمال، فان دورانه حول الارض تبدو في عكس اتجاه عقارب الساعة، كما تفعل الارض في دورانها حول الشمس. ويعتبر هذا، وجها من اوجه الشبه بين القمر والارض.

والمسافة الفعلية بين الارض والقمر تقدر بـ ٣٦٣٤٠٦ كيلومترا. ونظرا للحركة الدائرية لمحوريهما فان أقل



مسافة بينهما تصل الى ٣٨٤٤٠٠ كم

ويقال ان القمر في (الحضيض القمري) عندما يكون في اقرب بعد له من الارض ويكون في (الاوج القمري) عندما يكون في اقصى بعد له عنها

هذا وقبل ان نحلق في الفضاء سابحين الى القمر، لنتعرف على بعض حقائق عنه، وطبيعته الجغرافية، وجاذبيته .. الخ ..

العلاقة بين الارض والقمر

نود اولاً ان نضع امام بعض اوجه العلاقة بين الارض والقمر :

١ – ان كلا من الارض والقمر كوكبان متشابهان في شكليهما الدائري وتركيبهما الصلب

مجلة الفيصل – ص ٩٧

** تقول التحاليل المبدئية للعينات التي جلبت من سطح القمر ان تربته تشبه الى حد كبير تربة الارض، ولو ان ذلك لم يتأكد بالارقام بعد.

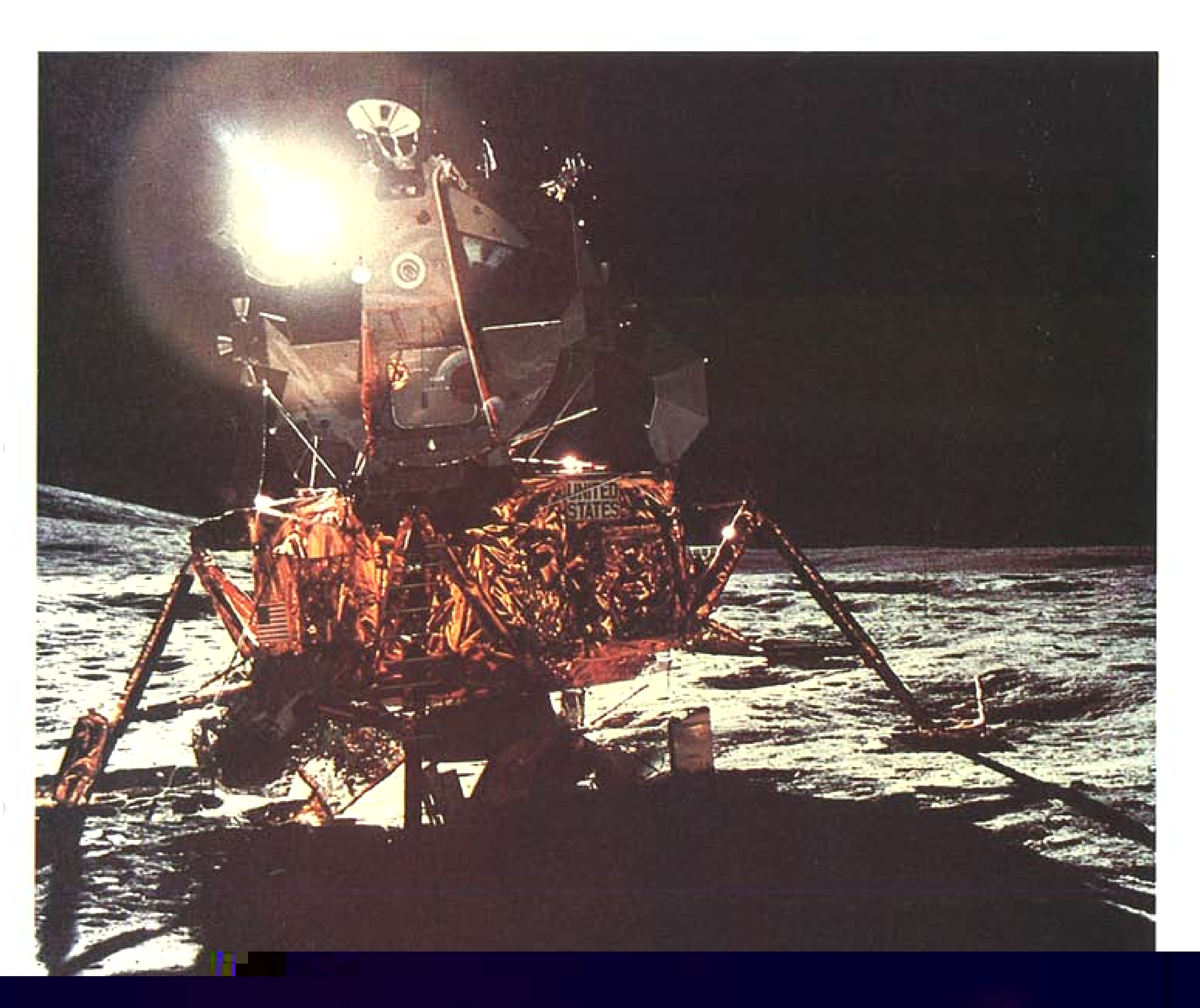
** تتميز الارض بغلافها الجوي المتعادل، وبما يغطي سطحها من ظروف مائية ونباتية وحيوانية تجعل الحياة عليها ممكنة يسيرة، في حين يخلو القمر من اي مظهر للحياة على سطحه.

** تتأثر الارض بجاذبية القمر فينتج عن ذلك ظاهرة المد والجزر.

التقويم القمري

كان القمر بأوجهه الثلاث (**الهلال – المحدب – البدر**) هو معيار اقدم التقاويم التي عرفها الانسان.

ولئن كان الشهر القمري (الفترة بين **ظهور هلالين متتاليين**) هي **٢٩½** او ثلاثين يوما. فالذي يجدر ذكره ان التقويم القمري كان اسبق من التقويم الميلادي الى استعمال «**الشهر الكبيس**» و«**السنة الكبيسة**».



ولقد كان التقويم المصري القديم هو اول التقاويم القمرية. فكانت السنة فيه اثنى عشر شهرا، كل منها ثلاثين يوما، مضافا اليها خمسة ايام كبيسة ليكون مجموعها ٣٦٥ يوما.

وكذلك صار تقويم البابليين، الذي على نهجه سار تقويم اليونان القديمة حتى الفتح الروماني.

ومع **الامبراطورية الرومانية**، كان التقويم قمريا في البداية. فكانت السنة ٣٥٥ يوما في اثني عشر شهرا على اثني عشر هلالا قمريا. ثم قدم يوليوس قيصر (١٠٢-٤٤ ق.م.) تقويما بالاضافة الى يوم كبيس يضاف الى شهر فبراير كل اربع سنوات.

اما **(التقويم اليهودي)** الوارد في التوراة، فقد كان قمريا ايضا، ومتأثرا بتقويم البابليين. الا ان سنته العادية كانت اثني عشر شهرا والكبيسة ثلاثة عشر شهرا.

ثم اكتملت للتقويم القمري سيادته بظهور الاسلام، فأصبح ظهور الهلال يحدد بداية كل شهر هجري، دون اعتبار لفصول السنة ومدى توافقها مع شهور القمرية (الهجرية).

والسنة الهجرية تتكون من اثني عشر شهرا يبلغ عدد ايامها ٣٥٤ او ٣٥٥ يوما. ومن ثم فان كل ٣٣ سنة هجرية تعادل ٣٣ سنة ميلادية.

خسوف القمر

اذا وقعت الارض، اثناء دوران القمر حولها - بين الشمس والقمر، واصبح القمر في ظل الارض. عندئذ لا تصله اشعة الشمس سواء منها مباشرة او منعكسة اليه من الارض. وهو ما يعرف **بخسوف القمر**.

الا ان ميل محور القمر تجاه دائرة البروج يؤدي الى ندرة حدوث خسوف القمر، عنه لو كانت درجة ميله «صفرا» ومن ثم فان الحركة التراجعية لنقطة اللقاء (اي نقطة تقاطع مداري الارض والقمر)، والتي تنتج اساسا عن الطاقة المعوقة لجاذبية النتوء الاستوائي للارض، تؤدي الى ندرة وقوع الخسوف، فتتكرر كل ١٨٫٦ سنة، وتعرف هذه المدة بالشهر الاستوائي.

حركة القمر

للقمر حركتان: حركته حول محوره مرة واحدة كل ٢٧⅓ يوم، وقد سبقت الاشارة اليها.

وحركته اليومية في دورانه من الشرق الى الغرب حول الارض، متأثرا بدوران الارض حول محورها. وعلى هذا الاساس يشرق القمر ويغيب متأخرا ٥٠ دقيقة من يوم لآخر. وقد يختلف هذا المعدل من حين لآخر. على ان اطول تأخر ممكن في شروقه وغروبه يكون، مثلا في خط عرض نيويورك، حيث لا يقل التأخر عن ساعة كاملة .. الامر الذي يلفت الانتباه، خصوصا عندما يقترب القمر من كونه بدرا.

وترجع هذه الظاهرة الى اختلاف الزاوية بين مدار القمر وبين الافق الشرقي.

اما **قمر الحصاد** - الذي يرى في خطوط العرض الشمالية - فهو القمر قرب اكتماله. ويكون حدوثه قريبا من يوم الاعتدال الخريفي، اي يوم ٢٣ سبتمبر، وهو اليوم الذي يتأخر فيه شروق القمر عدة ليال متتالية، وفيه يكون ضوؤه اكثر بريقا في اول الليل. اما عند الاكتمال التالي للقمر - وهو قمر الصيد - فيزداد تأخر شروقه الى حد ما.

وكل هذه الظواهر يمكن ملاحظتها، في النصف الجنوبي ايضا، في الموسم التالي.

والطريف ان حساسية اسلافنا الاقدمين تجاه حركات القمر وتبدل وجوهه (هلالا ومحدبا وبدرا) كانت مفرطة للغاية. فقد كانوا يظنون ان هذه الحركات، والتفاوت في درجة الانارة لا تصدر الا عن كائن حي انما يبزغ، ثم ينمو، فيكتمل، ثم يتضاءل فيموت ولابد ان هذا التزايد والنقصان في نموه يؤثران على الكائنات الحية على الارض - فكانوا يحددون موعد نثر البذور في الارض باكتماله بدرا، يأمل أن تنمو قوية خصبة. فاذا تضاءل نوره ونقص حجمه قطعوا الاشجار واحجموا عن الزراعة. الا ان تقدم علوم الفلك اثبتت ان هذا الظن كان من قبيل الاوهام.

واذا كانت الارض والقمر، في دورانهما في الفضاء من حول الشمس ككوكبين متلازمين فان الذي يرسم مدار كل منهما هو اختلاف الكتلة فيهما. ورغم ان كتلة الارض تزيد ثمان مرات على كثافة القمر، فان الارض - عند دوران القمر حولها كل شهر - يرسم مركزها منحنيا على هيئة حرف (s) بسعة تقرب من ٩٦٠٠ كيلومترا.

كذلك تؤدي جاذبية الكواكب السيارة الاخرى انحرافات اخرى مشابهة. الا ان تأثير القوة الجاذبة لهذه الكواكب على الارض يكون ضعيفا، نظرا لبعد المسافة بينها وبين الارض.

وكما ان الارض تدور حول الشمس في مسار متعرج، فان حركة دورانها ليست منتظمة تماما، وذلك ناتج عن جاذبية القمر، التي تؤدي الى ظهور حركة المد والجزر في المحيطات والبحار. كذلك، فان تأثير جذب القمر على النتوء الاستوائي للارض يتسبب – عندما يمر القمر اولا في اتجاه جنوب خط الاستواء ثم في اتجاه شماله – في ان يترنح محو الارض ترنح النحلة في دورانها.

وهكذا يتضح التأثير الفعلي القوي للقمر على الارض. وعلى الرغم من ان قطره يبلغ ٣٤٧٨ كيلومترا فقط، الى جانب كتلته التي تقدر بجزء واحد من ثمانين جزءا للارض، فان درجة قربه من الارض (حوالي ٣٨٥٠٠٠ كم) تجعل تأثير جاذبيته عليها كبيرا.

واليابسة .. لا تخلو هي الاخرى من التأثر بجاذبية القمر. ولقد اتضح ان قارة امريكا الشمالية ترتفع بمقدار خمسة عشر سنتيمترا، عندما يتوسط القمر سماءها في كل شهر.

سطح القمر

ان ما استطعنا جمعه من معلومات عن القمر، تثير لدينا كثيرا من الاسئلة، غير تلك التي كان يصادفها المشاهد العادي له من قبل.

لم يعد القمر هو ذلك الكوكب الذي يملأ السماء نورا، فيبدد ظلام الليل، ولا عاد مصدر الهام الشعراء وهواة العزلة والتأمل وحسب .. بل انه غدا منبعا لا ينضب لسيل من الحقائق تتجدد كل يوم، وبعد عودة كل سفينة فضاء انطلقت اليه.

ان تكوينه الطبيعي الخالي من الماء والهواء – وهذه حقيقة علمية لاشك فيها – ادت الى وجود سهول شاسعة (كان الفلكيون الاوائل يظنونها بحارا). ويتميز سطحه كذلك بقمم الجبال المتشققة التي تشبه او تفوق جبال الارض. كما توجد به آلاف الفوهات البركانية التي تمتد نحو ٢٩٠ كم...هذه الفوهات التي لايزال النقاش دائرا حولها حتى اليوم. ولقد تصدر الجدل مدرستين:

الاولى: **المدرسة البركانية:**

وتقرر ان هذه الفوهات نشأت نتيجة انفجارات بركانية لمواد صخرية منصهرة في باطن القمر. ولقد امكن، من خلال تلسكوب (**مونت بالومار**)، بكاليفورنيا، تسجيل اكثر من ثلاثة

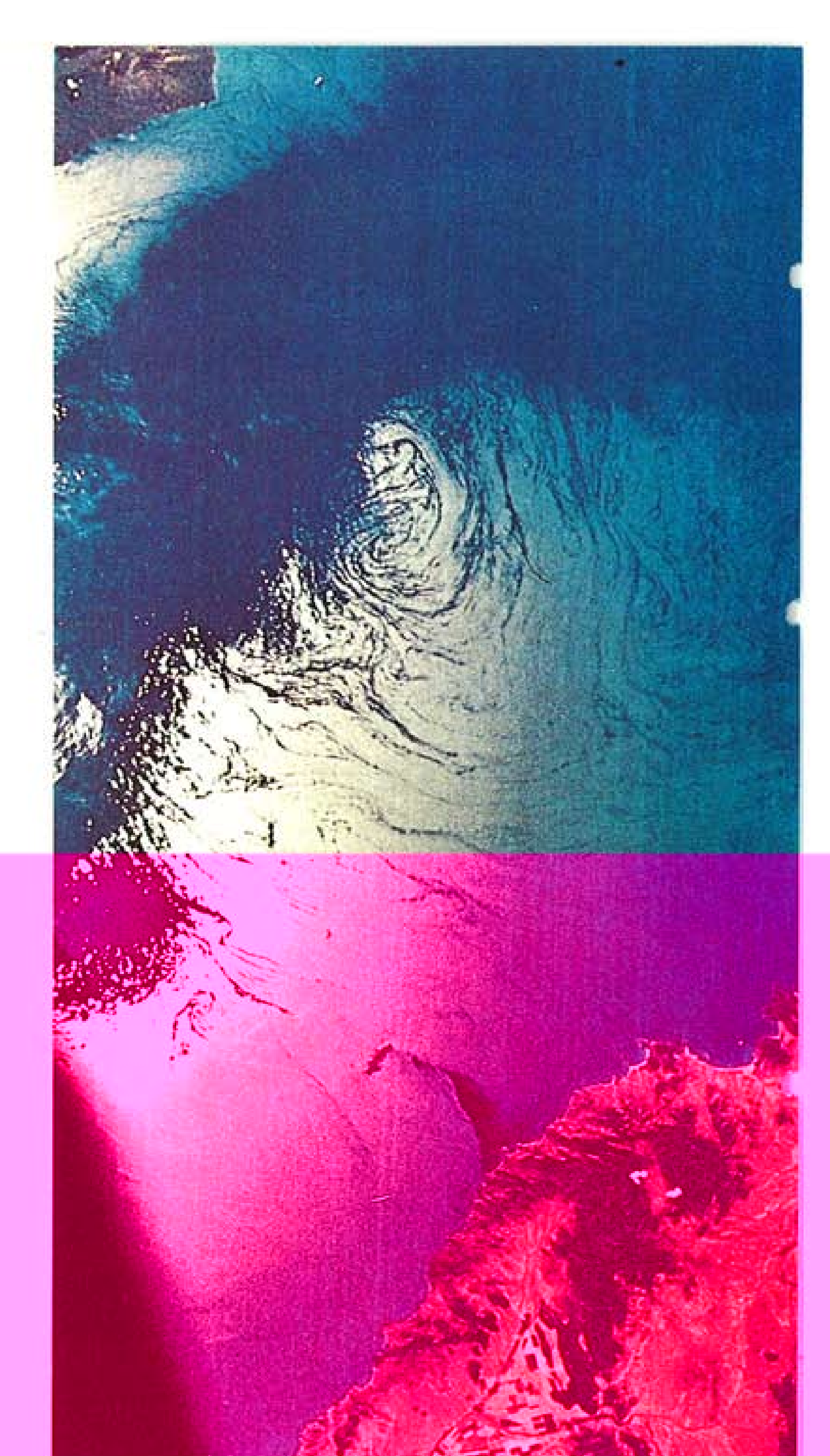


آلاف فوهة بركانية يتراوح قطرها بين كيلو ونصف الكيلومتر، وثلاثمائة كيلومتر.

الثانية: **مدرسة النيازك:**

التي تقرر بأن هذه الفوهات كانت نتيجة انفجار **النيازك** المتساقطة على سطح القمر وارتطامها به.

الا ان بعض الهيئات العلمية تحاول الجمع بين ما ذهبت اليه كلا المدرستين، دون التحمس لرأي ايهما.



وهناك من يعتقد ان هذه الفوهات نشأت نتيجة عوامل جيولوجية اخرى كغوص بعض الصخور في الرمال او تفتتها، مما نتج عنه ارتفاع بعض الحوائط او الحدود الدائرية التي تشبه فوهات البراكين.

والواقع ان المدرسة الاولى (مدرسة الفوهات البركانية) قد سادت نظريتها طوال قرنين من الزمان امتدا من القرن السابع عشر الميلادي، وحتى نهاية القرن التاسع عشر. **وظل المجتمع العلمي على الشك بأن النيازك ما هي الا احجار كانت هائمة في الفضاء ثم سقطت اما على سطح الارض او على سطح القمر.**

ويبدو ان بعض **السلنوغرافيين** (علماء وصف سطح القمر) بدأوا يعتقدون ان هذه الفوهات انما هي من فعل النيازك .. وهو الرأي الذي بدأ ضعيفا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي (ايام سيطرة نظرية الفوهات) ثم اخذ ينمو فيما بعد – حتى اعلن الجيولوجي الامريكي (**ج.ك. جيلبرت**) دعما جديدا لهذا الرأي.

وعلى الطرف الآخر، يعتقد انصار مدرسة البراكين، ان العلاقات الموجودة بسطح القمر، نشأت نتيجة عوامل خاصة بالقمر ذاته .. وهي العوامل التي تشبه غالبا – وليس دائما – تلك العوامل الخاصة بسطح الارض. وهم يعتقدون انها لا يمكن ان تكون ناتجة عن ارتطامات عشوائية من النيازك. ومن القائلين بذلك الفلكيان: الايرلندي، (**باتريك مور**) والبريطاني (**ج. فيلور**) ... وعالم البراكين الامريكي (**ج.اي. سبير**).

اما علماء النيازك، فينكرون مثل هذه العوامل، في حين يزعم علماء البراكين ان الضباب والاشعاعات التي تبدو، من وقت لآخر على سطح القمر، انما هي دلالات على النشاط البركاني فيه. في حين يقول معارضوهم انها اشعاعات ضوئية في صخور القمر تنشأ نتيجة تذبذبات في الفضاء.

هذا، ولقد اكدت منحدرات القمر، والرسائل التي جلبتها سفينة الفضاء ابوللو، وجود بعض العلاقات القمرية التي تشبه، على الاقل، بعض المظاهر البركانية على سطح القمر وهي: الضباب الصخرية، والحمم.

كل هذا الجدل ... ولازال السؤال حائرا .. **هل للنشاط البركاني انتشاره واهميته على سطح القمر ام لا ؟**

الذي اكده اليقين .. هو ان الصخور المنصهرة نتجت عن آثار ارتطام النيازك الضخمة بسطح القمر. ويحتمل ان تكون قد ادت الى تكون «**الفوهات البركانية**» الهائلة والماريا (او السهول).

واذا كان القمر خلوا من غلاف جوي له قيمته، وبدون دورة مائية تلازمه .. فان هذا الكوكب لا يعرف مظاهر «**التعرية**» التي تدأب دائما على تنعيم سطحه وتعبيده. ويتضح ذلك من الشك العام لسطحه ومرتفعاته المدببة الاطراف التي لا اثر فيها لعوامل التعرية كما قلنا. اما آثار النيازك والتجاعيد الموحشة على سطحه فقد تكون راجعة الى ارتفاع حرارة النهار الى حد الغليان (٩٣ درجة سنتجراد) وزمهرير الليل (١٨٥ درجة تحت الصفر).



هذا هو القمر..

الكوكب، والمدار، والتقويم، والطبيعة.

وما ذكرنا آنفا، هو احدث ما توصلت اليه الاكتشافات العلمية الاخيرة من معلومات وحقائق حول هذا الكوكب .. القريب منا .. والينا.

واذا ذهبنا نقلب صفحات كتب الفلك، ونراجع، بايجاز، آراء الفلكيين القدامى على امتداد الاربعين قرنا الماضية، فانه يعنينا ان نعرف ان كانت تصوراتهم وخيالاتهم وحتى ابحاثهم – بوسائلهم البدائية – قد حالفها التوفيق او جانبها الصواب.

الفلكيون ... والقمر

** ان اول تسجيل لارصاد كسوف الشمس في الحضارات القديمة كان في **الصين**، منذ حوالي اربعة آلاف سنة قبل الميلاد. وكادت المراصد الصينية ان تنافس ارصاد الفلكيين في بلاد **ما بين النهرين** دقة وحسابا.

** واستطاع **المايين** (وهم سكان هندوراس البريطانية وجواشيالا الشمالية) ان يتنبأوا بظاهرتي الكسوف والخسوف، وتمكنوا من قياس طول السنة الشمسية والشهر القمري بدقة عجيبة.

** اما اقوى مدرسة فلكية علمية، فقد كانت في مدينة «**مليطس**» باليونان القديمة. وفيها تصور «**طاليس**» ان الارض كروية. وكان ذلك عام ٦٠٠ ق.م.

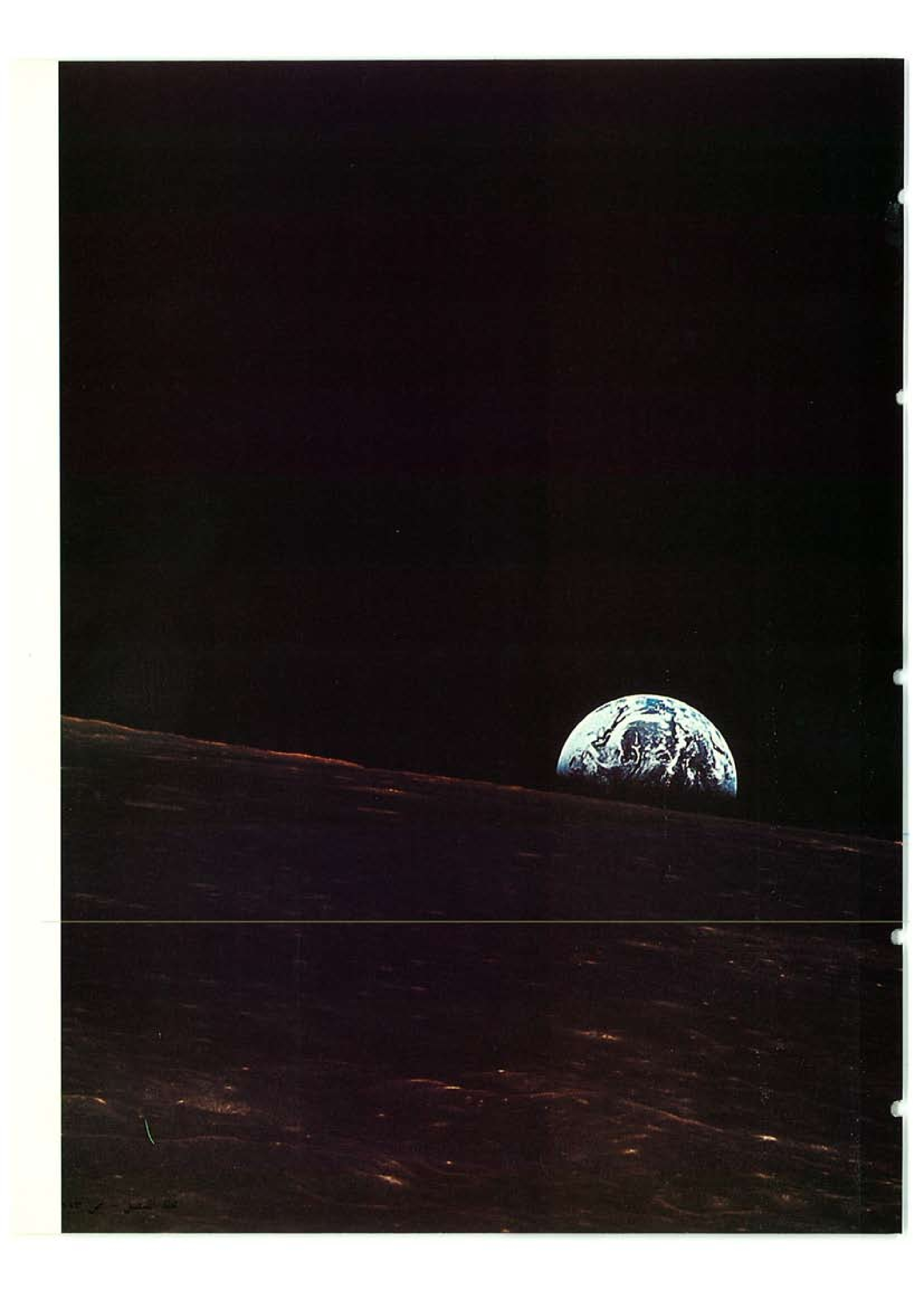
** اعتقد اتباع **فيثاغورس** – في القرن الرابع قبل الميلاد – ان الارض كروية وانها تسبح في الفضاء في حركة دائرية .. شأنها في ذلك كالقمر والشمس والكواكب السيارة.

** لاحظ «**سلوقس**» في مدرسة الاسكندرية (القرن الثالث قبل الميلاد) ظاهرة المد والجزر وارتباطها بأوجه القمر.

** كان «**هيبارخوس**» اكثر فلكيي الاغريق قدرة علمية ودقة حسابية، فقد لاحظ (عام ١٥٠ ق.م.) ان الارض كروية، لكنها ثابتة لا تتحرك، بينما تدور الشمس والقمر والكواكب السيارة حول الارض في مدار كبير، وفي نفس الوقت تتحرك هذه الاجرام في دورات اخرى دائرية.

ولقد بلغت هذه النظرية حدا من القوة والثبات جعلها تظل سائدة على امتداد الثلاثة عشر قرنا التالية.

** **عرف المسلمون نظرية «هيبارخوس» عن طريق**



بطليموس، واطلقوا عليها (نظام بطليموس) ثم عرفتها الاوربيون من بعدهم.

** كان **كوبرينكوس**، الفلكي البولندي (١٤٧٣–١٥٤٣ م) هو صاحب اول نظرية فلكية ظهرت بعد (نظام بطليموس).

والجديد عنده انه جعل الشمس هي مركز مدارات الكواكب السيارة جميعا. والجدير بالذكر انه لم ينشر نظريته هذه الا في اواخر عمره. فقد كانت الكنيسة الاوربية في عنفوان تسلطها على العلماء وعلى كا ما هو جديد .. فوصفه **مارتن لوثر** (صاحب المذهب البروتستانتي المسيحي) بالغباء، وبأن نظريته تعارض الانجيل ويجب ان يفرض عليها الحظر... فهب اتباعه ومريدوه للدفاع عن النظرية .. فكانت النتيجة ان حكم احدهم بالموت حرقا، وحرم آخرون من وظائفهم ووصموا بتهمة الزندقة.

** وجاء «**جاليليو**» (١٥٦٤–١٦٤٢)، فكان اول من صوب منظارا الى السماء عام (١٦٠٩)، واستطاع رؤية اوجه الزهرة التي تشبه وجه القمر. ولقد تحمس لنصرة نظرية «**كوبرنيكوس**»، فأرغمته محاكم التفتيش على الارتداد عنها، وامرت بتحديد اقامته في بيته لا يغادره ابدا، وبعدم اثارة الموضوع مرة اخرى، فقضى بقية عمره في دراسة الميكانيكا والديناميكا.

** استطاع **اسحق نيوتن** (١٦٤٢–١٧٢٧)، ولما يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بعد .. استطاع تقدير مدى تأثير جاذبية الارض على القمر والاهم من ذلك هو اكتشافه قانون الجاذبية العام. ولقد استطاع ان يفسر سبب دوران القمر حول الارض بالسرعة والبعد اللذين يصاحبان دورانه كما اكتشف ان كتلة القمر تجذب السوائل الموجودة على سطح الارض وتتسبب في ظاهرتي المد والجزر في المحيطات.

** اما احدث نظرية في هذا المجال، فهي نظرية «**النسبية**» التي وضعها «**ألبرت أينشتاين**» (١٨٧٩–١٩٥٥)، وقد حلت محل نظرية نيوتن وهي التي على اساس تقديراتهاوحساباتها الدقيقة كان المولد الفعلي لعلوم الفضاء العملية التي ادت الى وصول الانسان الى القمر.

وبهذا نعتقد ان جواب السؤال الذي طرحناه عن مدى توافق آراء ونظريات الفلكيين القدامى مع الحقائق الفعلية عن القمر قد وصل بنا الى ان أراءهم كانت الى حد ما قريبة من الصواب.

اما الفنانون والادباء – الذين لا يحملون من اسلحة الحياة غير الفكر والقلم – كيف تصوروا القمر في خيالاتهم واعمالهم الادبية ؟ الى اي حد كانت شفافيتهم في الاحساس بعلوم الفضاء ،، بل ورسم آلاته وتحديد حركات سفن الفضاء بالارقام وبخلق نسيج رائع من الحقائق العلمية المصاغة في قالب فني أخاذ ؟

القمر في الادب

يعتبر «**ولسيان السوري**» الذي عاش في القرن الثاني الميلادي اول الروائيين العلميين وفي كتابه «**قصة حقيقية**» يروي قصة خمسين بحارا يتعرض مركبهم لعاصفة هوجاء في **المحيط الاطلنطي**، فتدفعهم العاصفة الى القمر، ليجدوا انفسهم في حرب بين سكان القمر وسكان الشمس. ورغم ان عنوان الكتاب يوحي بالجدية، فقد كتب في مقدمته يقول «**كن على حذر .. لا تصدق حرفا مما اقص عليك**»!!

اما «**ليوناردو دافينشي**» (١٤٨٦–١٥١٤ م) فقد اسعفه خياله الفني الخصب فقام بوضع تصاميم عدد من اجهزة



الطيران، بينها طائرة شراعية وطائرة عمودية (**هليوكوبتر**) ومظلة هبوط. اما بالنسبة للطيران، فقد كان يؤمن بأن الانسان سينجح يوما ما في تقليد الطيور. وفي رأيه ان الطير «جهاز يعمل بموجب قانون رياضي .. والانسان قادر على بناء جهاز من هذا النوع، لا ينقصه شيء سوى حياة الطير وهي حياة ينبغي ان تستمد من حياة الانسان نفسه».

ثم كان «**يوهانس كيلر**» (القرن السابع عشر) اول من فسر القوانين الطبيعية لحركة الكواكب السيارة الى جانب قدرته على صياغة هذه الحقائق في قصص خيالية. وكان كتابه (**سومنيوم او** دراسة القمر فلكيا)، مكتوبا بلغة مجازية. ولئن كان «لوسيان السوري» قد اعتمد في قصته «الحقيقية على شطحات الخيال المحصن، فان (كيلر) كان يقدم حقائق علمية بل وسابقة لزمانها بقرون. فهو يتحدث – من القرن السابع عشر عن المصاعب التي قد يواجهها ملاح الفضاء قائلا: «الحركة الاولى مزعجة وخطرة، لانها تقذف به في الهواء .. كما لو ان البارود يفجره اذ ينفجر» اما في الفضاء فهو يواجه: «بردا قارسا وافتقارا الى الهواء، ويستشعر حالة انعدام الوزن، وتحد سرعته كما لو انه يتعرض لدفع عكسي كلما ازداد اقترابا من القمر، ثم يقول:

رواد «ابوللو ١٤»

«ولولا ذلك لأصيب بالجراح لثقل هبوطه».

وكان يتخيل ان القمر مأهول بمخلوقات غليظة البشرة، تقضي معظم نهارها بالكهوف مختبئة من حرارة الشمس. وكان يهدف من وراء ذلك الى التأكيد بأن مناخ القمر شديد الحرارة نهارا وقارس البرودة ليلا لقد كان وصفه للقمر مدهشا في دقته.

وجاء الفرنسي، (سيرانودي برجرال)، فكتب «**رحلات الى القمر والشمس**» فكانت مزيجا عجيبا من الشعر والخيال، جنبا الى جنب مع الحقائق العلمية. وفي الكتاب يفكر البطل ان الشمس تجعل ندى الصباح يتصاعد في الجو بخارا، فيجهز جسده بقوارير مملوءة بالندى محاولا الصعود بها في الجو. ويجعل مركبته على غرار الطائرة (بأجنحة ومحرك)، ولكنه ابان محاولته الاقلاع بها من فوق صخرة – يسقط في الوادي بشكل مزر. فيدهن جسده بنخاع الثور ليخفف ألم جراحه فيفاجأ ان هذا الدهان قد حمله صاعدا حتى بلغ القمر، ثم يعود الى الارض ويبني مركبة اخرى.

اما اشهر كتاب القصص العلمية بلا منازع فهو «**جول فيرن**» (القرن التاسع عشر) ومن اشهر كتبه، قصته «**٢٠ ألف فرسخ تحت الماء**» و«**حول العالم في ثمانين يوما**» ثم صحب قراءة من قاع المحيط، ومن حول العالم، الى القمر وحوله.

واما رحلته الى القمر (عام ١٨٦٥) فقد كانت تفاصيلها مزيجا بارعا من الدقة العلمية والتكهنات الثاقبة والخيال الاصيل. فقد تخيل ان جهاز الاطلاق عبارة عن مدفع جبار يبلغ وزن وقوده ٤٠٠ ألف رطل انجليزي من المتفجرات. الا ان هذا المدفع بثقله الهائل كان كفيلا بأن يسقط بركابه قبل ان يرتفع بهم فوق مستوى الاشجار. والغريب انه اصاب في تصوره ان سرعة مركبة الفضاء يجب ان تكون بمعدل ٤٠ ألف كيلومتر في الساعة كي تستطيع التخلص من جاذبية الارض، وانها ستستطيع تصحيح مسارها باستخدام الصواريخ. ولقد كان مشروعه الخيالي هذا – من فرط قربه من الحقيقة – ان جعل قراءه يرفضون ان مركبته من صنع الخيال وحسب، بل لقد وصل بهم الامر الى ان بعضهم ابدى رغبة فعلية في ركوبها الامر الذي اصابه بدهشة بالغة.

الانسان والفضاء

يتضح مما سبق عرضه، ان الفضاء والقمر خصوصا – كان محط آمال البشرية على امتداد دهور طويلة من تاريخها.

ولئن كانت علوم الرياضيات والفلك والتكنولوجيا، لم تسعف الانسان في قرونه الماضية فانه – في نفس الوقت – قد جعل الخيال بديلاً لما عجز عن اقامته على ارض الواقع.

كذلك يتضح من العرض الذي قدمناه ان نظريات الفلكيين، وروايات الفنانين كانت – ويا للدهشة – قريبة جدا مما وصلنا نحن اليه في النصف الثاني من القرن العشرين.

ولقد استطاع الانسان مواصلة جهوده في مجال الفضاء، حتى توجت بأعظم انجازاتها، وذلك عندما هبطت سفينة الفضاء الامريكية (**ابوللو ١١**) على سطح القمر في الساعة العاشرة والدقيقة السادسة والخمسين بغد ظهر يوم ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ م حسب التوقيت الشرقي، حاملة فيها ثلاثة من رواد الفضاء، اثنان منهم لمسا ارض القمر وسارا عليه واجريا تجاربهما فيه.

اننا نشعر وكأننا بحاجة الى مناقشة هذه القضية .. ولنبدأ بعرض تاريخي سريع لسفن الفضاء، خصوصا تلك التي كان القمر هدفا لها.

خطوات .. على الطريق الى القمر

يرجح البعض ان ميلاد عصر الفضاء كان يوم ١٩٥٧/١٠/٤ م عندما اطلقت روسيا سفينة الفضاء «**سبوتنيك ١**» وكانت حمولتها ٨٣ كيلوجراما، ويقول آخرون ان بدايته كانت يوم ١٩٥٩/٩/١٢[1] عندما اطلقت روسيا «**لونا ٢**» لاكتشاف القمر. وسواء اكانت البداية هذه ام تلك فان الذي يعنينا الآن هو ان «الحلم قد تحقق» وخطا الانسان على سطح القمر.

ويتساءل البعض مستنكرا .. ان الميزانيات الضخمة، والجهود الجبارة التي ترصد لابحاث الفضاء، اولى بها ان توجه لحل مشاكل فعلية يحياها انسان القرن العشرين، كالغذاء، والمرض، وتعمير الصحارى، والتنمية ...الخ.

ولقد كانت هناك بعض المخاوف انتابت، حتى علماء الفضاء انفسهم، وتقول ان ارض القمر تتكون من رمال ناعمة اذا لمسها شئ غاص فيها .. وها هما رائدا مركبة «ابوللو ١١» يطئان ارض القمر فلا يغوصان في رماله ويعودان سالمين.

ان السؤال الذي نراه يراود ذهن الكثيرين هو: لماذا تتركز الابحاث (ابحاث الفضاء) والتجارب على القمر، والقمر بالذات؟ وللاجابة نورد الآتي:

** ان القمر اقرب الكواكب السيارة للارض، بعدا وظروفا، وربما تكوينا ايضا.

** ان للقمر آثارا مباشرة على الارض كالمد والجزر، والجاذبية.

** ان القمر سيكون محطة انطلاق ممتازة في رحلات الانسان المقبلة الى غيره من الكواكب السيارة. ذلك ان الطاقة اللازمة لانطلاق الانسان من سطحه تعتبر أقل عشرين مرة عن تلك التي يتكبدها الانسان في السفر من الارض الى الكواكب الاخرى.

** ان خلو القمر من الهواء سيكون ميزة كبرى لسفن فضاء الغد، لان انعدام الهواء سيجعل الانطلاق من ارضه سهلا، ويوفر الوقود الصاروخي سواء في الانطلاق منه الى كوكب آخر او في العودة منه الى الارض.

** ان القمر، في المستقبل القريب، سيلعب دورا يماثل دور مطاري «**شانون**» و«**جاندر**» في الطيران عبر المحيط الاطلنطي. فقد كان هذان المطاران محطتي وقود حيويتين في المرحلة الاولى من الطيران البعيد المدى .. وسيكون القمر هو «شانون» و«جاندر» العقود التالية من هذا القرن.

والواقع ان القمر سيظل واحدا من اهم اسلحتنا العلمية والصناعية، وحتى العاطفية، ايضا. وان يوما سيأتي، وربما اسرع مما نظن، يسكن في القمر ألوف من البشر لم يسبق لهم ان عرفوا وطنا غيره.



اخيرا..

ماالذي يجعلنا نتطلع لسكنى القمر ؟..

اننا لا نصدر في تطلعنا هذا عن رغبة واعية او استرشاد بحسابات معينة .. ولكنها الغريزة .. فلقد ثبت – كما يقول العالم الجغرافي : «**السوورث هنتنجتون**» – ان الحضارة تسير دائما «نحو البرد والعواصف»، وان الانسان كلما ازدادت قسوة البيئة التي يبغي اكتشافها، كلما ازداد هو براعة وحيلة في مواجهتها وقهرها .. كذلك هي نظرية **توينبي** «**التحدي والاستجابة**». ولا ريب، فالفضاء اليوم يطرح في وجه البشرية هذا النوع من التحدي الذي لن يبقى له، في مستقبل قريب جدا – مكان على ارضنا التي لا تألو تضيق وتتقلص.

جدول سفن الفضاء التي أطلقت إلى القمر بنجاح

تسلسل	اسم السفينة	تاريخ اطلاقها	ملاحظات
١	لونا٢ روسي	١٩٥٩/٩/١٢م	اول سفينة فضاء يصنعها الانسان لاكتشاف القمر
٢	رينجر٧ امريكي	١٩٦٤/٧/٢٨م	اول سفينة تحصل على صور تلفزيونية للقمر.
٣	رينجر٨ امريكي	١٩٦٥/٢/١٧م	مشابهة لرسالة رينجر ٧.
٤	رينجر٩ امريكي	١٩٦٥/٣/٢١م	مشابهة لرينجر ٧ ولكن نشاطها كان في منطقة المرتفعات.
٥	لونا٩ روسي	١٩٦٦/١/٣١م	اول مركبة تهبط بسلام وتحصل على صور بانورامية وقريبة لسطح القمر.
٦	سيرفيور١ امريكي	١٩٦٦/٥/٣٠م	حصلت على صور بانورامية وقريبة للقمر.
٧	لونا١٣ روسي	١٩٦٦/١٢/٢١م	مشابهة للونا ٩، لكنها اختبرت وعورة تربة القمر.
٨	سيرفيور٣ امريكي	١٩٦٧/٤/١٧م	مشابهة لسيرفيور ١، وهي كذلك اول مركبة تحفر خندقا على سطح القمر.
٩	سيرفيور٥ امريكي	١٩٦٧/٩/١٨م	تشبه سيرفيور ١، وهي اول مركبة تحلل تربة منطقة «ماريا» بسطح القمر.
١٠	سيرفيور٦ امريكي	١٩٦٧/١١/٧م	تشبه سيرفيور ٥.
١١	سيرفيور٧ امريكي	١٩٦٨/١/٧م	تشبه سيرفيور ٥، ٣، وهي اول مركبة تهبط على المرتفعات بسلام.
١٢	ابوللو١١ امريكي	١٩٦٩/٧/١٦م	اول هبوط للانسان على سطح القمر (بمنطقة ماريا).
١٣	ابوللو١٢ امريكي	١٩٦٩/١١/١٤م	اول هبوط للانسان في منطقة هبوط سيرفيور ٣.
١٤	لونا١٦ روسي	١٩٧٠/٩/١٢م	اول مركبة ليس بها انسان تعود بعينة من تربة سطح القمر الى الارض.
١٥	لونا١٧ روسي	١٩٧٠/١١/١٠م	اول مركبة ليس بها انسان توجه عربة متجولة (وهي لونا كود ١).
١٦	ابوللو١٤ امريكي	١٩٧١/١/٣١م	اول هبوط للانسان بمنطقة المرتفعات.
١٧	ابوللو١٥ امريكي	١٩٧١/٧/٢٦م	اول هبوط للانسان يستعمل العربة المتجولة.
١٨	لونا ٢٠ روسي	١٩٧٢/٢/٢٤م	تشبه لونا ١٦ لكنها جلبت عينات من المرتفعات بدلا من منطقة ماريا.
١٩	ابوللو١٦ امريكي	١٩٧٢/٤/١٦م	تشبه ابوللو ١٥، لكنها كانت بالمرتفعات.
٢٠	ابوللو١٧ امريكي	١٩٧٢/١٢/٧م	تشبه ابوللو ١٦، ولكنها جلبت عينات من المرتفعات والوادي المتاخم لها



الصحة

هل هناك مايمكن تسميته بعلم الصحة الصناعية؟

لابد قبل التحدث عن موضوع الضجيج من ان نبدأ بتعريف «**الصحة الصناعية**» فموضوع الصحة الصناعية هو ذلك العلم الذي يختص بكيفية اكتشاف وتقييم ومكافحة الملوثات التي يمكن ان تؤثر على صحة العامل وباقي افراد المجتمع، الجسدية والنفسية والاجتماعية. ويمكن تقسيم هذه الملوثات الى ثلاثة انواع: **كيميائية، وفيزيائية وبيولوجية**.

فالملوثات الكيميائية هي تلك التي تشمل كل مادة كيميائية على حالاتها الصلبة أو السائلة أو الغازية وتشمل الملوثات الفيزيائية الضجيج والحرارة القصوى وسوء التهوية والاشعاع على نوعيه ثم اشكال الإضاءة غير السليمة، فحالات الضغط الجوي غير الطبيعي. اما الملوثات البيولوجية في كل ما يتعلق بالتلوث الناتج من جراثيم البكتريا والفيروسات، الخ ..

ولكل من هذه الملوثات مصدرها وتأثيرها على صحة الفرد وطرق مكافحتها. اما حديثنا في هذا المقال **فسوف يقتصر على الضجيج الصناعي من حيث مصدره وتأثيره ومكافحته**.

ما هو الضجيج؟

يمكن تعريف الضجيج بكل بساطة بالصوت غير المرغوب! وهذا طبعا تعريف يتطلب التوضيح الكامل اذ ان ما يعتبر مرغوبا عند البعض يصبح اعتباره مزعجا عند البعض الآخر. والأمثلة على هذا عديدة منها الموسيقى الغربية الصاخبة التي يطرب لها الشباب في حين يعتبرها البعض مصدر ازعاج ليس اكثر. ومثال آخر هو ذلك المذيع الذي تنهار عليه رسائل المعجبين، في الوقت الذي يتلقى زميل له رسائل تطلب منه ترك الوظيفة.



الصناعية

الضجيج الصناعي..
ماهو مصدره .. وماهي طرق مكافحته؟

بقلم: نبيل وطفه

الا ان الصوت هو عبارة عن ذبذبة يمكن احداثها في اجسام صلبة اوسائلة او غازية. اما في الهواء الطلق، فالصوت نوع من الطاقة على شكل ذبذبات غير مرئية تحدث موجات ضغط جوية يمكن التقاطها بواسطة الأذن وذلك على شكل أصوات معينة.

ويتميز الصوت من حيث الناحية الفيزيائية بالضغط او الحدة (INTENSITY)، الذبذبة (FREQUENCY)، وطول مدة البث (DURATION). وكلما علا الصوت زاد ضغطه أما تأثيره على صحة الاذن فيتناسب مع الذبذبة ومدة تعرض الأذن له بصورة طردية. ولمعرفة طرق مكافحة الضجيج معرفة تامة يجب فهم هذه المزايا وتفحصها بدقة.

ويجدر هنا بأن نشير ايضا الى ان ضغط الموجات الصوتية يتناسب ومربع المسافة التي يقطعها الصوت بصورة عكسية وبأنه يمكن «**امتصاص**» الموجات ذات الذبذبة العالية بواسطة الحواجز المصنوعة من سطح مطاطي او تلك المكونة من المواد الليفية. اما المحافظة على صحة الاذن فيمكن الوصول اليها بواسطة الحد من تعرض الاذن لهذه الموجات.

وتستعمل في قياس الصوت وحدة تدعى الديسيبل (DISCIBLE) وهي وحدة لوغارذمية اتفق عليها لقياس كمية الضغط هذا. فيتراوح مقدار الضجيج في وسط مدينة مزدحمة مثلا (حوالي ٥٠-٨٠ ديسيبل) على وجه التقريب ولابد هنا من التنويه بأنه يسمح للتعرض خلال دوام العمل اي خلال ثمان ساعات يوميا ولمدة خمسة ايام في كل من اسابيع العمل والبالغ عددها ٤٨ اسبوعا سنويا، **يسمح للتعرض لـ ٩٠ ديسيبل على الأكثر لان من شأن ما يزيد عن هذا الحد احداث**

الصحة الصناعية



ضرر في الجهاز السمعي.

اما الذبذبة فهي عبارة عن تكرار صوت التغيرات في الضغط الصوتي في فترة ما من الزمن وتقاس بعدد الدورات في الثانية (FREQUENCY – CYCLES PER SECOND) وتعرف الوحدة بالـ «هرتس» (HERTZ.) ويتألف الصوت الناتج عن ضجيج الآلات في المصنع مثلا من ذبذبات عديدة وذلك حسب اختلاف الآلة من حيث الشكل والحجم وطريقة العمل، لتؤلف هذه الذبذبات مجتمعة الضغط الصوتي الإجمالي.

وبإمكان أذن الانسان ان تسمع كل ما هو في منزلة الـ (٢٠–١٥٠٠٠ هرتس)، الا ان قدرة سماع هذه الذبذبات، وخاصة العالية والوسطى منها، تضمحل عند تقدم السن. وللاذن القدرة ايضا على التمييز بين ذبذبة واخرى وبالتالي التعرف بطريقة مختلفة ان كان هذا التعرف فزيولوجيا أم نفسيا. وهذا اذن ما يحتّم علينا معرفة الموجات الصوتية وتقسيمها من حيث الذبذبة، وهذا التقسيم يتم بواسطة جدول اعد خصيصا ويعرف بالـ(OCTAVE BAND) وهو يقسم الذبذبة الى ثمانية اقسام على النحو التالي: (من ٣٧٫٥ الى ٧٥، ٧٥–١٥٠، ١٥٠–٣٠٠، ٣٠٠–٦٠٠، ٦٠٠–١٢٠٠، ١٢٠٠–٢٤٠٠، ٢٤٠٠–٤٨٠٠ ومن ٤٨٠٠ الى ٩٦٠٠ هرتس)، ويشير قياس ضغط الصوت الى معدل ضغط جميع الذبذبات المجتمعة في سلسلة الذبذبات الخاضعة لهذا القياس.

مصدر الضجيج

يتعرض الانسان للضجيج أنى كان: في المنزل، في مكان العمل، وفي الأمكنة العامة. ومصادر هذا الضجيج عديدة. فهناك صوت المذياع والآلات الميكانيكية كآلات حفر البناء، وضجيج السيارات والطيارات وغيرها. يتضح اذن ان هذا الضجيج متعدد المزايا وذلك بالنسبة لتعدد المصادر، الا ان أخطر هذه المصادر في الغالب هي المصانع وذلك بحكم نوع العمل فيها.

ويعود الدافع الرئيس وراء جمع المعلومات عن الضجيج، وقياس حدته الى المحافظة على الحاسة السمعية من ناحية، وتوفير الجو الهادئ تمهيدا لسماع وفهم الكلام والاشارات الصوتية من ناحية اخرى. وتتم عملية قياس الضجيج بواسطة آلة قياس الصوت والمزودة عادة بجهاز يمكنه تجزئة الصوت الى ذبذباته المختلفة. والجهاز هذا معد خصيصا لالتقاط الذبذبات التي تلتقطها بالأصل الأذن، الأمر الذي يميز لنا معرفة ما تتعرض له الأذن معرفة تامة. الا ان دراسة مصدر وكمية الضجيج لا تقتصر على قياس حدته فحسب بل تتعدى ذلك لتشمل تقييم الضجيج ككل، اي معرفة ما اذا كان متقطعا ام متواصلا، ومعرفة كيفية وطول مدة تعرض الأذن له. **ولهذا السبب يجب اخذ ما يتعلق بهذا الموضع من نواح هندسية بعين الاعتبار.**

تأثير الضجيج

يمكننا تقسيم تأثير الضجيج على الانسان الى ما يلي:

أولا: التأثير النفسي وهو ما يتعلق بازعاج المرء فيستحيل عليه النوم مثلا.

ثانيا: اعاقة فهم الحديث او سماع الشارات الصوتية المنبهة والخاصة بردع الأخطار كصفارة الانذار.

ثالثا: التأثير الفيزيولوجي المتعلق بحاسة السمع نفسها.

وتنقسم الأذن الى ثلاثة اقسام: الاذن الخارجية والوسطى والأذن الداخلية. اما الاولى فهي عبارة عن بوق يتلقى الموجات الصوتية التي تتابع سيرها داخل الأذن الوسطى حتى تصطدم والطبلة التي تبث هذه الموجات داخل الاذن الداخلية، فينتج الاحساس بالصوت، والاحساس بالصوت هذا ناتج عن اثارة الخلايا العصبية التي تتكون منها الأذن الداخلية والتي تتصل بالجهاز العصبي الرئيسي وتزداد اثارة هذه الخلايا كلما ازدادت حدة الضجيج الى ان تصل مرحلة الارهاق اي الخلل، حيث يبدأ ظهور عوارض فقدان السمع.

الملوثات بأنواعها..
كيف يمكن أن تؤثر على صحة المجتمع؟

وفقدان السمع هو عبارة عن عدم تمكن الأذن من سماع ما تقوى على سماعه في الحالات الطبيعية ويقسم فقدان السمع الى قسمين، **(المؤقت) و (الدائم)**.

اما الفقدان المؤقت فهو ناتج عن التعرض لمستوى عال من الضجيج لبضع ساعات، لتعود من بعدها حاسة السمع الى حالتها الطبيعية. وتستغرق الرجوع الى الحالة الطبيعية. وتستغرق الرجوع الى الحالة الطبيعية هذه بضع دقائق او ساعات او حتى بضعة ايام او اكثر. في حين ينتج الفقدان الدائم عن اسباب عديدة منها الشيخوخة او المرض او التعرض الى ضجيج حاد، ولمدة طويلة ومتواصلة ويسمى هذا الفقدان بالدائم نظرا لعدم امكانية استرجاع المصاب ما فقده من حاسة السمع.

وعليه، يمكن للمصاب استرجاع حاسة السمع في الحالة الأولى فور توقفه عن التعرض للضجيج. وهناك امور اخرى عديدة يجب ذكرها في مجال الحديث عن تأثير الضجيج، الا وهي نوعية هذا الضجيج وحساسية الفرد او عدمها بالنسبة اليه، الا ان اول ما يفقد سماعه المصاب هو الاصوات ذات الذبذبة العالية، لكن يستمر هذا الفقدان ليشمل باقي ما يتألف منه الصوت من ذبذبات اذا ما دام التعرض اليه، والواضح انه عادة ما يلي الفقدان الدائم فقدان مؤقت يمكن اكتشافه بواسطة قياس حاسة السمع وذلك على شكل روتيني، اما ما يجدر الاشارة اليه هنا هو بأن هنان انواعا من ادوية التي يمكن ان تؤثر على صحة الأذن تأثير الضجيج الصناعي عليها ولذا يجب التفرقة بين الحالتين. كما ان هناك بعض الحالات المرضية التي يمكنها احداث شعور بفقدان السمع ومنها الزكام. ويصح التفرقة بين حالات فقدان السمع العائدة الى طبيعة العمل وغيرها من الحالات الأخرى، وذلك بواسطة فحص حاسة السمع عند العامل فور التحاقه بعمله وعلى فترات متتالية لأن باستطاعة الطبيب او التقني المتمرس اصدار الحكم تبعا لماهية نتائج الفحص هذا. وهذا الامر ضروري وخاصة بالنسبة للقضاء عند النظر في شكاوي التعويض المرضية.

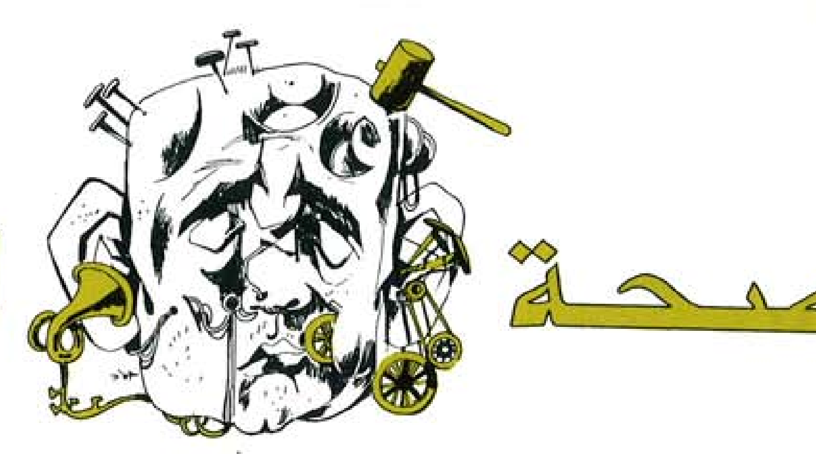
وبتلخيص ما سبق قوله يمكننا سرد النواحي المتعلقة بفقدان السمع الناتج عن الضجيج على النحو التالي:

اولا: اختلاف الحساسية بين الافراد.
ثانيا: حدة الصوت الاجمالية.
ثالثا: نوعية ذبذبة الصوت.
رابعا: استمرارية حدوث الصوت أو عدمها.
خامسا: مدة تعرض الأذن للصوت في اليوم الواحد.
سادسا: مدة ممارسة الفرد لعمله.

ونظرا لتشابك العوامل الكفيلة بإحداث ضرر في حاسة السمع، تعددت المقاييس واختلفت الآراء حول ما يمكن التعرض له من ضجيج، دون إحداث اي ضرر في الأذن. الا ان هناك مقاييس تتفق عليها معظم البلدان الصناعية. وفيما يلي جدول يشير الى احدى هذه المقاييس المتبعة في الغرب:

مدة التعرض المسموح بها (ساعات)	حدة الصوت (ديسيبل)
٨	٩٠
٦	٩٢
٤	٩٥
٣	٩٧
٢	١٠٠
١ ½	١٠٢
١	١٠٥
½	١٠٠
¼	١١٥

ملاحظة: تعتبر الحدة البالغة ١٤٠ ديسيبل حدا اقصى لا يجب

الصحة  الصناعية

التعرض اليه لأي وقت كان.

مكافحة الضجيج

يعتبر موضوع مكافحة التلوث من اكثر الأمور أهمية في سباق التحدث عن مشاكل الصناعة وذلك انسجاما مع المثل القائل: ان درهم وقاية خير من قنطار علاج.

وعند التحدث عن مكافحة الضجيج الصناعي يجب الاخذ بعين الاعتبار ثلاثة امور هي: مصدر الضجيج، خط سير الموجات الصوتية، والاذن.

يمكن مكافحة المصدر بالطرق الهندسية كاعادة تصميم الآلة بشكل يخفف من حدة الصوت وهذا المبدأ متبع مثلا في تصميم محركات الطيارات النفاثة ومكافحة خط سير الموجات الصوتية فتتم بواسطة بناء حاجز حول الآلة مصدر هذا الصوت، أو بزيادة المسافة الفاصلة بين الآلة المصدر ومكان العمل، او ببناء فاصل ما بين الآلة والعامل. اما الطرق الكفيلة بالعناية بالاذن فهي تلك التي تقضي بعزل العامل عزلا تاما عن اماكن مصدر الضجيج او استعمال وسائل اخرى مثل وقاء الأذن.

وسائل وقاية

يتضح اذن بانه يجب النظر في جميع ما ورد من اساليب وقاية في آن واحد لاختيار الانسب منها واكثرها فعالية. **ويمكننا من ناحية عملية اتباع الوسائل التالية:**

اولا: **عزل العامل** – وهي كناية عن تخصيص غرفة او مكان خاص للعمل بعيدا عن مصادر الضجيج كالمحركات التي لا توجب مراقبة العامل لها بشكل متواصل، وعادة ما تستعمل هذه الوسيلة في اماكن العمل الصغيرة الحجم حيث وجود القليل من العمال.

ثانيا: **عزل الآلة** – وهي طريقة تقضي بفصل قاعدة الآلة عن مكان ثبوتها بواسطة المواد المطاطة او الزنبركات التي من شأنها امتصاص الاهتزاز الناتج عن تشغيل هذه الآلة وخنقه.

ثالثا: **امتصاص الموجات الصوتية** – وتقضي هذه الطريقة باستعمال الحواجز كالجدران ذات السطح الخشن والمصنوع من الألياف وغيرها من المواد العازلة للصوت.

رابعا: **استبدال الآليات** – وهي وسيلة تقوم على مبدأ استعمال آلة أقل ضجيجا من أخرى بقدر الإمكان.

خامسا: **الحد من مدة التعرض للضجيج** – وذلك لما لهذه الطريقة من فضل على تخفيف كمية الصوت الإجمالية التي تتعرض لها الاذن.

سادسا: **استعمال وقاء الأذن** – وهذه الطريقة كفيلة بردع حوالي ٤٠ ديسيبل من اصل حدة الصوت وذلك اذا ما استعملت على نحو سليم. اما استعمالها او عدمه فهو وقف على قبول العمال لها او استعدادية الإدارة لتزويدهم بها.

واخيرا يمكننا تلخيص برنامج وقاية صحة السمع في الصناعة بما يلي:

اولا: دراسة وتقييم الضجيج من حيث تعرض العمال له.

ثانيا: مكافحة مصادر الضجيج بالطرق الهندسية.

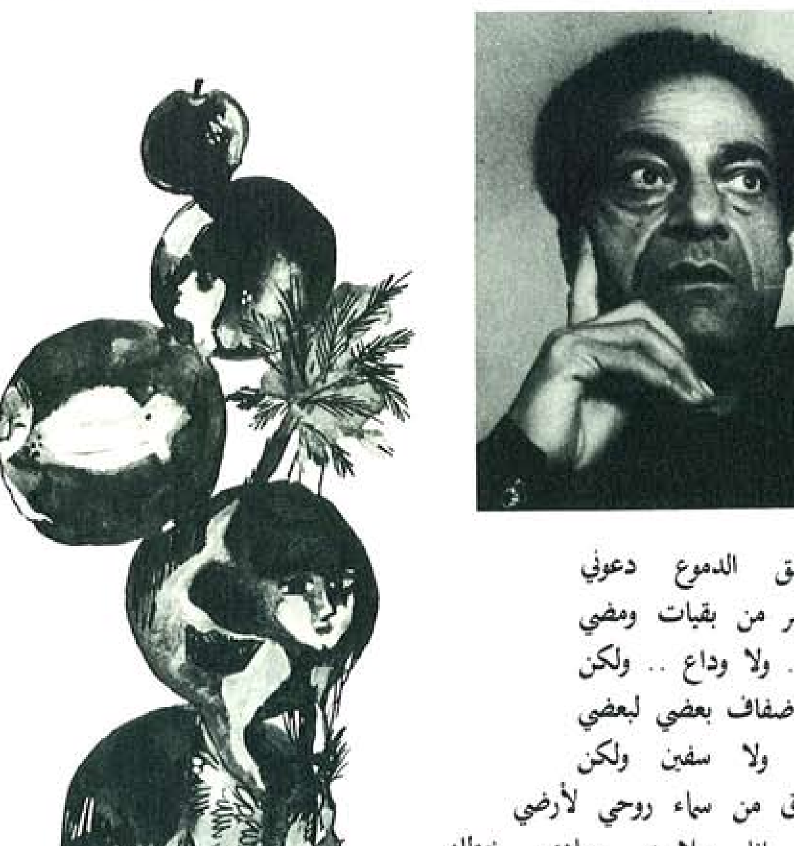
ثالثا: اخضاع جميع العمال والموظفين المعنيين الى فحص حاسة السمع وملاحقتهم بصورة مستمرة.

رابعا: استعمال وقاء الأذن حيث يستحيل اتباع طرق المكافحة الهندسية.

شاعر النيل والنخيل

محمود حسن اسماعيل

بقلم: فتحي سعيد





مثلما تشهق الدموع دعوني
أذرف السر من بقيات ومضي
لا فراق .. ولا وداع .. ولكن
رحلة من ضفاف بعضي لبعضي
لا شراع ولا سفين ولكن
زورق من سماء روحي لأرضي
انا ملاحه وحادي خطاه
وانا موجه وعاتي دجاه
فاتركوني كما تغنت رؤاه
أتغنى بسره ثم أمضي

وشهقت الدموع واقلع الزورق وغاب الملاح بعد أن تغنى بالسر ثم مضى.

بهذه الأبيات عبر شاعرنا **محمود حسن اسماعيل** عن رحلته في الحياة والشعر وكم عبر عن هذه الرحلة في كل منعطف ودرب من دروب شعره العديدة.

منذ بدأ شاعرا وحشي الملامح غريبها «**على حد قول الدكتور مندور**» خارجا على الناس بديوانه «**اغاني الكوخ**» نفحة جديدة باكرة في حدائق الشعر العربي .. وموضوعا غريبا وخاصا على موضوعاته. **احرز به السبق في فن الاختيار وتأكيد ملامحه كشاعر مستقل متفرد منذ الوهلة الاولى.** منتهيا بعد ذلك الى تعميق هذا التيار الشعري الهادر في جوفه، وتأصيل هذا الانتماء لديه **وهو المزج بين الواقعية والرومانسية التي هي سمة الفنان الكبير دائما.**

تطالعك هذه الملامح وهذا الانتماء بوضوح تام عبر دواوينه

المتعاقبة بعد ذلك: **«هكذا أغني» و«اين المفر» و«قاب قوسين» و«لابد» و«صلاة ورفض» و«نهر الحقيقة» و«هدير البرزخ».**

ولعله هو نفسه اكتشف ذلك منذ البداية وعرف كيف يشد الاوتار ويرخيها ولمن يغني ويشدو، ووعي المعنى القائل: «**ان الشاعر سيد قوله**» وانه لا يكون كذلك الا اذا عبر عن ذات ملكته ووجدانه في صدق وتجديد ورحابة. فانفرد بموسيقى قوافيه وروضها لنفسه واجتذب بأنامله الافكار وفلذات التعبير خارجا بذلك عن دائرة المتوارث والمألوف والنسج على المنوال ومحاولات الابداع في دائرة التكرار.. فكان عليه ان يمارس فنه الجديد بحذر شديد، وان يرمي بثقله كله في أتون الشعر الملتهب **وان ينسلخ عن القوالب الشعرية السائدة حوله ويكتشف لنفسه قالبا جديدا يستعصي على التبدل والمحاكاة.**

ومن ثم غالى بقيمته وبشعره.. وهو لا يفتأ ان يردد ذلك بين الحين والحين

شعري من الاحشاء يجري دما
وشعر غيري من حواشي اللسان

* * *

الرهان على الجواد الحرون

كيف اذن حقق شاعرنا لنفسه هذا التميز والانفراد في فترة كانت تموج بحركات التجديد والابداع، لا في ميدان الشعر وحده بل في سائر الفنون كالنقد والنحت والرسم والموسيقى والمسرح.

ولقد حدد شاعرنا لنفسه رأيا في الشعر يسوقه في بواكير حياته الشعرية في عدد مايو ١٩٣٤ من (**مجلة ابوللو**) حين يتعرض لنقد ديوان الشاعر **صالح جودت** فيقول:

«ورأيي ان الشاعر يجب ان يحلق في مستوى عبقريته فلا يتدانى للجمهور بل الجمهور هو الذي عليه ان يتسامى اليه، لأن البيئة التي تعيش فيها غير مثقفة لا تلهم من الشعور الا الغث المائع فيجب ان تروضها على الاساليب الممتازة مها ادى ذلك الى سخطها، وان كثيرا من شعراء الغرب والشرق ممن ادوا رسالتهم في الشعر بين ثار السخط والتحامل لعدم اطرادها مع ذوق الجماهير وأسلوب تفكيره حتى اذا فارقوا الحياة رأينا شعرهم موائد مفعمة بالمعجزات الفنية يصطرع حولها النقاد وشداة الادب والمفكرون. والشاعر كالمصور ان لم يطبع اخيلته الفذة على صحيفته وينقشها بريشته حتى تبدو آية فنية تخلب العقول فلا قيمة كبيرة لشعره».

هكذا يتصور الشاعر ماهية الشعر فهو مصور أولاً يتصور للشعر بداية هي الاسلوب ونهاية هي المعاني، وفساد احدهما يخرجه عن ماهية الشعر الحي الى النظم الجاف، وان يسلك الشاعر في الوصول لهدفه «**سبيلا مستقيما لا تعقيد فيه ولا التواء ولا تعاظل في اللفظ ولا تناثر في الوحدات الموسيقية واظهار المعاني في ثوب يناسبها يقوم على الابداع في الصياغة وهجر العامي والقديم والكثير الاستعمال.**»

على هذا الدرب سار الشاعر ملتزما بهذا المفهوم الشعري الذي يغني انه اطال النظر وأد من التفكير وصال وجال في رحاب الشعر واهتدى الى وجه الشاعر الذي يطلع به على الناس في عصر كثرت فيه وجوه الشعراء واختلفت ملامحهم ولمعت اسماؤهم واختلطت الملامح والاسماء والالقاب. كان هناك **شوقي** امير الشعراء **وحافظ** شاعر النيل **ومطران** شاعر القطرين **وايليا ابو ماضي وجبران** شاعر المهجر.
وكانت هناك مدرسة «**ابوللو**» دعوة جديدة وملتقى للاصوات الرومانسية الجديدة ثم مدرسة **الديوان** بدعواتها المتحررة الرافضة..
هكذا الفيض الزاخر الذي لم ينسكب في

اوصال القصيدة فقط بل غمر في طريقة بقية الفنون .. فكان ازدهارا شاملا لكل ألوان التعبير في هذه الفترة الخصبة من الثلاثينات وما بعدها، ويأتي شاعرنا على استحياء بطرق ابواب هذه المدارس جميعا، وينهل من ينبوع هذا الفيض حتى يرتوي، ويتطلع الى كواكب عصره في حذر ومكر ليعرف طوالع برجه الشعري .. ويوقن من انه برج بعيد ووحيد فلا يدور في فلك ابراج غيره وانما يعمل لحساب نفسه.

وفتح الشاعر صدره لكل تيارات الهواء حوله، وحبس في ضلوعه زفرته الخاصة ليعلن مذهبه في الشعر والشعراء:

للشاعرين بلاغة فضفاضة
حشدت بلفظ في العقول مجلجل
وانا الذي شعري نفاثة مهجة
سكبت جداولها بهمس السنبل

لقد راهن شاعرنا على **الجواد الجموح** في الشعر وآثر ان يكون مستقلا في عالم القصيدة .. فلم يخرج من عباءة احد فلا هو **المتنبي** او **البحتري** رغم ولعه بهما ولا هو من اتباع **شوقي وحافظ** .. ولا هو من رواد **المهجر وابوللو** .. رغم تشابه روحه بروح **الياس ابو شبكة** فكلاهما نسر مغامر جواب افاق ولا هو من دوحة الشعر الغنائي الخالص كأشعار **علي محمود طه** المرحة الراقصة ولا اشعار **ناجي** المرهفة الجريحة ولا انفاس **ابو الوفا** المحترقة .. تميز عنهم بالذات بجناح العقاب لا جناح البلبل او العصفور او العندليب.

ساعده على ذلك انه اعتصم بالشعر ولا شيء غيره، مزودا بقاموس خاص، وحدقات شاعر لا تكف عن التحديق والغوص في الصميم، قادرا على احتضان المسافات واختصارها وتجميع الصور والاغداق عليها من جموح التراكيب وترف الخيال والتقاط الغرائب واللوامع من الوان التعبير، ما اكد استقلاله وتفرده، فلم يندرج تحت مذهب بعينه ولم يركب موجة تجديد او تقليد، وانما قال منذ البداية «**انا اضع نفسي في مذهب اللامذهب وفي الكون الاوسع لا الكون المحدود**». وكما اعلن ذلك نثرا يعلنه شعرا في كل سانحة تسنح له عبر اشعاره الكثيرة فيقول:

وتر وضاربة تطل وتختفي لا بلمحان
الظل ذئب والهجير شفاعة يتساويان
امواج موسيقى مجهزة الرنين
بغير ناي او بنان
وبلا مثالث او مثان
ريح تهب .. ولا يقيدها زمان او مكان
متلازمان
في كل آونة وآن ..

لذلك لم يتغلق الشاعر على ألوان معينة من ألوان القول، وانما اغترف بدلوه من كل الآثار ومس بروحه المحلقة قلب الاشياء، وفوضها في الكشف والتنقيب غير مؤثر جديدا او قديما، ولا منحازا الى فن بعينه من فنون التعبير، **فليس هو شاعر الرقة العاطفية .. او شاعر المرأة .. شأن الشعراء الذين التصقت بهم هذه الالقاب لكثرة ما تخصصوا في القول فيها، انه شاعر هذه الاشياء جميعا** .. شاعر الحياة بمعنى واضح يؤمن بقضية ويلتزم بميثاق شرف، وهو التعبير الصادق عن كل ما حوله لا الانغماس في شيء واحد يشتهر به .. كيف لا ينطبع بما يدور حوله في المدى الرحب البعيد لا في المدى الضيق الذي يجبر الشاعر على التخصص في غرض من الأغراض فيرصد شاعريته لهذا الغرض، فتستغلق دونه ابواب الالهام.

الحلم الصافي في الصخرة الصلبة

يكاد يكون السؤال عن ماهية الشعر هو نفسه السؤال عن **ما هو الشاعر**؟ وقد أجاب «**كولردج**» في سيرته الادبية عن هذا السؤال بقوله يصف الشاعر:

«**هو الذي يطلق روح الانسان جميعها الى النشاط الحي، وهو الذي يشيع نغما وروحا، ويمزج ويصهر الكلمات احداها بالاخرى بتلك القوة السحرية المؤلفة التي لا أسميها مادة الخيال وحده، وانما هذه القوة تكشف عن نفسها في توازن الصفات المتنافرة واشاعة الانسجام بينها**».

هذا التنسيق الفائق للعادة، وتلك القوة السحرية المؤلفة تكاد تكون السمة الغالبة عند شاعرنا، صعودا من «**اغاني الكوخ**» حتى «**نهر الحقيقة**» وفي نفس الوقت هي التي تضفي وهم التجديد، وتوحي بتحرر القالب الشعري وانفتاحه على الشكل الحر رغم اعتصام شاعرنا بالقصيدة الكلاسيكية، وامتلاكه لناصيتها بلا جدال..

في دواوين الشاعر يلتزم الكلاسيكي برمته، وبالطبع لم يدر بعيدا عن فلكه ولكنه دائب التحليق والتجريب، ومحاولة الخروج من هذا القفص، والامتداد في الهواء الطلق، والولع بالولوج بالقصيدة في عوالم اخرى لم تتح لشاعر قبله، **شأنه شأن كل شعراء الوجدان المحترق** ان جاز القول، المولعين بالتحليق

شاعر النيل والنخيل

والارتقاء، العاشقين للطبيعة والحرية الواقفين ضد النظم او الشعر الخاوي من الوهج، الذي هو الفيصل الحق بين الشعراء النظامين المزودين بالقدرة على النظم الرتيب، وبين الشعراء المبدعين المزودين بوهج السمو والابداع والوجد المضيء.

حتى لقد غالى هؤلاء الشعراء المبدعون في مفهوم طبيعة الشعر والشاعر، فاعتبروا غاية في حد ذاته «اي ان تقول الشعر فحسب ما دمت تحترق بجذوته، **فالشاعر عليه ان يطرق** اصعب الصور وأصلب الكلمات لينحت منها تمثال القصيدة الجميل .. حتى ليكتب «**توفيل جوتييه**» قصيدته الشهيرة «**الفن**» ليدعم هذا المفهوم ويعلن شعاره فيقول:

«**انحت وابرد وشكل حتى يستقر حلمك الطافي في الصخرة الصلبة**» باعتبار ان الشعر تصوير ناطق، والتصوير شعر صامت، وان الشاعر مثل النحات الذي يفجر الحياة في الحجر الاصم، وعليه ان يشق قلب الصخر ليسكب فيه خفقات قلبه التي هي الموسيقى او الايحاء بما عاناه الشاعر من مضض الوحي والانفعال.

انها تلك النفحة السرية التي تسري في شرايين الشاعر فتلهبه وتفجره، وفي نفس الوقت تنأى به بعيدا عن دوران الساقية الدوارة الرتيبة، وتعطيه رتبة التفرد والاغتراب. حتى ليبدو الشاعر حين يطل على الناس مستوحشا غريبا. فيثير موجات السخط او الاعجاب والرفض او القبول، وهو غير عابئ الا بقول الشعر لأنه وحده مفوض بذلك مدرك لموهبته محترق بمكابدته.

لاموا علي الشدو قلت رويدكم
من ذا يلوم العبقري الملهما
غيري يقول الشعر فضل بلاغة
وانا افجر في منابعه الدما

من هنا التقط شاعرنا **محمود حسن اسماعيل** الخيط ووضع يده على المفتاح وتحسس مواطن وحشته واغترابه واتقن اختيار واقتحام المستوحش والمستنفر من الموضوعات. فهو شاعر جسور طموح مكابد لا يقنع بالوتيرة الواحدة في الغناء، وانما يتحرق شوقا للعزف على سائر الاوتار، والكشف عن الغائب في الاعماق، فينتقي ديباجة خاصة لا يشاركه فيها احد ويختار لأدائه اسلوبا مميزا يحمل بصمته هو لا غيره، فانهال على الشكل والمضمون معا بمعاوله يهدم ليبني، ويفتن في اقامة المعمار الفني لشعره، ليؤكد ملكيته لهذا العقار الجديد في مدن الشعراء ويثبت ويدعم هذا اللون من الاداء النفسي والشعري الجديد منذ ارسى دعامته الاولى وقدم اوراق اعتماده في «**اغاني الكوخ**».

* * *

الكوخ بين البحيرة والقرية المهجورة

كان هذا الديوان بمثابة شهادة ميلاد الشاعر، وثيقة دخوله ابواب الشعر التي انفتحت له. وكما كانت قصيدة «**لامرتين**» الشهيرة «**البحيرة**» فتحا غريبا في عالم الشعر كان اغاني الكوخ كذلك..

ففي **البحيرة** .. التي يظن القارئ للوهلة الاولى انها وصف شامل لبحيرة ما .. هي بحيرة «**بورجيه**» بجبال السافوي بفرنسا، حيث التقى «**لامرتين**» بحبيبته وحال موتها دون لقاء ثان في العام التالي. كانا قد تواعدا عليه فتحولت البحيرة الى نسيج للوحة ليس اكثر، واستغل الاسم فقط ليستدرج ذكريات اللقاء وفجيعته في الحبيبة وخواطره عن الموت والحياة، وبكائه المفجوع لفقد من احب.

استغل شاعرنا المصري بدوره «الكوخ» ليكون حدقته الخفية التي يتوارى وراءها ويرصد الاشياء، فمن هذا الكوخ الريفي راقب الشاعر الحياة، وشب مع الطير حول النخيل وعزف للحب فوق الحقول، وغنى لكل ما حول الكوخ من صور وكائنات حية وطيور وحيوانات وآدميين في نغمة مصرية صميمة وجديدة. تنم عن عشق للقرية وساكنيها حتى ليقارن «دكتور مهدي علام» بين «**جودل سميث**» .. صاحب قصيدة «**القرية المهجورة**» وبين شاعرنا ويصفه بأنه شاعر «القرية المغمورة» تلك القرية الغافية في احضان النيل والنخيل باقصى الصعيد «النخيلة» حيث يصف الكوخ ،وساكنيه وصفا يثير الحسد في قلوب القصور وساكنيها.

لقد وضع الشاعر يده على القضية وأشار بسبابته الى الوتر الذي سيعزف عليه .. هذا هو عالمه الخاص وتلك هي ربابته التي يشدو بها .. قرية نائية غافية بين غابات من النخيل على شط النيل بعيدا عن لهاث العاصمة وبريقها وتناحر الاحياء

فيها. فلم لا يكون شاعرها ؟

وهذه هي عرائسه التي يشدو لها .. وقصيدته التي لا يشاركه احد فيها فلم لا يكون شاديها ؟ زهرات القطن وسنابل القمح والسواقي والنحلة والنخلة والديك والغراب والبومة والثور والشادوف والرعاة وحاملات الجرار وذلك العاكف على التربة السمراء مشقق القدمين واليدين يشق قلب الارض بفأسه ولا يشق قلب ظالمه.

عفرت ريح الأسى كسرته
وطوت نعمائه دنيا الصراع
رقص القصر على اكتافه
وهو جاث بين ذل واقتناع

وهو نفسه صاحب الجنة الوارفة ولكنه عاثر الحظ منكوب.

تزهو به جنة لقاء ناضرة
مخضلة الايك تذكي نافح الطيب
لكنه في مجال الرزق مرتفق
بعاثر من سواء الحظ منكوب
كأنه حكمة عمياء نائمة
في عاطل من فجاج الفكر مكروب

وتتوالى صور «اغاني الكوخ» جديدة على الاسماع رشيقة الاصداء والايقاع فهذه هي الساقية.

خرساء لكن صوتها صارخ
يذيب قلب الصخرة من وجده
تغني دموع الناس من فيضها
ودمعها باق على عهده

وتلك حاملة الجرة .. حافية القدمين تسعى الى النيل رشيقة حالمة لتملأ جرتها:

سارت الى جدولها الدافق
سير الكرى في مقلة العاشق
دانية الخطو كأن الثرى
يحمل منها خطرة السارق
تمتح بالجرة من منهل
صاف كريق الكوثر الدافق

كان «اغاني الكوخ» اذن دفقة مبكرة متجددة لفتت انظار الثلاثينات وحظي بالتكريم والجفاوة وتضارب الاقوال، وكان كما قلت شهادة ميلاد لشاعر اصيل عبر عنه وعنها بقوله:

«**وليد شباب كامل حضنته الطبيعة في ريف مصر منذ الطفولة اللاهية**».

ويغادر شاعرنا قريته النائية الى العاصمة الضاربة .. مرحلة جديدة يفتقد فيها هدأة الكوخ، وهجعة القرية الاثيرة .. ولكنه لا يكف عن الشدو ويرى في الشعر «كوخا» داخل اعماقه ليستعين به على اتون العاصمة الملتهب ويواجه الصراعات والوحدة والاسى الدفين فيهتف صارخا «**أين المفر**» ؟ لا مفر سوى الشعر، مزيد من الشعر يستعين به على مواصلة الرحلة الشاقة، ويقف وسط هذا التيه غريبا ضائعا يهتز ويتوه في زحام المدينة يكاد يفقد جلد الفلاح وصلابة الفأس.

وتنمو البذرة الصغيرة لتورق عبر سنابل الشاعر قمحا ورياحين فينتصر على هدير المدينة بصفاء السكينة، ويتعزى عن فرقة القرية بدفقة النور .. وتحفر هذه الكلمات الجديدة عن النور والستر والسر والصفاء لها مجرى في شعره .. فيهتف في «**قاب قوسين**»:

قد وصلنا لم نكن فاقتربي
من ضفاف النور في قاع الصدور
قاب قوسين .. بلى انا على
قاب قوس من ضحى المرسى الاخير

لقد اطمئن الشاعر اذن الى هويته الشعرية منذ ان اعلنها من كوخه الاثير ثم في «**هكذا أغني**» و«**اين المفر**» وعرف طريقه جيدا وان له ان يتطلع الى آفاق اخرى ويغني ويحرك اوتارا جديدة في قيثارته دون عمد الى الجلجلة والاستعراض، وانما يؤثر الهمس على الجهر، ويجهش بالشعر في صمت.

النهر الثاني وخيول الوهم والحقيقة

في «**نهر الحقيقة**» يغني الشاعر لاكثر من محبوب. الوطن والنهر والوهج والحب والحياة والارض والشمس والامل والنفس والطريق والبقاء والصلاة والابتسام والطبيعة والله والنور الاعظم .. حيث لا يخرج الشاعر من هذا الاطار فالوطن هواء الخالد بما يملك من طاقات اقتدار، وبما يضم من وجوه طيبة.

أهواك ياوطني...
ياكل ما تروي شفة الهوى فتني
ياكل وجه طيب بصلاة نظرته يصافحني
يانخلة بسريرتي الخضراء تحت الظل تزرعني

شاعر النيل والنخيل

ياقبلة .. للشرق تلهم كل قيثار وتلهمني
أهواك ياوطني.

وتتصاعد روائح هذه النفحة الزكية العاطرة طوال اغلب قصائد الديوان، دون ان نفقد نغمته الدفينة الاولى وهو الشدو للانسان وقدرته على الوقوف ضد ما يعوق خطاه او يرمي بالصخور اما قدميه.

طريقي طويل
ودربي لا يعرف المستحيل
وخطوى مع الربح يجعل معنى الوقوف
وشل الرؤى في ظلام الكهوف
طريقي امل
وخطوي امل
وكل دروبي ومهما تناءت امل

هذه التنويعات الجديدة على معزوفة الحقيقة والاستجلاء وهي السمة الجديدة في مراحل نمو شاعرنا الناضجة لا يصاحبها فقط التوفيق في ابتداع صور فريدة وتفجير روافد جديدة .. وانما يصاحبها كذلك .. القدرة على التلاعب بالاوزان والموسيقى وفنون التراكيب مما يكفل له تفريغ شحنته الشعرية الهادرة شكلا ومضمونا بالقدر الذي يجعلها تنصب من وجدان قائلها الى قلب قارئها انصبابا .. فاستغل تيار الموسيقى الحي في اوصال القصيدة، حتى الالفاظ المجردة موسقها ورقصها وفطن الى ما طرأ على طبيعته الشعرية النامية .. فاستغنى عن وحدة البيت بوحدة التفعيلات وفن توزيعها فاستطاع بالقافية الداخلية ان يشيع جوا من مرح الانغام داخل اعطاف البيت الواحد. اغناه في كثير من النماذج عن الالتزام بالقافية الخارجية والخضوع لرتابة العمود، واتاح له قدرا من الانطلاق والانسكاب تمليه عليه تجربته وبصيرته الشعرية، وأوقع القارئ في شرك ان صاحبها هجر القصيدة العمودية واندرج تحت قائمة الشعر الجديد، وهو شرك صحيح الى حدا ما باعتباره تجديدا في الصياغة وحشدا لتفعيلات البحر الواحد مرة وتهشيمها مرة اخرى واشعال النار في الكلمات وتنسيق ذلك كله تنسيقا حاذقا نثره على زوايا القصيدة في خطوات صغيرة الايقاع ما بين الطول والقصر والكثافة والنحول والهمس والجهر .. والرقة والعنف وكل ما يعينه في النهاية على نحت قصيدته من مختلف الزوايا والانفلات بها من قبضة الزمان والمكان .. لا كما يفعل النحات يلتقط تمثاله من زاوية واحدة غير منفصل عن الزمان والمكان.

ولقد اعان الشاعر على ذلك .. مراس عتيق بمفاتيح النغم وقدرة الانامل على تحريكها ودربة اصيلة على امتطاء جواد الشعر الحرون بغية ارتياد اجواء اكثر رحابة واصطياد اضافات جديدة تثري التجربة وتطور الصياغة فكان اشبه بصياد ماهر وصائغ بارع استخدم الشكل كشبكة يتصيد من خلالها تجربته وصوره بأسرها، ويضفي عليها من سجيته وولائه لعالمه الخاص مما يؤكد بها استقلاله الشعري وصعوده في مدارج القول حتى لتكاد تلفحك انفاسه الساخنة عبر القصيدة حاملة صوته ونبضه فتكاد تعانق الوجه والصوت والخطوات من وراء الابيات.

لقد كان «نهر الحقيقة» .. نغمة اسيانة مترعة بالشجو الصوفي النبيل.

* * *

ويواصل الشاعر **محمود حسن اسماعيل** رحلته الشعرية السامقة منذ وثيقته الاولى .. «**اغاني الكوخ**» حتى ديوانه «**نهر الحقيقة**» محلقا بجناحي نسر يطاول القمم ويسابق الذري عريق المنبع ثري العطاء يستمد عراقته وثراءه من تجوال وترحال طويلين في دروب اللغة والتراث ومواكبة الحياة والاحياء فينطلق كالقديفة مدويا قويا حين يضرم لهبا وينهمر كالسيل الجارف حين يطارد هاتفا يسامر غرائب افكاره وبنات خياله وحين يقتحم الوحشي من الايماءات ويخف الى اشباحه ليحاورها في صورة حوريات مرة او نفر من الجن مرة اخرى يسارقها السمع والنجوى ويستل منها الموسيقى.

من هؤلاء ؟؟
اراهم واكاد رغم الستر اعرفهم
زامو بزمزمة .. مزملة
بعواء اصوات تزامنهم
وشطرت ذاتي: واحدا معهم
والواحد الثاني يراقبهم
هيا ومرت بنصف مغترب
وخيال ضيف عابر معهم

سرنا سواء اينما ذهبوا
لاحقتهم وظللت صاحبهم
تتلفت الحدقات من حدقي
والهمس من شفتي على فهم

* * *

النهر الراحل والاغنية الاخيرة

وتقلع السفن وفيها الشاعر هذه المرة .. ويتوقف الناي المحترق .. ويؤوب عاشق النيل والنخيل الى كوخه الاثير .. ويصمت الوتر ومازال في قلب صاحبه الكثير.

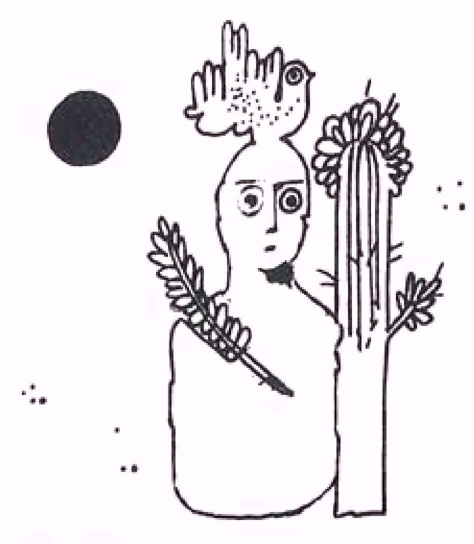
ان شاعرنا متعلق بالحياة بقدر فزعه من الموت فهو يكره كل ما يسلبه القدرة على ان يظل يغني، ولعل تلك السطور الغريبة تكشف عن اصرار الشاعر على الحياة وتنم عن غروره الفني وكأنه بموهبة الشاعر الفذة فيه يملك صك البقاء ويستثني وحده دون الاحياء من الفناء، تلك السطور التي انقلها عن لسانه في رسالة خاصة بعث بها الى ابنته الاثيرة الى قلبه «**سلوان**» حين سمعت نبأ كاذبا عن موته منذ خمس سنوات فكتب لها يقول:

«لا اتصور ابدا رغم ايماني الحاسم بقدرة الله وحكمته في تبديل الاشباح ان يكافئ مثلي بالطرد من الوجود .. لاني احد خدامه العباقرة القلائل في تاريخ البشرية المعذبين بدون سكون من تعثر اندلاع الهاماتهم في رش النور والحب والفهم لحقيقة الحياة.

لابد ان هزة ارضية او جبلا شامخا يتهاوى او شمسا ترمد جنونها في الظهيرة ان وقع لا قدر الله ما خدعت به..»

هذه السطور على غرابتها وجسارة الزهو بعبقرية صاحبها لم تشفع له حين انشبت المنية اظفارها، وصرعت الشاعر العملاق .. ولعل شفافية الشاعر قد جعلته يتوقع بغتة الزائر الغريب فتجئ آخر قصائده التي وجدت في اوراقه المبعثرة ولم تتم سطورا هي «**اغنية للموت**» وكأنه ظل على دأبه في الغناء لكل شيء حوله .. ولم يبق الا آخر الاشياء التي لم يمارسها بعد، وآن له ان يواجهها بغنوة اخيرة فيها من الكبرياء والتساؤل اكثر مما فيها من الجزع والخوف انقل ما التقطته منها:

لا ارفض الموت لكني أسائله
هل ذقت ما انت بالارواح فاعله؟
شيء هو الموت ياجبار تكتمه
خطاك انت وراء العين حامله
وتسحر الناس تأوي في مخادعهم
وفي خطاهم بكهف لا تزايله
تمشي بلا شبح تسقي بلا قدح
وكل باب ومبنى انت داخله
اعمى عصاك بلا درب ولا بصر
ولا صدى يرشد الاذان قائله
ولا يقودك الا الغيب تعلمه
وكل حي بوجه الارض جاهله
تزور لا ادب التزوار تعرفه
ولا لديك الى اذن وسائله
ولا تبالي اذا داهمت منهيا
يدعوك او فارسا تأبى تصاوله
سكنت في شرك الانفاس ترصدها
كصائد لم تخب يوما حبائله
تشد من شئت اني شئت لا شبك
يلقي ولا كف صياد تحايله
تميل بالذرة البلهاء تلقفها
من الخلية في نبض تفاوله
وتسكر الروح حتى لا تحس بما
يطوي رحيق بما يسقي تبادله
وتلمس الجسد العاتي فلا جسد
ولا حياة ولا شيء تقابله
سبحان حاديك لا يدري له نغم
ولا لأي مدى تسري قوافله



تاريخ القهوة



العَربيَة

بقلم : اليزابيث مونرو

من العسير التصديق بأن القهوة، التي أصبحت في هذه الايام احد المشروبات المنعشة في جميع البيوت والخيام في العالم تقريبا، قد وجدت على شكلها الحالي منذ ما لا يقل عن خمسمائة عام. **أما في الازمنة الغابرة، فكانت تستعمل كدواء.** ولقد عرفها **ابن سينا** لكنه كان يسميها «**البن**» وهي الكلمة التي كان يستعملها **سكان جنوب غربي اثيوبيا** التي خرجت منها. وكانوا يستعملون منقوع أوراق البن – كما يحدث في الشاي – او يمزجون مسحوق أوراقه بالزبد، كي يمضغ، أو يصنعون منه الكعك المضغوط الذي يتغذى عليه المسافرون. ويقال ان افراد الجيوش والقوافل كانوا يتغذون عليها، اذ هي تشفي من البلادة وتنشط الطاقة.

ولقد وصل البن، عبر البحر الاحمر، الى عدن واليمن في تاريخ غير محدد، وان كان المرجح ان يكون ذلك مع غزو الجزيرة العربية أيام الجاهلية، عندما أرسل «قلب» اثيوبيا جيشه المسيحي لمقاتلة حمير. وهناك تنقع براعم البن وبذوره، ثم تغلى وتشرب. وكان الشراب الاسود المر يسمى «**قهوة**». الا ان أصل هذه الكلمة غامض. **فالبعض يقولون انها مشتقة من كلمة «قافا» وهي منطقة زراعية في أثيوبيا**، وآخرون وقد يكونون اكثر دقة – يقولون بأنها تتصل بكلمة «**كيف**» العربية أي الشيء المنشط .. أو المثير.

على ان أول اشارة لاستعمال كلمة «قهوة» وردت في مخطوط موجود بالمكتبة القومية بباريس يرجع تاريخه الى سنة ١٤٥٠م والذي يقرر أنها كانت موجودة باليمن.

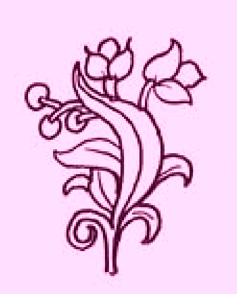
وكان من الطبيعي ان هذا الشراب، الذي ضاع تاريخ وصوله الى الجزيرة العربية في ظلام الماضي، كان مثار عدد من

القصص حول اكتشافه ونوعياته .. ولقد كان أشهر هذه القصص واكثرها اثارة تلك التي تقول:

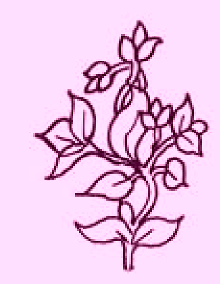
«يحكى ان احد رعاة الماعز في عدن، وأسمه «خالدي» لاحظ ان الماعز، كلما أكلت براعم وثمار احدى الشجيرات التي تنمو بريا فازدادت نشاطا ويقظة بعد تناولها. فأخبر الولد مولاه الذي قرر بانها اذا كان لها هذا الاثر على الحيوانات فسيكون اثرها اكبر على الانسان. ومن ثم فهي قد تساعد على يقظة الدراويش لديه فيقضون الليل ساهرين.

فجربها على نفسه، وشربها باردة أول الامر فلم تحدث عليه أثرا ثم جربها ساخنة فلاحظ ان مشروبها جعله يتصبب عرقا وأحس بالصفاء الذهني. فدعا الناس لتناول هذا الشراب، وما أن حل عام ١٥٠٠م حتى كانت قد وصلت مكة المكرمة حيث كان الرجال يشربونها وهم جالسون للعب «المنحلة» أو «السيجه».

وفي عام ١٥١١م عين خير بك حاكما لمكة المكرمة من قبل السلطان المملوكي في مصر فلم يستسغها. واستدعى **الاطباء الفارسيين** الذين كانوا متحمسين فأعلنوا انه ضار بالصحة. الا ان المفتي، وهو **الطبيب العربي** «**ابن جزلة**» لم يوافقهم رأيهم. فرد عليه احد الفارسيين بقوله ان منع هذا الشراب هو أسلم الحلول لان له أثر الخمر «ويقال انه لم يذق الخمر في حياته» فأجاب العلماء بانه اذا غلى فان الاستحالة تقع عليه. ولحل الاشكال أعلن انه «مكروه» فلا هو محرم ولا هو بالمباح. الا ان خير بك اصدر قراره بمنعه مرة اخرى، **وفي عام ١٥٢٤م** اغلقت جميع محال القهوة في مكة .. الامر الذي سبب كثيرا [illegible] من عدم الرضا.



• تستطيع الجزيرة العربية أن تنظر باعزاز إلى خمسة قرون ماضية، حفلت بالعديد من الأحداث التاريخية، التي ارتبطت في جزء منها بهذه "الشجرة النبيلة" التي انحدر منها ٨٠٪ من سلالات البن في العالم!





ووصل السؤال الحائر الى **المدينة** .. وهناك كان المواطن «**عبد القادر محمد الانصاري**» - الذي كان قد شرب القهوة وهو في فارس، وعند عودته من هناك أخذ منها لعلاج صحته قد كتب في عام ١٥٨٧م (الموافق عام ٩٩٦هـ) مقالة تعتمد على ما قاله مفتي عدن من انه شراب مباح للمسلمين.

وقال ان الحرفيين الذين يرغبون في العمل ليلا او المسافرين الذين يخشون السفر في قيظ النهار - مسلمين كانوا او مسيحيين - لا حرج عليهم من تناولها حيث انهم كانوا يتناولونها منذ قرون في اثيوبيا.

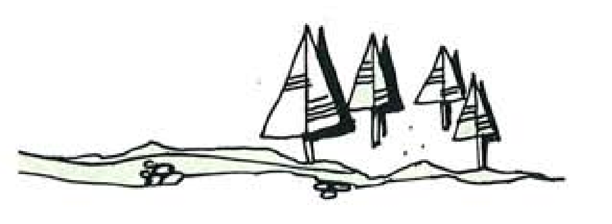
هذا، **وقد وصل هذا الشراب الى القاهرة حوالي عام ١٥١٠م ويقال ان الدراويش هم الذين حملوه الى هناك لرغبتهم في سهر الليل مع ابتهالاتهم الدينية**. وفي عام ١٥٢٣م (٩٣٠هـ) وأيضا بعد عشر سنوات جرت محاولات لايقاف المد الزاحف لاستهلاك القهوة، هذه المحاولات أدت الى هجمات على محال بيع القهوة «**القهاوي**» التي كانت موجودة. وكان هذا الاجراء منافيا للعادة الجديدة التي جرى عليها الناس فرفع الامر الى القضاء. بيد ان القاضي حسم الامر بان شرب فنجانا من القهوة امام الحضور.

ورغم ان القهوة لا تزال - وقتها - غير مرض عنها في مكة، الا انها رحلت شمالا الى تركيا عن طريق دمشق وحلب، حيث كانت محال القهوة تقدمها مصاحبة للعب (**الطاولة أو النرد**) التي كانت منتشرة بين عملائها. ويقول احد الاتراك، واسمه «**بيكفيلي**» وهو دفتردار من أصل هنغاري انها **عرفت في تركيا في عام ١٥٥٤م (٩٦٢هـ)** عن طريق الحجيج العائدين من مكة. وبهذه الطريقة، وصلت الى القسطنطينية التي قال بعض علماؤها ان القهوة مصنوعة من مادة محروقة ولذلك فهي ممنوعة.

الا ان شربها في المجالس الخاصة قد استمر اما في المنازل أو عن طريق الرشوة .. الى ان اعيد فتح المقاهي مرة اخرى وأصبح وضعها قانونيا، وفرضت عليها الضرائب بواسطة الوزير الاكبر.

ويقول الرحالة الانجليزي جورج سانديز، في كتاب نشره عام ١٦١٥م ان الاتراك كانوا يرتشفون القهوة من «اطباق صينية صغيرة، على قدر ما يحتملون من حرارتها. سوداء كالسخام .. لكن لا شئ يضاهي طعمها».

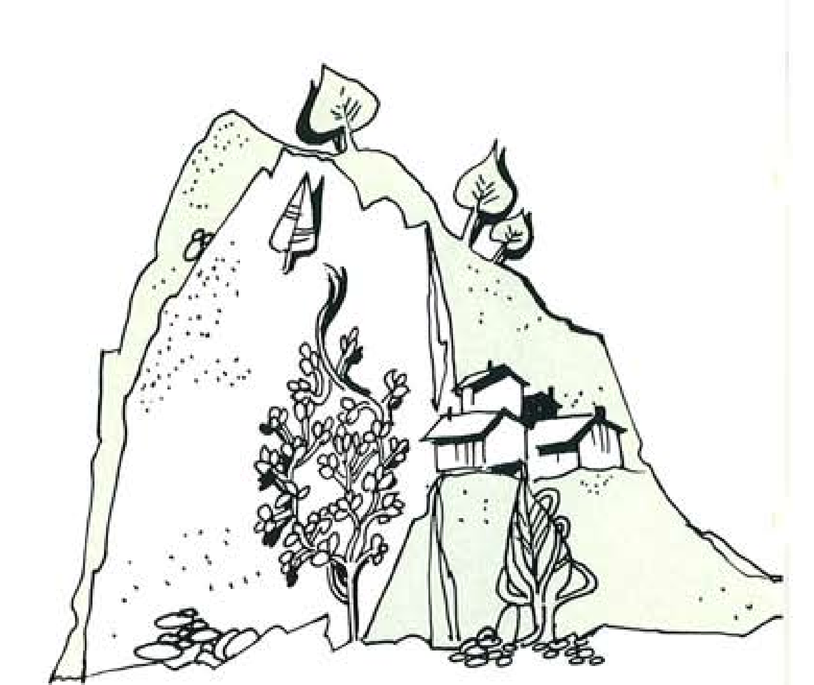
الا ان حظ القهوة تذبذب مرة اخرى. في عام ١٦٥٦م وفي عهد السلطان محمد الرابع قام وزيره محمد كوبروه، باغلاق جميع المقاهي دون الالتفات الى ما تدره للدولة من ارباح. الا ان استهلاكها أصبح الان عادة اجتماعية، ومن ثم خسر النظربون المعركة.



ذلك انه مع وصول الفرنسي «**انطون جالان**» الى اسطمبول قنصلا لبلاده هناك عام ١٦٧٠ (وهو الذي ترجم الف ليلة وليلة فيما بعد) كتب تقريرا يقول فيه: «ان عملية شرب القهوة كانت منتشرة في جميع ارجاء الامبراطورية العثمانية» وانك لا تكون متمدينا ان لم تقدمها لضيفك. الى حد ان المسيحيين العثمانيين يشربونها اكثر من الخمر وانه لابد من وجود «قهوجي» خاص كي تحلو الجلسة. وقال «ان الخدم كانوا يدورون بها بين الضيوف ولو ان اي شخص - ولو كان الوزير الاكبر - فشل في تقديمها فانه يعامل بازدراء واهمال. وانهم كانوا يضيفون اليها الهيل او الينسون لاعطائها نكهة مقبولة.

عائلة البن

يتمي النبات - الذي كان اكتشافه الاول في منطقة «قافا» كنبات بري - ثم في مرتفعات «بوما» المجاورة بالسودان الى عائلة الياسمين. وهو نبات دائم الخضرة يسر الناظرين، وأوراقه منقطة لامعة غير اوراق الليمون كما تتميز زهرته بالبياض والرائحة الطيبة. ويزرع في أراض يتراوح ارتفاعها بين ٢٠-٣٠ قدما (رغم انه يبذر الان على ارتفاع ٥ أقدام في الزراعات الحديثة) ويحمل ساق النبات - مع زهره، فروعاً مائلة وتحيطه براعم حمراء بلون الفراولة عندما تنضج وكل برعم يحتوي على حبتين ترقدان مسطحتين على طرفيه ومتقابلتين - فاذا حمصت البراعم وهي طازجة نتج عن ذلك مسحوق يعرف باسم



«القشر» وهو لا يزال يستعمل كمشروب في اليمن والصومال.
ويجمع المحصول في اليمن في شهر مايو. ولقد استمرت طريقة جمعها – لعدة قرون – بفرش ملاءة تحت الاشجار ثم تجفف البذور على الحصير بتعريضها للشمس ثم تقلب في اسطوانات دائرية لاستخلاص الحبوب، ويعاد تجفيفها وتغربل – باليد عادة – لازالة الشوائب والحبوب المفتتة.

وغني عن القول ان الالة قد دخلت على هذه العمليات بمرور الوقت. الا ان البن لا يزال يصدر أخضرا ثم يحمص ويطحن في البلد التي يستهلك فيها.

القهوة في اوروبا

لم ترد اشارة للقهوة في كتب الاوروبيين حتى منتصف القرن السادس عشر اذ ان كل من «**انطونيو مينافيو**» الذي نشر عام ١٥٤٨م قائمة بالمشروبات التركية، وعالم النبات «**بيير بيلون**» الذي كتب عن الاعشاب في الجزيرة العربية في كتاب عن رحلته اليها عام ١٥٥٣م لم يعرفا باستعمالها بل ان اول رحالة اوروبي اشار الى «البن» كان «**ليونارد روولف**» وهو طبيب من اوجسبرج سافر الى الشرق وشرب القهوة في بلاد فارس. وبعد ذلك اعتقل العرب اثنين من القساوسة الجزويت عام ١٥٩٠ قرب مدينة «**ظفار**» وهما في طريقهما من مدينة «**جوا**» بالهند الى اثيوبيا، وأجبرهما معتقلوهما على السير عن طريق **حضرموت** الى **صنعاء** واخيرا الى بلدة «**المخا**» وفي بلدة «**تريم**» قدمت لهما القهوة ليشرباها فوصفاها بانها «ماء مغلي بقشور فاكهة يسمونها «بن» ومحتمل الا يكونا قد استحسناها.

وفي عام ١٥٩٢م شرب «**بروسبر ألبين**» استاذ النبات في بادوا، القهوة الحقيقية في القاهرة. وقد أنصف في وصفها فقال «انها شجرة دائمة الخضرة وسماها «بونا» ويصنع منها شراب اسمه «قهوة» وقال «ان النساء يتذوقنها كما يتذوقها الرجال.

البن في اوروبا

وصلت اول شجرة بن الى اوروبا عام ١٥٩٦م لكنها كانت غريبة عليهم وفي العام نفسه ارسلت عينة الى الطبيب وعالم النبات «كلوسيوس» الذي كان مفتش الحدائق الملكية في فيينا. كذلك من الراجح ان تكون قد وصلت الى مدينة فنيسيا الايطالية – عن طريق الاسكندرية – عام ١٦١٥م ومن هناك اصبح استهلاك القهوة عادة امتد انتشارها الى غرب اوروبا.

ثم انتقلت القهوة بالبحر الى مارسيليا، حيث حدثت غضبة اعتراض كتلك التي حدثت من قبل في مكة وفي القاهرة الا انها هذه المرة لم تكن على اساس ديني بل لاسباب طبية. فقد ظن الاطباء انهم سيخسرون عملاءهم لانتشار هذا المشروب الذي قيل انه «يشفي آلام الرأس، والنعاس والسعال عند الرجال. كما يعالج آلام العادة الشهرية عند النساء».

بيد ان احد التجار احضر من **القسطنطينية** جهازا يتكون من فناجين وفوطة و «دلة قهوة» لها بزباز لكن الازمة استمرت .. ووصلت ذروتها في عام ١٦٧٩م عندما قام احد الشباب، ويدعى «**كولومبوس**» باعداد رسالة لنيل الدكتوراة. تساءل فيها – من بين مواضيع شتى، «عم اذا كان استعمال القهوة ضارا بسكان مارسيليا» وقال:

«ان العناصر الاساسية التي يتكون منها بن القهوة تبلغ من الفعالية والنشاط الحد الذي بمجرد وصولها الى الاوعية الدموية فانها تنفذ الى الدماء القادمة من جميع اجزاء الجسم. ومن هناك تهاجم المخ فتسحب منه الرطوبة وجميع الخلايا الحية الثقيلة .. فينتج عن ذلك حالة من اليقظة الشديدة التي تؤدي الى ضعف تدفق الدم في الاوعية العصبية .. (وهو ما له قيمة في حيوية الانسان) فتتحطم معنوياته وتتفكك الاعصاب ويصبح الانسان عرضة للتوتر الذي تتبعه حالة من الهزال.

وانتهى الى ان القهوة ضارة بسكان مارسيليا. الا ان كلية الطب في «**ايكس**» التي ناقشت رسالته، اخفقت في اقناع المواطنين بذلك.

ولقد اعتقد سكان باريس بذلك واعتمد سليمان أغا، السفير التركي في باريس عام ١٦٦٩م القهوة كقيمة اجتماعية وكان يقدمها في الحفلات الصباحية. واصبح ارتياد هذه الحفلات وشرب القهوة هو قمة الاناقة المعاصرة.

كذلك اعتادها الانجليز، ولكن ليس بنفس الحماس الذي عاملها به الباريسيون، حيث انهم لا زالوا يؤثرون الشاي عليها.» وتوضح لافتة على مبنى كلية «باليسيول» **في اكسفورد انها شربت هناك لاول مرة عام ١٦٤٨م.** عندما قدمها أسقف «سميرنا» كمشروب تركي جديد وعلى الفور **بدأت محال القهوة تفتح ابوابها وانتشرت في مدن اكسفورد ولندن وباريس.** وظلت هذه المحال ما يربو على المائة والخمسين عاما «المكان الذي تلتقي فيها افراد الطبقة المثقفة حيث يتبادلون الاراء ويديرون المناقشات الفكرية».



القهوة في وسط اوروبا

ثم انتشرت القهوة في وسط اوروبا. ويقال انه مع حصار العثمانيين لمدينة فيينا عام ١٦٨٣م كان النمساويون ينتظرون مساعدة ملك بولندا بصبر نافذ، فأرسلوا جاسوسا بولنديا يتكلم التركية، اسمه «جورج كولتشيكسي» يسترق السمع من معسكر الاتراك. وكان ذلك في شهر رمضان، لكن الاتراك اكتشفوه



بعد المغرب فقدموا له فنجانا من القهوة. وفي ١٢ سبتمبر وصل الجيش البولندي فأجلى الاتراك وفك حصار المدينة. وفرح اهالي فيينا لان الاتراك خلفوا وراءهم، في تقهقرهم السريع، حيوانات واغناما وقمحا لكن فوجئوا بان الاتراك تركوا ايضا خمسمائة كيس بها حبوب سوداء جامدة ظنوها عليقة الأغنام او علف البعير.

ووضعوا احد الاكياس على النار وعلى الفور عرف كولتشيسكي انها تحوي المادة البن فيكون من مسحوقها الشراب الذي اذاقه الاتراك اياه.

والجدير بالذكر انه فتح – فيما بعد – محلا للقهوة واستعمل تلك الكمية ولكن مع مزج مسحوق البن بالقشدة والسكر. **وما ان حل عام ١٦٨٦ حتى انتشر مشروبه هذا في جنوب المانيا رغم انه لم يكن له اثر يذكر في شمال المانيا.**

اين يزرع البن؟

ان معظم محصول البن **يزرع في اليمن** على الجبال المتجهة شمالا وجنوبا عند بلدة «**بيت الفقيه**» وكانت هذه البلدة مركز المشتريات لكل من مصر والامبراطورية العثمانية.

وكان الأتراك يحمون صنعاء عندما وصل اليها الانجليز لاول مرة في عام ١٦١٠ وحاولوا احباط جهودهم للاتجار مع عدن

والمخا لكنهم لم يوفقوا لذلك الا مع عام ١٦١٨م، عندما نجحوا في اصدار فرمان من امام صنعاء ومن حاكم المخا بالسماح للبريطانيين بالتجارة في اي ميناء يمني. فبادروا باقامة «مصنع» وهي التسمية التي كانت تطلق على البيوت التجارية في ذلك الوقت ولقد سبقهم الهولنديون الى ذلك .. اذ كان تجارهم، «بيتر فان ديربروك» يعمل بالتجارة في المخا عام ١٦١٦ وفي العام التالي أسس مصنعا.

بيد ان الجانبين لم يتاجرا في البن مباشرة، **فقد وصلت أول شحنة منه الى امستردام عام ١٦٢٨ بطريق البحر حول مضيق رأس الرجاء الصالح**. وفي العام السابق له، سمع الانجليز من عميل لهم مع **شركة الهند الشرقية** في أصفهان عن «البذور والقشور التي يصنع منها المشروب والتي اكتشفت في «موقا» رغم ان المشروب يستعمل في تركيا والجزيرة العربية وفارس والهند» وبعد ذلك بثلاث سنوات كان لا يزال يوصي بممارسة التجارة في البن «واذا أحسن اختيار حمولة السفن المسافرة الى «موقا» فانها ستعامل معاملة حسنة .. خصوصا اذا ثبت عند التفتيش ان الحمولة تتضمن بذور البن التي ستجد لها متنفسا في **اسواق مدينة سورات بالهند وفي فارس** .. الامر الذي يتفق مع مصلحتكم.

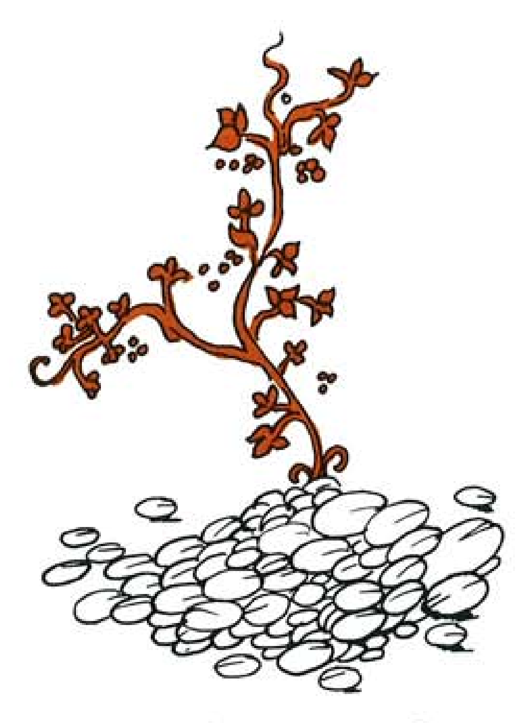
ورغم كل ذلك فلم يظهر البن ضمن قوائم مبيعات شركة الهند الشرقية حتى عام ١٦٦٠.

وفي عام ١٦٦٢، اضطر البريطانيون لاغلاق مصنعهم وتحويل تجارتهم الى الخليج نظرا لحالة عدم الاستقرار التي كان يسببها القراصنة الهولنديون الذين كانوا يغيرون على مدينة «المخا» ثم أعادوا فتح المصنع مرة أخرى، وكذلك الهولنديون وكان ذلك في ستينات القرن السابع عشر والجدير بالذكر ان المصنع البريطاني ظل مفتوحا حتى عام ١٨٢٨.

أسعار البن

انخفضت اسعار البن القادم من مدينة «المخا» في امستردام عنها في فينيسيا – قبل انتهاء القرن السابع عشر – نظرا للجمارك الباهظة ورسوم الشحن التي كان **المصريون والاتراك** يفرضونها على البن.

ولقد كان الفرنسيون في اواخر قائمة المتعاملين في تجارة البن مع «المخا» نظرا لانشغالهم خلال الفترة الماضية بحروبهم الدينية وايضا بسبب تجار مرسيليا الذين كانوا يستوردونه من الاسكندرية. ولقد تأسست اول شركة هناك في عام ١٧٠٨ في مدينة «سان مالو» ولم تتحرك سفنها للتجارة فيه الا في المدة من ١٧٠٨–١٧١٠. وفي العام التالي ارسلت بعثة اخرى، كان من بين اعضائها الدكتور البحري «**باربيير**» الذي تعلم – نظرا لمهارته – الشيء الكثير عن اليمن .. الامر الذي تفوق به على كل من سبقوه اليها ولقد تصادف ان حاكم اليمن، في ذلك الوقت كان مريضا وبحاجة لمساعدة طبية فاستطاع باربيير – الذي كان يرافقه مسيو «دى لاجريلوديير» المندوب فوق العادة – استطاع القيام بعلاج الحاكم، ومن ثم سمح للرجلين بقضاء بعض الوقت في صنعاء والتجول في مختلف ارجاء البلاد.



اليمن بعد الحكم العثماني

ودهش الرجلان من بساطة القصر اليمني، وبساطة بساتينه الملأى بشجيرات البن .. صورة تقف على طرفي نقيض من الفخامة التي شاهدها «فان ديربروك» هناك عام ١٦١٦ عندما كانت البلاد تحت الحكم العثماني. ولقد كانت الظروف الداخلية في اليمن تميل – بعد قرن من انسحاب العثمانيين الى جدة عام ١٦٣٦، تميل الى عدم الاستقرار. فقد كان الحكام يناضلون من اجل السيادة على اقاليمهم. الا ان امام صنعاء تمكن من استرداد سيطرته على ميناء المخا نظرا لوجود الاجانب

التكاليف وارتفاع تكاليف النقل التي كانت تدفعها كل من مصر وتركيا، فقد انخفضت اسعار البن في كل من **لشبونة** .. **وامستردام** عنها في **الاسكندرية والقسطنطينية**.

البن في هولندا

وفي عام ١٦٩٦ كتبت مجلة «لوميركورجالانت» الباريسية عن النظام العثماني وكأنه سيبقى أمد الدهر. وبعد ذلك بعشر سنين **نجح الهولنديون في زراعة جبال الانديز الهولندية بالبن ومن ثم أصبحت زراعة البن العربية تمثل المركز الثاني في التجارة العالمية للبن.**

ولا تزال بعض البيوت الراقية القديمة، المبنية على القنوات في امستردام تحمل فوق الجزء الاعلى من جمالون السقف بها، الخطاف الذي كان يستعمل لتقليب بذور البن عند تخزينها.

تسميتها بالقهوة العربية

على ان اشجار البن، التي زرعت بمثل هذا النجاح في جبال الانديز الهولندية لم تصل الى هناك من اليمن مباشرة بل عن طريق **باتافيا وهولندا** وفي عام ١٧٠٦ وصلت أول شجرة بن من المخا الى باتافيا وهناك تسلمها «**نيكولاس ويتسن**» عمدة





بها وايضا للارباح التي تجلبها تجارة البن ومن ثم تمكن ضيفاه الفرنسيان من السفر الى بيت الفقيه وغيره من المدن. الامر الذي أدى – على حد قول الكاتب دي لاروك – الى **ظهور اول دراسة جادة باللغة الاوربية عن النبات واطوار نموه والاصول الاجتماعية والحبشية للعاملين بتجارته.**

ويقول لاروك في كتابه ان الفرنسيين قد أحسنا التصرف الا في رفضهما خلع احذيتهما عند دخول القصر. ويقال انهما ذكرا ان العرب – في مجيئهم الى بيت الفقيه – كانوا يحملون اكياس القهوة على كل جمل كيسين وهناك كانوا يتاجرون فيها مع المصريين والعثمانيين والاوروبيين بواسطة التجار البنيانيين (من الهند) الذين لا يجيدون التكلم بغير لغتهم وكانوا عندما يتساومون **ينقرون باصابعهم من تحت قطعة من القماش الابيض لئلا يعرف التاجر ما دفعه غيره.**

هذا وكانت الاجراءات الجمركية التي يطبقها حاكم الاقليم ملائمة تماما ويضيف لاروك في مقالة له عن الرحلة بعنوان «مذكرة عن البن» وصفا لشجرة البن وأطوار نموه وأضاف انها – تحتاج ان تكون جذورها في الظل كي تتقي بذلك الاثار الضارة للرياح الموسمية. ولقد كان العرب يدركون ذلك فيقطفونها باحجار مسطحة او يزرعون اشجار الحور بين صفوف النبات.

وكان اليمنيون يظنون ان البن لا يزرع الا في بلادهم

امستردام فحفظها في صوبة زجاجية وارسل البادرات الناتجة عنها عام ١٧١٣م الى ملك فرنسا، **لويس الرابع عشر**، كعرفان بالجميل لخدماته في الاعداد لتوقيع **معاهدة اوترخت**. ثم قام الملك – الذي كان قد تذوق القهوة – باستدعاء «انطوان دى جيسو»، المشرف على الحديقة النباتية في باريس .. ومن الملاحظات التي أبداها عالم النبات – السويدي «**لينوس**» سمى المشروب – القهوة العربية».

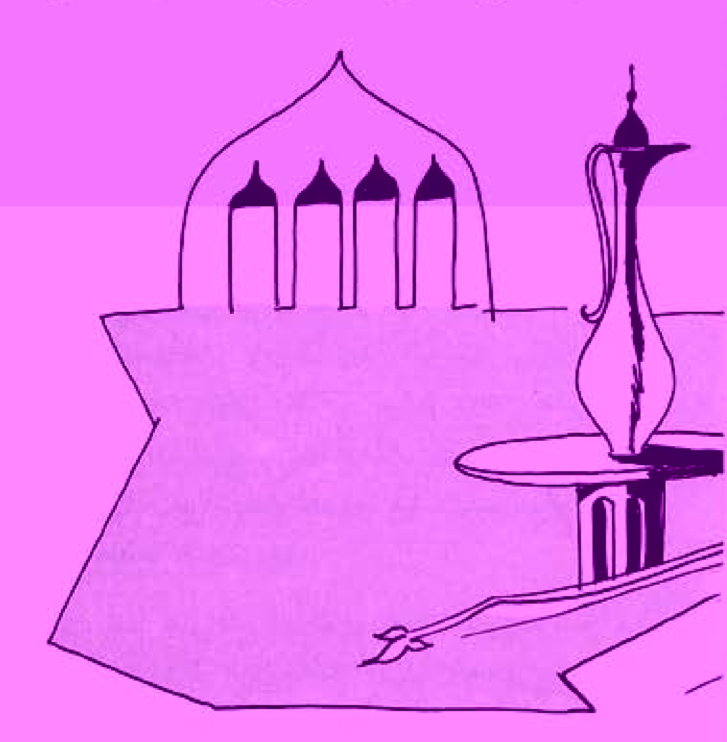
تلك «الشجرة النبيلة» كما كان مستشارو الملك لويس الرابع عشر يسمونها .. تتصف بجذعها الريشي المتميز. وهي شجرة ذاتية التلقيح ومنها يتدرج معظم انواع الاشجار في العالم.

وفي عام ١٧٢٠ نقل الضابط البحري الفرنسي «**جابرييل دى كليو**» زوجين من جميع انواع اشجار البن الموجودة في الامريكتين الى **مارتنيك**. وعندما اوقف سفينته لقلة الرياح، تعرض هو ورجاله لالام العطش. وكان معه ست شجرات ذبلت منها خمس. ولاحظ احد رجاله يق[illegible]صف نصيبه اليومي من الماء لانقاذ حياة الشجرة الباقية، ولدهشته كاد يهاجمه، اذ عده مجنونا لكن رجال السفينة حالوا دون ذلك.

وعاشت الشجرة، وكان اول انتاج لها في عام ١٧٢٦ **وبعد خمسين عاما كان عدد اشجار البن في مارتنيك وحدها (١٩ مليونا)**.

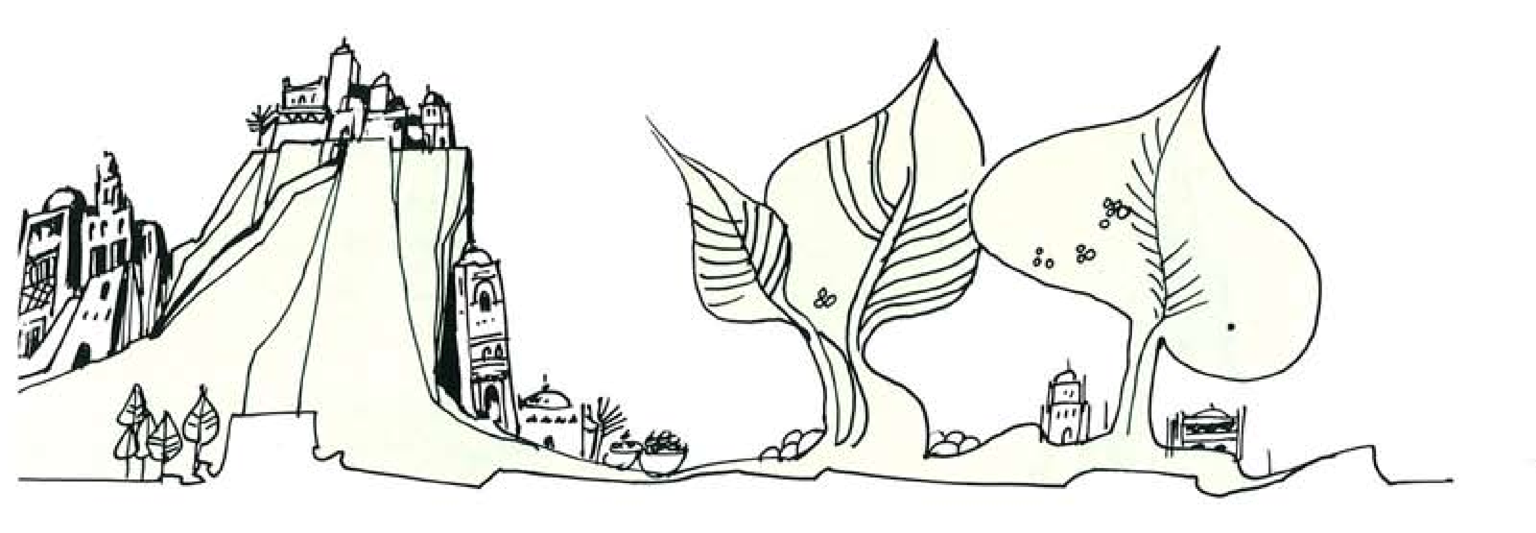
وشجرة البن التي يمكن اكثارها اما بخلفات الاشجار او بالتقاوي – **تؤتي ثمارها في مدة تتراوح بين ثلاث الى خمس**





سنين. وهي لا تحتمل الصقيع ولذلك لا يمكن انباتها في اوروبا الا في الصوب الزجاجية. ولذلك فهي تحتاج لجو رطب وتربة غنية بالمواد الغذائية المتحللة. ولقد كانت سيادة سوق البن معقودة للجزيرة العربية حتى عام ١٧٠٠ ثم بدأ المنتجون الاجانب يبذرونها من بعد، وتنحت المخا عن الصدارة، فصارت ميناء ضئيل الاهمية ومغمورة .. وانما **سيطرت جبال الأنديز الهولندية على سوق البن حتى القرن الماضي، عندما احتلت البرازيل مكانها، التي وصل انتاجها الى ٧٧٪ من محصول البن في العالم**. أما اليوم فقد انخفض الانتاج الى حوالي ٣٠٪ **وشملت زراعة البن العربي كل منطقة الحزام الاستوائي الذي يمتد جنوبا الى منطقة بارانا بجنوب البرازيل والى المكسيك شمالا**.

ولقد تقلب تاريخ البن العربي، خصوصا في الحروب النابليونية والحربين العالميتين، رغم القيود التي كانت مفروضة على النقل – وفوق كل شيء – من خلال الامراض التي تصيب شجرته. وأهم هذه الامراض هو **الصدأ**. وهو مرض فطري يصيب الاوراق وما ان تظهر بوادره حتى تنتشر عدواه كالنار بين الهشيم.



وفي ثمانينات القرن التاسع عشر، قضى هذا المرض على جميع مزارع البن في سيلان. الا ان الزراع لم تكن لديهم المرونة الكافية التي تخولهم حرق اشجارهم او استبدالها بزراعة الشاي .. وكان من بين اولئك الذين تخلوا عن مكافحة هذا المرض **«مونتي فيلبي»** والغريب انه والد عبدالله فيلبي الرحالة الذي تعددت جولاته واكتشافاته في الجزيرة العربية.

البن في القرن العشرين

ظهرت انواع جديدة من البن سيطرت على السوق في هذا العصر.

** **اولها** البن المزروع في جبال الانديزر الهولندية، والذي اصبح مصدر اكثر انواع البن سرعة في الانتاج منذ زرعه الهولنديون عام ١٩٠٠.

** **ثانيها** .بن وسط افريقيا الذي تتصف اشجاره بالخشونة ومقاومة الامراض.

وهذان الصنفان ينافسان البن العربي نظرا لقدرتهما على مقاومة للصدأ. الا انهما – في نفس الوقت – ليسا ذاتيا التلقيح كالبن العربي اذ تنتقل جزئيات اللقاح بواسطة الرياح او بفعل الحشرات.

ورغم ان الصنف الهولندي يمكن زراعته تحت حرارة الشمس وفي الاراضي المنخفضة وان صنف وسط افريقيا يتميز ببذوره الكبيرة .. الا **ان ٨٠٪ من اشجار البن في العالم لا تزال من البن العربي** وذلك بسبب نكهته اللذيذة بالرغم من قابليته للاصابة بالمرض.

هذا، والحاجة تدعو الى اضافة فقرة اخرى عن اخر التطورات في مجال زراعة البن. فقد أدت الزيادة العالمية في استهلاكه في السنوات العشر الاخيرة الى زيادة عالمية اخرى في الطلب عليه .. الامر الذي يجعلنا نتفهم السبب الذي من اجله اقدمت البرازيل – في ثلاثينات هذا القرن على حرق كميات البن الفائضة لديها للحيلولة دون تسويقها ومن ثم انشئ جهاز لدراسة انتاجه على مستوى عالمي.

والان زال احساس الخوف من غمر البن البرازيلي للاسواق ففي يومي ١٧ و ١٨ يوليو عام ١٩٧٥ **اجتاحت عاصفة ثلجية جميع مزارع البن هناك وانخفض معدل التصدير في البرازيل،** والذي كان يتراوح بين ٢٥–٦٠ مليون كيس سعة كيلوجرام واحد من البذور الخضراء في السنوات العادية الى ستة ملايين كيس عام ١٩٧٦ الا ان الدولة تمكنت من استعادة مكانتها بالاعتماد على مخزونها بمعدل تسعة ملايين كيس. وفي غضون عام ١٩٧٦ ظهرت عوامل اخرى أدت الى زيادة نسبة العجز في الانتاج منها: **الجفاف والفيضانات في كولمبيا، الزلازل الحادة في جواتيمالا، والاضطرابات السياسية في انجولا واوغندا** وانعكس اثر ذلك على الاسعار فانخفضت في السوق العالمية بشكل حاد في مدة لا تتجاوز ثمانية عشر شهرا – وحاولت الولايات المتحدة الامريكية (وهي اكبر سوق مستهلك للبن في العالم) انقاذ الموقف، الا ان جهودها باءت بالفشل.

غير انه اصبح واضحا ان الامريكيين – بالقياس لمسألة البترول – على استعداد للتضحية بأية كماليات اخرى في سبيل الاحتفاظ بفنجان القهوة.

ولقد كان انتاج البن العربي، في العصور الماضية – يفوق انتاج اي دولة اخرى منافسة، الا ان انتاجه في البرازيل وفي



الدول الاخرى، لن يعود لوضعه الطبيعي حتى موسم ١٩٧٩/٧٨. كذلك لن تعود اسعاره الى مستواها السابق، في موسم ١٩٧٥، عندما وضع سعر الرطل الانجليزي منه الى دولار واحد بسبب النقص الذي يعانيه .. ومرة اخرى فانه كالبترول — يبدو رخيصا جدا.

هذا ورغم ان انتاج الجزيرة العربية من البن لا يشكل الا نسبه ضئيلة من انتاج العالم، الا انها تستطيع ان تنظر باعزاز الى خمسة قرون ماضية حفلت بالعديد من الاحداث التاريخية، التي ارتبطت في جزء غير يسير منها بهذه «الشجرة النبيلة» التي انحدر منها ٨٠٪ من سلالات البن في العالم، .. وتفخر بانها نشرت عادة عالمية البهجة رغم ارتفاع تكاليفها.



قائمة موجزة بالمراجع

* مسيحيان في رحلة من ذمار الى صنعاء عام ١٥٩٠م تأليف س.ف بكنجهام.
* رسالة موجزة عن البن — لندن ١٧٦٦، د. برادلي.
* الامبراطورية العثمانية: العصر الكلاسيكي، لندن ١٩٧٣، هاليل ابنالكيك
* القهوة .. ملحمة في سلعة نيويورك ١٩٣٥، باريس ١٩٥٣. هـ. أي — جيكوب.
* رحلات الى الجزيرة العربية السعيدة، لندن ١٩٦٨، ايريك ماكرو
* حول اكتشاف الجزيرة العربية، ج — بيرين.
* البن: النبات والزراعة والاستثمار لندن ١٩٦١، ف.ل. ويلمان
* ما نشرته جريدة فاينانشيال تايمز في المدة من ٧٥—١٩٧٧ في لندن وجريدة لوموند بباريس.





حول أدب المسرح والسينما عند العرب

بقلم : نديم صوالحة

كثيرة هي الشخصيات والاحداث

الرجل الأسمر بابنة جلدتهم، الفتاة الشقراء

يلعبن ادوار نساء الحريم في الفيلم. وان

في بريطانيا، لمشاهدة تمثيلية موسيقية راقصة، كانت احداث المسرحية وشخوصها منقولة عن قصص الف ليلة وليلة. وبينما حيرني ذلك العرض وادهشني ببعده عن الحقيقة وتحويره للتاريخ والواقع فانه قد ملأ نفس زميلي الانجليزي بالنشوة والشعور بالروعة. سألته عن رأيه ونحن نغادر المسرح فقال ان ما شاهدناه كان حقا طبخة مسرحية شهية. وعندما قلت له ان المسرحية لم تركز الا على الجوانب السلبية من حياتنا الشرقية كالسحر والشعوذة، اجابني قائلا: «ان السحر والشعوذة أهم عنصرين من عناصر الفن المسرحي».

لقد كانت ثورة الامير عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمار الاسباني والسلطة الفرنسية في عام ١٩٢٠ انتفاضة من اكبر الانتفاضات التحررية في تاريخ العرب الحديث في شمال افريقيا. ولربما انها كانت النسمة الاولى من عاصفة التحرر التي هبت رياحها فيما بعد عبر القارة الافريقية بأسرها. ومما لاشك فيه ان تلك الثورة استحوذت على خيال الكثيرين من ابناء الغرب، وخصوصا الانكليز منهم والامريكان، الذين كانوا يتتبعون ابناءها وكلهم أمل في ان يلقن المغرب الصغير منافسيهم من الفرنسيين والأسبان درسا قاسيا. وكان لبعض الجوانب الدرامية من الثورة اثر فعال في نفوس بعض الفنانين فبنوا حولها عملا مسرحيا تحت عنوان «اغنية الصحراء» مع ان الحرب بين رجال الخطابي والمستعمر الاجنبي دارت رحاها في المناطق الجبلية.

• واذا بحثنا في هذه المسرحية عن مسببات الثورة واهدافها ونتائجها فاننا لن نجد لها اثرا. كما اننا اذا حاولنا ان نتعرف من خلال الحوار واللحن والاغنية على الفولكلور المغربي او التيارات السياسية والفكرية زمن الثورة فاننا سنصاب بخيبة امل شديدة. والسبب في ذلك هو ان هدف هذه المسرحية ومعظم الاعمال الفنية التي تتناول مشاكل الشرق، هو تسلية الجماهير وادخال المرح الى النفوس. ان هدف المنتج هو ارضاء جمهور المسرح في باريس ولندن ونيويورك، اما البقية فلتذهب «وتبلّط» البحر. والشيء الاغرب والادهى هو ان بطل المسرحية ليس عبد الكريم الخطابي بل انه شخصية اوروبية مغامرة ومشبوهة اسمها «الظل الاحمر». وقد وصلت حكاية الظل الاحمر الى المسرح اللندني عن طريق صحفي امريكي سافر الى المغرب لاجراء مقابلة مع الخطابي. وشاءت الصدف ان يلتقي الامريكي بجندي الماني من المرتزقة كان يعمل مترجما لدى قيادة الحركة المغربية. وقد روى ذلك الجندي للصحفي الامريكي العديد من قصص المغامرات الخارقة مدعيا انها حدثت له اثناء تجواله في الصحاري والقفار. وهكذا ولدت «اغنية الصحراء». ومع ان اسم الثائر العربي استعمل على نطاق واسع لجذب انتباه الجمهور المسرحي، الا ان الثورة ذاتها لم تأخذ الا دور الاطار المزخرف والخلفية العامة للمسرحية. وهكذا، حوّرت منابع الثورة واتجاهاتها لتنسجم قصتها مع ما يتوقعه الغربيون من سحر ورومانسية يفترضون انها من خصائص الشرق ومقوماته الاساسية.

من الواضح ان الصورة التي رسمتها لكم عن علاقة الفنان الغربي بالانسان العربي صورة قاتمة ولا تدعو الا الى التشاؤم. ومع ذلك فان عندي قصة لابد ان ارويها لكم علّها تفتح امامنا ابواب التفاؤل والأمل.

قبل حوالي سنتين طلب مني مخرج يعمل في التلفزيون البريطاني ان اقوم باداء دور امير عربي يدعى «قاسم» وتحتل شخصيته مكانة مركزية في تلك التمثيلية التلفزيونية. وكان قاسم، بالاضافة الى ثقافته العالية يرأس مؤسسة مالية محترمة تعمل على نطاق عالمي. وقد لاحظت عند قراءتي للدور ان قاسم يعبر عن شخصية عربية فذة قوية ذات فكر راسخ ومعرفة واسعة. ولهذا السبب رحت اسعى للتعرف على الكاتب. وعندما التقيت به شددت على يده وقلت له: «مرحى مرحى، واخيرا ظهر المفكر المغربي الذي ينصفنا ويعطينا شيئا من حقنا».

ابتسم الكاتب الانكليزي وقال: «انني اظن انه بعد عام ١٩٧٣ بدأت الشخصية العربية الحديثة تفرض نفسها على العالم. ونحن اليوم نصغي اليكم ليس لاننا نريد إنصافكم، بل لأنه قد ظهر بينكم الكثيرون ممن يعرفون كيف يستعملون ذكاءهم عند مخاطبة الشعوب الأخرى.»

سألته وما هي الخطوة الاخرى التي يجب علينا اتخاذها فقال: «لا تشتروا المصانع والمعامل فقط، اشتروا ايضا المسارح والاستديوهات، ففي ذلك استثمار سيعود على الاجيال القادمة بمنافع قد تفوق منافع المعامل والمصانع.

عينان

شعر: د. عبده بدوي

عيناه بَحْرٌ حالمٌ لا وَهْمَ يُدْرِكُ شاطئَيه
جَمَعَتْ فنونَ الظِّلِّ والألوانِ رَقْصةٌ مُقْلَتَيْه
.. كم مرّةٍ عَلَّقْتُ عمري في تَقَارُبِ محْجَرَيه
وحسبتُ أنّي سَوْفَ أبقى خالد النَجْوى لديه
فاذا بِعَيْنَيْه استْدارتْ للدُّجى في جَانبيْه..
واذا أنا دَمْعٌ رضيعٌ نائحٌ في مُقْلتيْه!

* * *

عيناهُ قَدْ سَقَتا أناشيدي وأيّامي ظما
مَرَحْ الزّهور ولثغةُ العصفور يَصْدَحُ: فيهما
ووداعةُ الغُدْران، والنَّغم الخجولُ: عليْهما
ما زلْتُ أنْظُر فيهما حتّى تسلَّقْتُ السَّما!!
حتّى اذا ما العُمْر صاح بمقْلتيَّ، وأضرما
أصبحت في وَهَج الحريق على البسيطة «آدما!»

* * *

عيناه تبتسمان في قلْبي بِفَجْرٍ أسْمر
وتصوّران حمامتيْن دعاهما نَبْعٌ ثرى
واللّيْل مقفول القَميص بلوحةٍ منْ مرمر
أنا منهما غَرَّقْتُ عمري في انعتاقٍ مُقْمر
حتّى اذا ما الدَّمع أوْرَقَ واستْدار بِمحْجَر
أصبحتُ تمثالاً لحزْنٍ صامتٍ. مُتَحَجِّر!



الحرم الابراهيمي

حـــبرون

لقد هاجر **ابراهم الخليل** من مسقط رأسه في العراق الى ارض كنعان (**فلسطين**) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وكان يعتبر بلغة اليوم «**لاجئا سياسيا**» (وفي الاسلام هاجر في سبيل دعوته). تنقل في البلاد من شكسيم (**بلاطة للشرق من نابلس**) الى بيتين (بيت ايل) من قضاء رام الله الى حبرون الى بير سبع ثم الى البرية، فالهجرة الى مصر ثم العودة منها، ولم يملك هذا الغريب شبرا من أرض فلسطين حتى توفيت زوجته **سارة** فاشترى مغارة في حبرون (**والاسم كنعاني معناه الصديق أو الخليل**) ولما مات دفن قبالتها، ولما مات ابنه اسحاق دفن في تلك المغارة وقباله امرأته رفقة، ويدعي اليهود انهم احضروا جثمان **يعقوب** وزوجته **لائقة** (**ليا**) من مصر ودفنا في هذه المغارة – مغارة المكفيلة – ثم ظهرت رواية اخرى تقول بوجود قبر **ليوسف بن يعقوب** خارج سور الحرم وبجوار المغارة وليس في داخلها، مع وجود قبر آخر ليوسف في بلاطه.

ان اعظم مؤرخ يعتمد عليه اليهود في تاريخ أيامهم هو «**يوسيفوس**» ولكنه لم يورد في تاريخه المفصل أي خبر ينبئ بان اليهود بنوا اي معبد في حبرون، حتى جاء الملك هرودس الذي ولد المسيح في ايامه فبنى قلعة – وليس هيكلا على الرابية التي فيها مغارة المكفيلة المقبور فيها الأنبياء وزوجاتهم ولفها بسور – سماه العرب الحير السلياني، بعد ان نسبوه لسليمان خطأ، لانهم



مجلة الفيصل – ص ١٣٣



منظر عام للحرم الابراهيمي

لم يعرفوا هرودس – وهو من مواليد عسقلان وأمه نبطية من عرب البتراء وثقافته رومانية، وكان تظاهره باليهودية كسبا لتأييد احبار اليهود – الذين كانوا يكرهونه كرها لا مزيد عليه.

وعندما توالت الاضطهادات على اليهود في رضوخهم لحكم اليونان والرومان بشر أحبارهم بمجيئ مسيح منتظر (المسيا) وقالوا ان هذا المسيح سينزل في القدس وبعضهم قال بل في طبرية، وبعضهم ذهب الى ان نزوله سيكون في صفد، الى ان ظهرت طائفة اخرى تقول انه سينزل في الخليل، ومن هنا بات طمع اليهود في الاستيلاء على هذه المدن الأربع وكانت جمعياتهم تقدم الصدقات لكل من يعيش من المهاجرين في احدى هذه المدن.

يعتبر المسلمون ابراهيم الخليل نبيا ويذكرونه في صلواتهم يوميا، ولقد ذكره القرآن الكريم بأجل الصفات وعظمه عشرة اضعاف من تعظيم التوراة – فانه وجد قبل اليهودية وقبل النصرانية وانه صاحب الملة الحنيفية.

مشـــهد الخليـــل

وما كاد **الأمويون** يتفرغون لأعمال البناء حتى اسرعوا وبنوا في حبرون مشهد الخليل وفوق المغارة التي تضم قبور الأنبياء، ولقد فتح المهدي العباسي ثغرة في سور قلعة هرودس (او الحير السليماني خطأ) تؤدي الى المشهد.

يعتبر المسلمون المشهد الابراهيمي – حرم سيدنا الخليل رابع مسجد في قدسيته ولقد وصفه السائح الفارسي «**ناصر خسرو**» قبل الحروب الصليبية فقال:

«بعد الفراغ من زيارة بيت المقدس عزمت على زيارة مشهد ابراهيم خليل الرحمن .. والمشهد على حافة القرية من ناحية الجنوب الشرقي. وهو يتكون من بناء ذي اربعة حوائط من الحجر المصقول. طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون وارتفاعه عشرون (الذراع ٦٨ سم) وثخانة حوائطه ذراعان. وبه مقصورة ومحراب في عرض البناء. وبالمقصورة محاريب جميلة – بها قبران رأساهما للقبلة – وكلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل – الأيمن قبر اسحاق ابن ابراهيم والأيسر قبر زوجته. وبينهما عشرة أذرع، وارض هذا المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التي تفوق الديباج حسنا. وقد رأيت هناك حصيرة صلاة قيل أرسلها امير الجيوش – التابع لسلطان مصر، وقد اشتريت من مصر بثلاثين دينارا ذهبا – من الذهب المغربي، ولو كانت من الديباج الرومي لما بلغت هذا الثمن، ولم ار مثلها في مكان قط.

حين يخرج الزائر من المقصورة الى وسط ساحة المشهد يجد مشهدين امام القبلة، الأيمن **قبر ابراهيم** وهو مشهد كبير ومن داخليه مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله ولكن له اربع نوافذ، منها يرى الزائر وهو يطوف حول المشهد الكبير وقد كسيت ارضه وجدرانه ببسط من الديباج والقبر من الحجر ارتفاعه ثلاثة أذرع وعلق به كثير من القناديل والمصابيح



مدينة الخليل

الفضية.

والمشهد الثاني الذي على يسار القبلة به قبر سارة زوج ابراهم، وبين القبرين ممر على بابها، وهوكالدهليز به كثير من القناديل والمسارج.

وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران – الأيمن قبر النبي يعقوب والأيسر قبر زوجته، وبعدهما المنازل التي اتخذها ابراهيم لضيافة ضيوفه.

وعلى جانب الصحراء بين قبر يوسف ومشهد الخليل قرافة كبيرة يدفن فيها الموتى من جهات عديدة. وعلى سطح المقصورة التي في المشهد حجرات للضيوف والوافدين. وقد اوقف عليها اوقافا كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس، ويعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون.

وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق. وبالمضافات خادمات يخبزن طول اليوم. ويزن رغيفهم منا واحدا (**المن نصف كيلوغرام**) ويعطي من يصل هناك رغيفا مستديرا وطبقا من العدس المطبوخ بالزيت وزبيبا .. وفي بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمس مئة فتهيأ الضيافة لهم جميعا.

ويقال انه لم يكن لهذا المشهد باب – **وكان دخوله مستحيلا** – يزورونه من الايوان في الخارج. فلما جلس المهدي العباسي على كرسي الخلافة أمر بفتح باب فيه وزينه وفرشه بالسجاجيد، وأدخل على عمارته اصلاحا كبيرا.

وباب المشهد وسط الحائط الشمالي على ارتفاع اربعة أذرع فوق الأرض، وعلى جانبه درجات من الحجر – فيصعد اليه من جانب ويكون النزول من الجانب الآخر، ووضع هناك باب صغير من الحديد.

انتهى كلام السائح الفارسي.

الغـــزو الصليـــبي

عندما فتح الصليبيون مدينة الخليل سنة ١٠٩٩ هدموا البناء الاسلامي واقاموا على انقاضه حصنا لفرسانهم وديرا لرهبانهم وكنيسة صغيرة على الطراز القوطي، الذي كان شائعا في أوروبا في القرن الثاني عشر. ولا نزال نشاهد في الصحن الذي يضم قبري اسحاق وزوجته السقوف التي قامت على عقود عالية – ويبرز الفناء المتوسط على الجناحين الجانبين ليكون المماشي الثلاثية بما كان يعرف بطراز **الباسليكا** الرومانية. **أما باقي ابنية الحرم فانها اسلامية صرفة.**

الفتـــح الصلاحـــي

حالما استرد **صلاح الدين** مدينة الخليل من الصليبيين اسرع باعادة البناء مسجدا اسلاميا. وزاد في تكريمه واظهار اهميته بان نصب فيه منبر جامع عسقلان بعد ان خربها لئلا يستحوذ عليها الافرنج.

وللايوبيين اضافات في الحرم الابراهيمي – منها الرواق الذي كتب فوقه «**بسم الله الرحمن الرحيم**» بني هذا الرواق في أيام مولانا السلطان الملك المظفر شرف الدين عيسى – لمولانا السلطان الملك العادل **سيف الدين ابي بكر بن أيوب** – قدس الله روحه – بتولي العبد الفقير سعد الدين سعود بن عمر بن أحمد.»

كما أوقف ابنه الملك عيسى على الحرم قريتي (دورا) و (بني نعيم) سنة ٦١٢هـ ولقد وسع المماليك هذه الوقفية حتى شملت قرى يطّة وزكريا ومزرعة عنتر وادنا وحلحول وترقوميا وعناب وشويكة، بالاضافة الى دورا وبني نعيم. والعادة ان يدفع فلاحوها عشرها لمصلحة الوقف وليس لخزينة الدولة.

ويعتبر **الملك الظاهر بيبرس** خليفة صلاح الدين ومثبت دعائم فتوحاته ورادّ صوّال الاسلام الى الحظيرة وهو الذي أضفى على مسجد الخليل من البهاء والروعة ما جعله من أعظم مساجد الاسلام. واستمر خلفاؤه المماليك على سنته من حيث الاهتمام بالعمران.

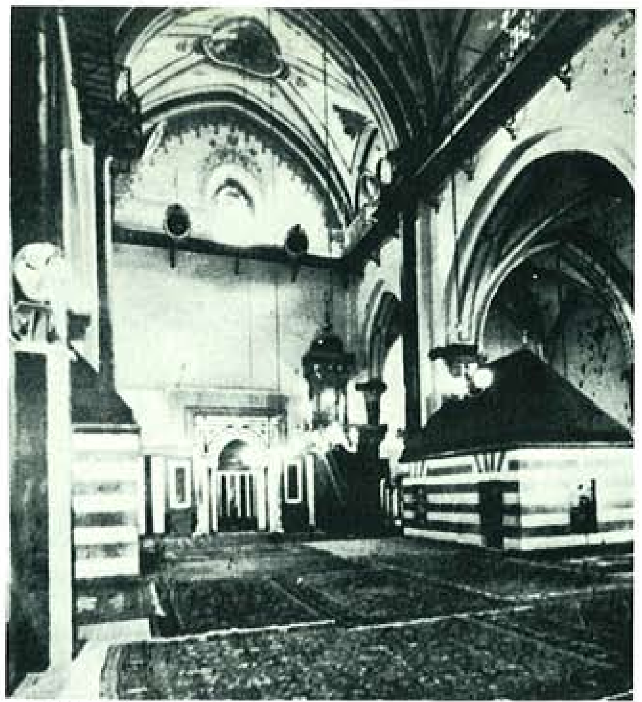
فالسلطان **قلاوون** امر بعمارة احد ابواب الحرم وكتب على باب الحضرة الابراهيمية هذه العبارة «**أمر بعمارة هذا الباب على ضريح نبينا ابراهم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام – مولانا السلطان المنصور قلاوون الصالحي – قسم أمير المؤمنين في غرة رجب الفرد سنة خمس وثمانين وستماية – عزّ نصره**».

وكتب على يمين الداخل على لوح من النحاس بماء الفضة وبالخط الكوفي «**أمر بعمارة هذا الباب المبارك على نبينا ابراهم صلى الله عليه وسلم – مولانا السلطان المنصور قلاوون الصالحي**».

وكتب على اليسار وعلى قطعة متشابهة «**أمر بعمارة هذا الباب على نبينا ابراهم عليه الصلاة والسلام مولانا السلطان المنصور قلاوون الصالحي**».

وفي عهد هذا السلطان أقيمت فوق الغار الشرقي قبة وسجل تاريخ هذا العمل بأحرف بارزة بماء الذهب على المرمر «**أمر بانشاء هذه القبة المباركة ايام مولانا السلطان الناصر – ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون الصالحي – عز نصره. اللهم ياعالما بما يكون أن تنصر مولانا محمد بن قلاوون**».

أما المحراب فيغشيه الرخام الملوّن الجميل وقد كتب على لوحة منه «أمر بانشاء هذا الرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الناصر – ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون بالاشارة العالية السيفية التنكزية – كافل المماليك الشريفية الشامية – اثابه الله



المحراب داخل الحرم الابراهيمي

في الجنة – في شهور سنة اثنتين وثلاثين وسبعماية».

وفي ذلك التاريخ بنى الأمير تنكر دكة المؤذنين امام المنبر على أعمدة من رخام جميل رشيق.

مسجد الجاولي

ولما ضاق المسجد الرئيسي بالمصلين بنى ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة المملوكية أبو سعيد الجاولي بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون مسجدا بظاهر الحرم من جهة الشرق يتصل بالمسجد الكبير برواق. ويقوم سقف جامع الجولي على ١٢ سارية وله قبة وفرشت ارضه وغطيت حيطانه وسواريه بالرخام – ويبلغ طوله من الشمال الى الجنوب ٤٦ ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب ٢٥ ذراعا (ذراع العمل ٦٧ سم) وانتهى من بنائه سنة ٧٢١هـ. حسب هذا الرقم المكتوب على العتبة العليا «في أيام مولانا السلطان الملك الناصر – **ناصر الدنيا والدين** – محمد – خلد الله ملكه ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون، الصالح. أنعم الله برحمته العلية – العبد الفقير الى الله تعالى عبدالله بن سنجر الناصري رحمة الله عليه، لم ينفق شئ من مال الحرم الشريف في تسع من ربيع الآخر سنة عشرين وسبعماية».

وعلى تجديد هذه العمارة نقشت العبارة التالية «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديده بعد عفو .. المقر الاشرفي الكريم العالي المولى الامير البكري الزعيمي المستنصري الظاهري الشريفي الداواداري الملكي الظاهري عز الله أنصاره .. من مال

وقف البوكندار – تغمده الله برحمته – على النظار والمستخدمين عليه بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول سنة ثمان مایة».

وعلى باب آخر كتب «**جدد هذا الباب المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف اينال خلد الله ملكه. وذلك ينظر الغزيزي ناظر الحرمين الشريفين وذلك في سنة تسع وخمسين وثمان مایة**».

ولاشك في ان مقامات الانبياء وزوجاتهم جميعا من بناء المماليك بعد الحروب الصليبية، كما تدل الكتابات المرقومة عليها. ولكل قبر حجرة قائمة بذاتها ولها باب من قضبان الحديد المطلية بالفضة. وكل واحد منها مكسو بالديباج المطرز بالايات والكتابات والنقوش الجميلة – فقبر ابراهيم في حجرة مثمنة الشكل مصفحة بالرخام. ومثل ذلك **قبر سارة**. ويقوم سقف كل مقصورة منها على ركائز ضخمة. وفي السقف تتدلى مصابيح فوق الضريح.

أما قبر يعقوب وزوجته ليا (رفقة) فكل منهما في حجرة مستطيلة وعليها النفائس المطرزة. ولقد كتب على قبر يعقوب «**هذا قبر يعقوب نبي الله عليه السلام**» وعليه مصابيح علقت بحبل مدى من السقف.

وصفه في زيارة ابن فضل الله العمري

بناء المشهد محكم وفي حائطه حجارة هائلة منها ما طوله ٢٧ شبرا. وفي قبلته باب ينزل منه بدرج كثيرة الى سرداب ضيق تحت الأرض يأخذ متشاملا الى فجوة فيها ثلاث نصائب قبور في حائطه يقال انها قبور الخليل وزوجته واسحاق. ويقال انها تنتهي الى مغارة تحت أرض الحرم فيها الموتى. وتلك أمثال القبور من فوق. ولقد اتيت الى هذا السرداب ومشيت فيه زحفا لضيقه ولتطأطؤ سقفه لا يقدر أحد على المشي به منتصبا. وهو خطوات يسيرة تنتهي الى الفجوة المذكورة ٤×٤ أذرع وهيئة المزور في قبلة المسجد الان: قبران – الأيمن قبر اسحاق والايسر قبر زوجته. وفي شماله مما هو منفصل عن المسجد بقبتين متقابلتين قبران – الأيمن قبر ابراهيم والأيسر قبر زوجته سارة ومن شمالي الحرم قبة منفردة مسامته لقبة الخليل وفيها قبر يقال انه قبر يعقوب .. ولاشك ولا ريب ان ابراهيم ومن ذكر مدفون داخل السور. وأما تعيين القبر فالله أعلم .. وراء الحرم قبر ينسب الى يوسف.

وهذا الحرم مؤزر جداره بالرخام الملون المذهب. وعليه اوقاف جليلة ويمد كل يوم بعد العصر سماط ويفرق من الخبز على الواردين يحسبهم على قدر كفايتهم.

ولقد زرت الخليل في ذي الحجة سنة ٧٤٥–١٧٤٤م وكان يفرق يوميا ١٣ الف رغيف ويفرق مع الخبز طعام العدس بالزيت الطيب والسماق. وفي بكرة النهار يطبخ قدر من الدشيش ويفرق على الواردين. وفي بعض أيام الاسبوع يطبخ ما هو أفخر من ذلك.

وله خدم برسم غربلة القمح وطحنه وعجنه وخبزه – لا يبطلون ليلا ولا نهارا، واهراء القمح والطاحون والفرن نافذ بعض ذلك الى بعض – بحيث ان القمح يفرغ في الاهراء ويخرج خبزا مخبوزا. ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام – لا ينقطع له مدد ولا يحصر بضبط ولا عدد .. وهذا السماط معروف يشمل المأمور والامير والغني والفقير.

رحلة ابن بطوطة – ٧٢٥هـ

وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق، يفضي الى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها. وكان هنالك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات.

وكان سماط الخليل يعمل فيه يوم الجمعة الارز المفلفل والحب رمان والعدس في كل يوم. وفي الاعياد تعمل الاطعمة الفاخرة، وذلك منذ أيام جقمق العلائي.

وصفه الظاهري في كتابه زبدة كشف الممالك سنة ٨٧٣هـ.

– .. وبها المسجد الذي به مقام ابراهيم الخليل وسرداب هو مدفون فيه، ويوقد فيه قنديل ليلا ونهارا. وعن يمين الشباك قبره الشريف وعليه ستر من الحرير: وتجاه ذلك زوجته سارة، وهناك مقصورتان باحدهما يعقوب. وبظاهره مكان بشباكين باحدهما اسحاق وبالآخر زوجته، وبآخر المكان من الجهة الغربية قبر يوسف عليه السلام.

وصفه مجير الدين العليمي في كتابه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل

وبجوار مسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي تعمل

الحرم الابراهيمي الشريف

فيه الجشيشة (الدشيشة المؤلفة من القمح المسلوق) للمجاورين والواردين. وعلى باب المطبخ تدق الطبلخاناة في كل يوم بعد العصر عند تفرقة السماط الكريم. وهذا السماط يأكل منه أهل البلد والواردون، وهو خبز يعمل كل يوم ويفرق في ثلاثة أوقات – بكرة النهار وبعد الظهر لاهل المدينة – وبعد العصر تفرقة عامة لاهل البلد والواردين. ومقدار ما يعمل من الخبز في كل يوم أربعة عشر الف رغيف ويبلغ الى خمسة عشر الف رغيف في بعض الاوقات. وأما سعة وقفه فلا تكاد تنضبط. ولا يمنع من سماطه الكريم احد – لا من الاغنياء ولا من الفقراء.

وعلى باب السماط – المسجد الذي تدق عنده الطبلخاناة – في المكان الذي يصنع فيه السماط من الافران والطواحين. وهو مكان متسع يشتمل على ثلاثة افران وستة احجار للطحن. ويعلو هذا المكان الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير.. ودوى هذا المكان، علوا وسفلا، من العجائب فانه يدخل اليه بالقمح فلا يخرج منه الا وقد صار خبزا.

في زيارة الراهب فيلكس فابري سنة ١٤٨٠م

وشاهدنا في الخليل نزلها الكثير الغرف. ورأينا المطبخ والفرن. وكانوا يعدون طعاما كثيرا للحجاج المسلمين، الذين يأتون جماعات كبيرة لزيارة قبور الأنبياء. ولهذا النزل واردات سنوية قيمتها **٣٢** الفا من الدوكات ويخبز فيه كل يوم الف ومائتان من الارغفة توزع كلها على من يطلب. ولا يمنع أي حاج من هذا الاحسان – مهما كان دينه او جنسه. وكان من يطلب طعاما يقدم اليه رغيف خبز وشيء من الزيت وبعض الحساء. وقد اقطعت اراضي قلعة **النبي صمويل** على هذا المنزل، وتبلغ وارداته منها الفي دوكة في العام. ويهب اتقياء المسلمين اموالا كثيرة لتنفق في سبيل سد كفاية الزوار. وحينما يحين موعد توزيع الخبز يضرب الطبل للفت النظر، وقد أرسل القائمون على المضافة سلة من الخبز الى الخان الذي تقيم فيه، مع أننا لم نطلب منهم شيئا.

زيارة أميرين انجليزيين

سمح السلطان العثماني في سنة ١٨٨٢م للاميرين **جورج** ولي عهد بريطانيا والذي توج فيما بعد ملكا على بريطانيا باسم جورج الخامس واخيه **الامير البرت فكتور** – ابني الملكة فكتوريا. وكان يرافقهما المهندسان اللذان سبق لهما ان حفرا في منطقة الحرم القدسي وبحثا عن صحة ما ورد في التوراة بشأن موقع الهيكل – وهما **كوندر وشارل ولسون**.

ولقد اغتنما هذه الفرصة فقاما بقياس جدران الحرم الخارجية فكانت ٩٧×١١١ قدماً وسمكها ٨٫٥ أقدام – وكانت ابعاد الحرم الابراهيمي ٦٥×٣٥ متراً ويحيط به سور قد يبلغ عرضه وسمكه مترين ونصف المتر.

زيارة السائح الالماني بديكر

الذي ذكر في طبعة دليله الصادرة في سنة ١٩١٢م «**لا يسمح لغير المسلمين بدخول الحرم الابراهيمي الا لنفر قليل من الاوروبيين. وكان يسمح لليهود وغيرهم من الاجانب بالصعود الى الدرجة السابعة، وعند الدرجة الخامسة كان هناك ثقب يعتقد اليهود انه يمتد الى داخل الحرم الى ان يتصل بالقبور. وفي كل جمعة كانوا يصلون الى هذه الدرجات ليبكوا وينوحوا كما يفعلون وراء مبكى القدس**».

وهو يذكر ان طول الحرم ٦٥ مترا من الشمال الى الجنوب وعرضه من الشرق الى الغرب ٣٥ مترا وتدعمه ٢٨ سارية ارتفاع الواحدة منها ثمانية امتار. وله مئذنتان احداهما في الزاوية الشمالية الغربية والثانية في الجنوبية الشرقية.

وفي عهد الانتداب اخذت الضرورات السياحية تحتم ازالة الأبنية البالية في الغرب من الحرم وحل محلها ساحة تقف فيها السيارات وفي **العهد الاردني** بنيت في هذه الساحة الاستراحة السياحية.

وبعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧م حفرت سلطات الاغتصاب هذه الساحة آملة ان تجد مداخل او سراديب توصل الى المغارة التي فيها الأضرحة، ولكن عبثا حاولوا، وقد وضعوا حارسا على المدخل الشمالي الغربي الذي يدخل منه المصلون اليهود في ساعات معينة من النهار وفي اوقات اعيادهم. وكلما كثر عددهم في الخليل وما جاورها كلما طالبوا بتمديد ساعات عباداتهم. وكأنهم أصبحوا شركاء فيه. وطمعهم لا حد له – الى ان وضعوا حدا فاصلا بين النصيب الذي اغتصبوه بالقوة وبين ما تبقى للمسلمين.

رحيل

قصة قصيرة

مجيد طوبيا

جاءني الرنين ..

جاءني جوابه:

– يا ألف أهلا والف سهلا ..

همس:

– أهلا بك ..

صدمتني الاحزان المرتعشة مع رنين صوته .. تواجعت أنامله لكن زوجتي خرجت من غرفة النوم .. أرتبك واعتذر عن ايقاظها .. كررت ترحيبها وسارت نحو باب المطبخ:

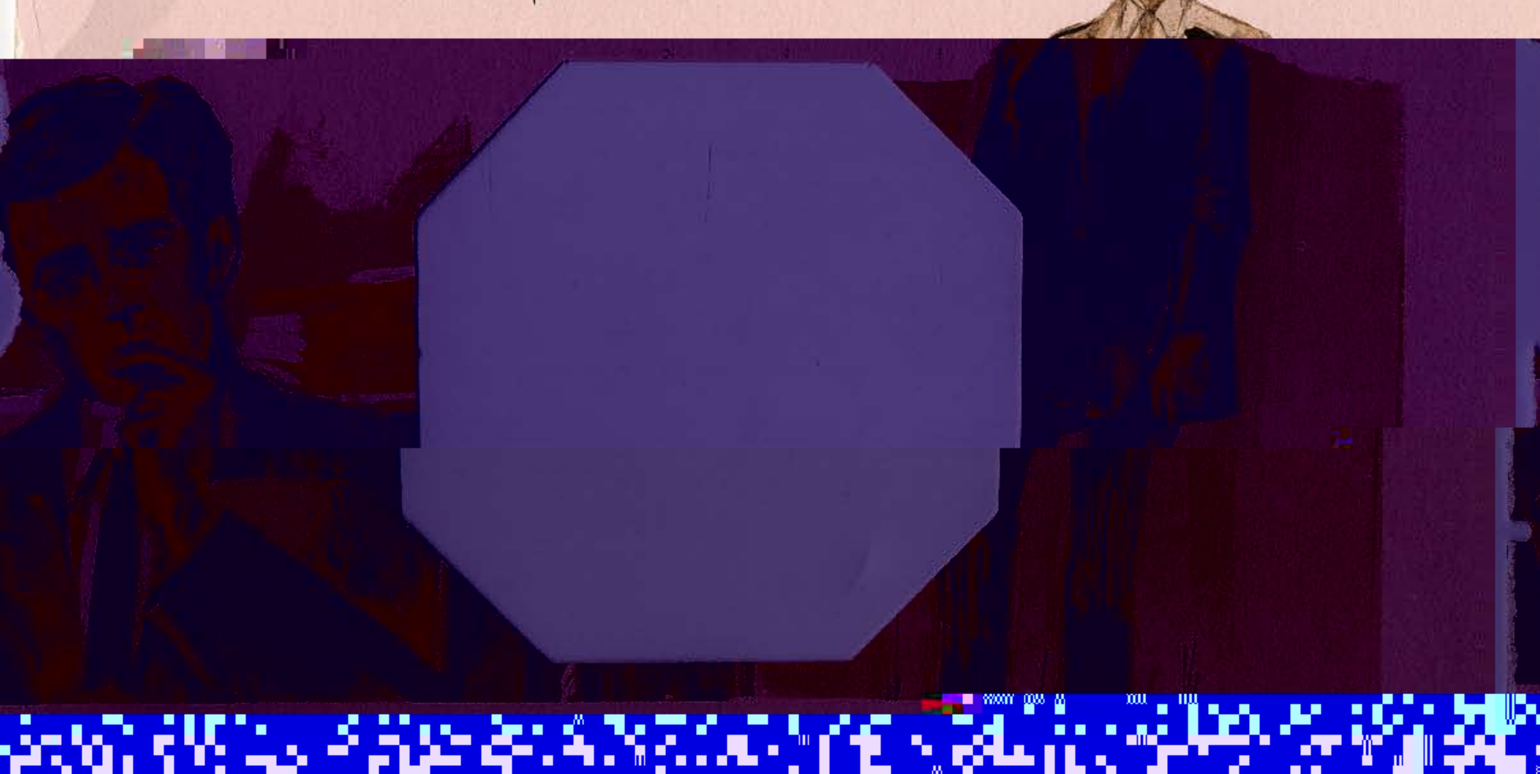
– سأعد لك العشاء .. لابد أنك جائع ..

قال:

زجاج النافذة .. استدار ونظر طويلا الى صورة الكبش الابيض القافز الى الهواء من فوق الصخرة الكبيرة – وكان هو الذي علقها – ثم مال ونظر تحت السرير وسحب الشبشب الجلدي، نفض التراب من فوقه وجلس يخلع حذائيه .. ولما صاحت زوجتي من الصالة بان العشاء قد أعد قال:

– ليست لي رغبة.

فجاءت وغيرت له ملاءة السرير وظلت تلح عليه بالأكل فكرر كلامه بعدم رغبته .. أسمعته بعض عبارات الترحيب واستأذنت لتنام وبقيت انا معه.



– لقد تزوجت وسمنت وصار شكلها بشعا. انقذك منها ذلك الذي تزوجها ..

ظل عازفا عن الكلام. بعد صمت سألته:

– هل احضر لك الترانزستور؟؟ في المذياع تمثيلية هزلية ..

رفض ذلك. قلت:

– أراك حزينا؟؟!

– ... .

– ماذا تقول؟؟

همس:

– أقول شكرا.

– أهي مشكلة عاطفية اذن؟؟

لم ينطق. ملت نحوه:

– لا شيءٌ يستحق الالم في هذا العالم .. ان كان حزنك من اجل فتاة غادرة فالجميلات كثيرات والف فتاة تتمناك وتسعد بك ..



– أرجوك دعني بمفردي ..

– ألا تريد ان تتكلم؟!

– ... .

– أرجوك تكلم ..

– ... .

– الا تريد ان تقول شيئا؟!

أبتلت عيناه . الحقت:

– اليس لديك ما تقوله؟!

– تعب أنا. اتركني وحيدا ..

– قل .. الكلام يريحك ..

نفذ الصبر في صوته:

– اعمل معروفا ..

فتركته يستريح وقلت الصباح رباح .. وقبل ان اطفيء النور شاهدته يتأمل صورة الكبش الابيض المنساب في قفزته الى فراغ الصورة، ثم القى بكفيه فوق صدره وحملق في سقف الغرفة ..

* * *

استلقيت مهموما مكدودا .. ارادت زوجتي ان تحادثني عن مشاكلها مع تلاميذها ومع ناظر المدرسة، فلم ارد عليها .. سكتت حينا ثم شكت لي من الباعة ومن الاسعار وقالت ان كل شيء مقرفا، فلزمت الصمت .. سكتت وقتا آخر ثم تنهدت ويبدو انها قالت بأن الانسان عجيب حقا صعد الى الفضاء ولم يهزم الامراض، لم اجبها وابتعدت عنها فكفت عن الكلام .. وعدت افكر في عزوف اخي عن الحديث وعن الطعام، وتذكرت امي وهي تهتف حانقة «الولد الشيطان!! غافلني مرة اخرى وذهب يلعب عند الفجر!!» .. ثم وهي تطلب مني ان احضره لها. فتوجهت جنوبا ووجدته عند المعبد القديم منكوش الشعر يتقافز مع الماعز ويحاورها بين الكلاء ومن حوله اصنام الفراعنة المتهدمة ..

انتهى الضحك في مذياع الجيران .. وبعد موجز الاخبار ساد الصمت .. فبدأت اسمع صوت انفاسي المضطربة .. زوجتي سألتني:

– ايجافيك النوم؟؟

تنهدت ولم انطق. قالت:

– جربت من قبل وسيلة ناجعة للنوم .. حاولها الآن ..

* * *

وعند الصباح توجهت اليه .. فتحت بابه في هدوء، فوجدته في نفس رقدته، محملقا في سقف الغرفة بكفيه فوق صدره! .. ارتعت: كانت عيناه محمرتين ووجهه شديد الصفرة وتنفسه طويلا بطيئا، والغطاء لم يمس جسده!! .. سألته:

– ألم تنم؟؟

– ... .

توسلت اليه ان يحادثني:

– ماذا فعلوا بك؟! الا تتكلم؟!

ظل ساكنا.

– الا تقول شيئا؟!

رمشت عيناه

– تكلم أرجوك ..

فطلب مني كوب ماء. أندهشت: على الريق؟! .. فكرر رجاءه واحضرته له .. وتحامل في نصف جلسة وازدرد بلعة واحدة، استلقى بعدها .. وسألته ان كان يذكر ضاربة الودع؟؟ فاتجهت عيناه نحوي لكنه لم يكن ينظر الي، قلت محاولا الابتسام ..

– ضاربة الودع الغجرية التي قرأت لك طالعك ثم اعطتك الحجاب؟!

تحركت شفتاه، لكني لم اسمع همسة واحدة .. فتهدج صوتي وهتفت:

– ماذا فعلوا بك؟! ماذا فعلوا بك؟!

وعندما أغمض عينيه عادني صوت امي تصيح متبرمة: «لا فائدة في هذا الولد .. غافلني كعادته وذهب يلعب عند الفجر!!» .. امتلأت عيناي بالدموع ورأيت الكبش الابيض يسبح بعيدا عن الصخرة السوداء، وشعره المتهدل يتموج منسابا اسفل ذقنه وبطنه وبياضه يروح ويشحب بطيئا ليذوب في بياض الفراغ الناصع.

ثلاث رؤى معكوسة

للأديب الفرنسي :
آلان روب جرييه
ترجمة :
د. نادية كامل

الرؤية الأولى: دمية المانيكان

إناء القهوة على المنضدة:

وهي منضدة مستديرة ذات أربع سيقان، يكسوها غطاء من المشمع به مربعات حمراء ورمادية على خلفية بلون محايد، أبيض يشوبه إصفرار ربما كان فيما مضى أبيض – أو بلون العاج. في وسط المنضدة قطعة مربعة من الخزف تقوم مقام ما يوضع تحت الأطباق الساخنة، حجبت رسومها تماما، أو على الأقل أصبحت غير واضحة بسبب إناء القهوة الذي وضع فوقها.

إناء القهوة من الخزف البني. يتكون من كرة تعلوها مصفاة إسطوانية بها غطاء على هيئة نبات عش الغراب. يتعرج عنق الإناء في تموجات خفيفة بصورة حلزونية وينبعج قليلا عند قاعدته. يد الإناء، لها، لواردنا التشبيه، شكل إذن، ولو أردنا الدقة فلها الشكل الخارجي للأذن، ولكنها أذن شائهة فهي شديدة الاستدارة، وبلا شحمة لأنها تشكل «يد إناء». عنق الإناء ويده وغطاؤه الذي على هيئة عش الغراب بلون سكري أما بقية الإناء فهي بلون بني فاتح لامع لا تشوبه شائبة لون آخر.

ما من شيء آخر على المنضدة سوى غطاء المشمع وما يوضع تحت الأطباق الساخنة وإناء القهوة.

على اليمين، أمام النافذة تظهر دمية المانيكان.

خلف المنضدة، أعلى الموقد توجد مرآة مستطيلة رحبة كبيرة تنعكس عليها نصف النافذة (النصف الأيمن) وعلى اليسار (أي على الجانب الأيمن للنافذة) تنعكس صورة الدولاب ذو المرآة. على مرآة الدولاب تنعكس النافذة مرة ثانية كاملة هذه المرة وفي وضعها الصحيح (**أي الضلفة اليمنى على اليمين واليسرى على اليسار**).

ومن ثم توجد فوق الموقد ثلاثة أنصاف لنافذة تتتابع هذه الأنصاف دون انقطاع وهي على التوالي: (**من اليسار الى اليمين**) نصف أيسر في وضعه الصحيح، نصف أيمن في وضعه الصحيح ونصف أيمن في وضع مقلوب. ولما كان الدولاب في ركن الحجرة تماما ويمتد حتى حافة النافذة فإن نصفيها الأيمنين لا يفصلها سوى حافة الدولاب الضيقة، التي تبدو وكأنها القائم الخشبي للنافذة (**الحافة اليمنى للضلفة اليسرى متصلة بالحافة اليسرى للضلفة اليمنى**) من خلال الضلف الثلاث ومن أعلى الستارة تبدو أشجار الحديقة التي لا أوراق لها.

تحتل النافذة، على هذا النحو سطح المرآة كلها فيما عدا الجزء العلوي منها حيث تنعكس مساحة من السقف وأعلى الدولاب ذي المرآة.

وتبدو ايضا في المرآة، بأعلى المدفأة دميتان للمانيكان احداهما امام الضلفة الأولى للنافذة وهي أضيق الضلف على أقصى اليسار، والأخرى أمام الضلفة الثالثة (وهي اكثر الضلف اتجاها لليمين) ولا تواجه كل من الدميتين الأخرى، فيظهر من الدمية اليمنى ردفها الأيمن، بينما يظهر من الدمية اليسرى – وهي أصغر من الأخرى بقليل – ردفها الأيسر ولكن من الصعب للوهلة الأولى ان نتبين ذلك على وجهه الصحيح اذ ان صورتيهما في المرآة في اتجاه واحد حتى يلوح انهما تبينان عن ردف واحد – لعله الردف الأيسر.

تقف دمى المانيكان الثلاثة في صف واحد، الوسطى على جانب المرآة واليمنى قامتها تتوسط قامتي الآخرين، وتتجه ذات اتجاه إناء القهوة الموضوع على المنضدة.

يلمع انعكاس مشوه للنافذة على الجزء المنبعج من إناء القهوة شكل مربع الأضلاع. تبدو أضلاعه وكأنها أقواس دائرة. يتسع الخط الذي تشكله القائمة الخشبية للنافذة فجأة متجها الى اسفل حتى يصبح بقعة غير محددة لعلها أيضا ظل دمية المانيكان.

الحجرة باهرة الضوء اذ ان النافذة رحبة بشكل غير عادي، وان لم يكن لها سوى ضلفتين.

تفوح من إناء القهوة على المنضدة رائحة طيبة تنبعث من القهوة الساخنة. دمية المانيكان ليست في موضعها: فهي توضع عادة عند ركن النافذة في مواجهة الدولاب ذي المرآة. وقد وضع الدولاب هناك كي يسهل عملية بروفات الملابس.

الرسم على قطعة الخزف التي تقوم مقام ما يوضع تحت الأطباق الساخنة يصور بومة لها عينان مخيفتان قليلا. لكن في هذه اللحظة لا نتبين شيئاً من الرسم بسبب إناء القهوة.

الرؤية الثانية: البديـــل

تراجع الطالب قليلا ثم رفع رأسه في اتجاه الاغصان الخفيضة. ثم تقدم خطوة حتى يمسك بغصن كان يبدو في متناول يده، شب على أطراف أصابعه ومد يده الى أعلى ما يستطيع لكنه لم ينجح في الإمساك بالغصن. وبعد عدة محاولات فاشلة بدا أنه تخلى عن الفكرة. أنزل ذراعه وظل ينظر بإمعان الى شيء ما وسط أوراق الشجرة.

ثم عاد الى جذع الشجرة ووقف في ذات الموقع: ركبتاه مثنيتان قليلا وصدره محني على اليمين ورأسه مائلاً على كتفه. كان لا يزال ممسكاً بحقيبة كتبه في يده اليسرى. لم يكن المرء يرى يده الأخرى التي كان يستند بها ولاشك على جذع الشجرة، ولا وجهه الذي كان يكاد يلتصق بلحائها كما لو كان يتأمل عن قرب شديد جزئية صغيرة على ارتفاع متر ونصف تقريباً من الأرض.

كان الولد قد توقف ثانية في قراءته، لكن لابد انه كانت هناك نقطة هذه المرة، وربما بداية فقرة جديدة نهض الطالب كي يتفحص لحاء الشجرة. ارتفعت همهمته في الفصل. أدار المدرس رأسه ولاحظ ان معظم التلاميذ قد رفعوا عيونهم عن الكتاب بدلاً من متابعة القراءة، كما كان القارئ نفسه يتطلع الى المنضدة بنظرة شبه متسائلة أو خائفة. قال المدرس بلهجة صارمة:

«ماذا تنتظر كي تكمل القراءة؟»

انكبت الوجوه في صمت واستمر الولد في قراءته، بذات الصوت المتأني دون أدنى تلوين وببطء شديد مما كان يعطي للكلمات كلها ذات القيمة ويجعل بينها لحظات توقف مماثلة.

«وفي المساء، ذهب جوزيف دي هاجن أحد ضباط فيليب، الى قصر كبير الأساقفة كما لو كان يذهب لزيارة مجاملة. وكما سبق أن قلنا فإن الآخوين ..»

من الجانب الآخر للشارع كان الطالب يتفحص الأوراق الخفيضة من جديد. خبط المدرس براحة يده على المكتب.

«كما قلنا، فصلة، ثم فإن الأخوين ....»

رجع للفقرة في كتابه وأخذ يقرأ وهو يغالي في إبراز علامات الترقيم.

«من جديد وكما سبق أن قلنا فان الأخوين كانا هناك بالفعل حتى يتمكنا، اذا لزم الأمر من التذرع بحجة وجودهما هناك..»

ركز اهتمامك على ما تقرأ.

وبعد صمت عاد الولد لقراءة عبارته من جديد.

«كما سبق ان قلنا، فان الاخوين كانا هناك بالفعل حتى يتمكنا اذا لزم الأمر من التذرع بحجة وجودهما هناك – وهي حجة مشكوك فيها في واقع الأمر، ولكنها أفضل ما توصلا اليه في وضعها هذا – دون أن يكون لابن عمها الذي يشك في أمرهما ..»

توقف الصوت الرتيب فجأة في منتصف الجملة. أما باقي التلاميذ فقد بدأوا يرفعون الرؤوس نحو الدمية الورقية المعلقة على الحائط. ثم لم يلبثوا ان دسوا رؤوسهم بين صفحات كتبهم. رد المدرس نظره عن النافذة وثبته على القارئ الذي يجلس في مواجهته بالصف الأول الى جوار الباب.

«هيا، استمرا لا توجد نقطة، يبدو انك لا تفهم شيئا مما تقرأ.

نظر الولد الى المدرس ثم تجاوزه يمنة الى الدمية الورقية.

– **«هل تفهم، نعم أم لا؟»**

أجاب الولد بصوت غير واثق:

– **نعم.**

صحح له المدرس:

– **نعم، ياسيدي.**

أجاب الولد:

– **نعم، ياسيدي.**

نظر المدرس الى النص في كتابه وسأل:

– **ماذا تعني بالنسبة لك عبارة حجة وجودهما هناك؟**

نظر الولد الى الدمية الورقية ثم الى الحائط العاري أمامه ثم الى الكتاب الموضوع على درجه، ثم عاد ينظر الى الحائط مدة دقيقة تقريبا:

وبعد؟

قال الولد:

– **لا أعرف، ياسيدي.**

استعرض المدرس الفصل كله ببطء. رفع يده تلميذ بجوار النافذة بأقصى الفصل. أشار اليه المدرس بإصبعه، نهض الولد من مقعده:

حتى يظن انهما كانا هناك ياسيدي.

– **حدد. عمن تتكلم؟**

– **عن الأخوين، ياسيدي.**

– **اين كانا يريدان ان يظنهما الناس؟**

– **في المدينة، ياسيدي، عند كبير الأساقفة.**

– **واين كانا في واقع الأمر؟**

فكر الولد لحظة قبل أن يرد:

«**كانا هناك فعلا ياسيدي، ولكنهما كانا يريدان أن يذهبا الى مكان آخر، ويجعلا الآخرين يظنون انهما لا يزالان هناك.**»

في وقت متأخر من الليل وبعد ان اخفيا وجهيهما تحت قناعين سوداوين والتفا بعباءتين واسعتين تسلل الأخوان وهبطا على سلم من الحبال الى شارع ضيق مهجور.

هز المدرس رأسه عدة مرات كما لوكان يوافق على ذلك بتحفظ. ثم بعد بضع ثوان، قال: «**حسنا**» **والآن ستلخص لنا الفقرة كلها، من أجل زملائك الذين لم يفهموها**».

نظر الولد الى النافذة ثم ركز نظره على كتابه ولم يلبث ان رفع بصره الى المنصة.

– «**من أين أبدأ، ياسيدي؟**»

– **ابدأ من بداية الفصل.**

دون ان يجلس، قلب الولد صفحات كتابه ثم بعد فترة وجيزة من الصمت أخذ يروي حكاية مكيدة فيليب دي كوبور، على الرغم من كثرة تردده وإعادته لذات الكلمات كانت روايته شبه منطقية ولكنه كان يولي اهتماماً كبيراً لأحداث ثانوية وكان على العكس يذكر بإيجاز او لا يذكر قط أحداثا من الأهمية بمكان – وفضلا عن ذلك كان يؤثر الأحداث باهتمامه ولا يعني كثيرا بدوافعها السياسية مما جعل المستمع غير الملم بالموضوع لا يستطيع ان يستخلص في خضم الأحداث المتداخلة دوافع القصة ولا الروابط التي تجمع بين الوقائع التي سردها والشخصيات المختلفة. انتقلت نظرة المدرس على نحو غير محسوس على طول النوافذ. كان الطالب قد عاد متسللا تحت الأغصان الخفيضة. قد وضع حقيبته تحت الشجرة وأخذ يتواثب في ذات المكان رافعا ذراعه ولما تبين ان جهوده كلها راحت بلا طائل بقي ساكنا مدة قصيرة يتأمل الأوراق التي لا تنال. كان فيليب دي كوبور يعسكر مع جنوده المرتزقة على ضفاف نهر نيكار، وكان التلاميذ الذين لم يعد مطلوب منهم متابعة قراءة النص المطبوع، كانوا قد رفعوا جميعا رؤوسهم وأخذوا يتأملون في صمت الدمية الورقية المعلقة على الحائط. لم يكن لها يدان ولا قدمان بل كان لها أطراف اربعة مقطوعة دون عناية ورأس كروية شديدة الضخامة، يمر منها خيط على ارتفاع عشرة سنتيمترات، وفي الطرف الآخر من الخيط كرة من ورق النشاف المضموغ تمسك به.

لكن الراوي ضل سبيله وسط التفصيلات التافهة حتى اضطر المدرس ان يقاطعه قائلاً:

«**حسنا، عرفنا ما فيه الكفاية. اجلس واستأنف القراءة من أعلى الصفحة: لكن فيليب ومؤيديه ..**

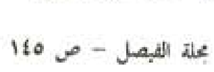
انكب الفصل كله، في حركة واحدة على أدراج.

أخذ التلميذ يقرأ، بصوت خال من التعبير مثله مثل زميله وان كان يتوقف بأمانة عند كل الفصلات والنقط:

«**ولكن فيليب مؤيديه لم يفهموا الأمر على هذا النحو**».

فإذا كانت أغلبية أعضاء «**الديت**» – بل وحتى حزب البارونات – قد تنازلوا عن الامتيازات الممنوحة لهم وله أيضا مكافأة على التأييد الثمين الذي قدموه لقضية كبير الأساقفة عند نشوب الثورة فإنه لن يكون بوسعهم ولا بوسعه المطالبة في المستقبل بتوجيه اتهام الى أي شخص مشتبه فيه أو بكف حقوق النبالة عن أحد دون محاكمة. كان من المحتم إيقاف هذه المفاوضات التي بدت لفيليب أنها في غير صالح قضيته. وذلك قبل التاريخ الذي يكشف عن الأمر كله. وفي المساء ذهب جوزيف دي هاجن احد ضباط فيليب الى قصر كبير الأساقفة كما لوكان في زيارة مجاملة. وكما سبق ان قلنا فان الاخوين كانا هناك بالفعل ..»

ظلت الوجوه محنية بأدب فوق الأدراج. أدار المدرس نظره



الى النافذة. كان الطالب متكئاً على الشجرة غارقا في تفحصه للحاء الشجرة. انحنى ببطء شديد كما لوكان يتتبع خطا محفورا على جذع الشجرة. في الناحية التي لم تكن مرئية من نوافذ المدرسة. على ارتفاع متر ونصف تقريبا توقف وأومأ برأسه الى ناحية في ذات الوضع الذي كان عليه من قبل. ارتفعت الوجوه الواحد تلو الآخر.

نظر الأولاد الى المدرس، ثم الى النوافذ. لكن المربعات السفلية لم تكن مصقولة ولم يكن باستطاعتهم ان يروا من اعلى سوى قمم الاشجار والسماء. لم يكن على زجاج النوافذ ذبابة او فراشة. وسرعان ما راحت كل الانظار تتأمل الدمية الورقية البيضاء من جديد.

الرؤية الثالثة: الاتجاه الخاطئ

تجمعت مياه المطر في تجويف أحد المنخفضات الضحلة مكونة بركة واسعة وسط الأشجار، دائرية الى حدما ويبلغ قطرها نحو عشرة أمتار. التربة من حولها سمراء، ليس فيها أثر لنبت بين الجذوع العالية المستقيمة. ولا يوجد في هذا الجزء من الغابة شجيرات أو أحراش. وإنما الأرض مغطاة بكساء موحد اللون والقوام يتألف من الأغصان الصغيرة والأوراق المعروقة ويظهر في بعض البقاع عشب نصف تالف وعلى السماء تبرز الفروع العالية بوضوح.

الماء شفاف على الرغم من لونه الداكن. تساقطت من الأشجار فضلات ذابلة – أغصان صغيرة، بذور خاوية، قطع لحاء – تجمع كل ذلك في قاع التجويف واستقر به طوال الشتاء. ولكن شيئاً من هذه الفضلات لا يطفو الى سطح الماء الساجي ليشق صفحته الملساء. وما من نسمة هواء تعكر سكون الماء.

صفا الجو. واقترب النهار من نهايته، انخفضت الشمس وغابت نحو اليسار وراء جذوع الأشجار. ورسمت أشعتها المائلة خطوطا رفيعة مضيئة تتعاقب على طول البركة مع خطوط أخرى داكنة واكثر اتساعا.

تصطف موازية لهذه الخطوط أشجار كبيرة على شاطئ الماء، في الضفة المقابلة، وهي أشجار اسطوانية الشكل مستقيمة جرداء من كل أغصان خفيضة وتمتد الى اعماق اللجة فتكون صورة شديدة اللمعان واكثر وضوحا من الأصل – الذي يبدو بالقياس الى الصورة غير واضح بل ومهتز باهت المعالم. تلمع الجذوع الاسطوانية على صفحة الماء الاسود وكأنها مغطاة بطبقة من الطلاء المصقول. ومن الغرب يفد شعاع من النور فيؤكد حدودها.

لكن هذا المنظر الطبيعي الخلاب ليس معكوسا فحسب بل ومقطعا ايضا. فأشعة الشمس التي تكسو المرآة كلها تقطع الصورة بخطوط باهتة على مسافات متعادلة وعمودية بالقياس الى جذوع الاشجار المنعكسة. يبدو المشهد وكأنه محتجب وراء غلالة من الضوء الباهر. وتظهر ذراع صغيرة لا حصر لها معلقة بأعلى طبقة من المياه. أما مناطق الظلال حيث لا تبين هذه الذرات للعين فتبدو باهرة اللمعان. كل جذع يبدو مقطعا على مسافات شبه متساوية بسلسلة من الحلقات غير الواضحة تماما **(والتي تذكرنا مع ذلك بالأصل)** فتعطي هذه البقعة من الغابة **«التي تغوص في الأعناق»** شكلا مربعا.

وفي متناول اليد، بالقرب من الضفة الجنوبية تتصل الأغصان المعكوسة بأوراق قديمة طافية، محمرة اللون وان كانت لا تزال متماسكة الشكل، تتضح حوافها المشرشرة فتظهر على قاع الوحل – وهذه أوراق شجر السنديان.

ثمة شخص يسير، دون ان يحدث على بساط العشب اي جلبة، يظهر في الناحية اليمنى ويتجه الى الماء. يتقدم حتى الشاطئ ثم يتوقف. ولما كانت الشمس تصفعه في عينيه مباشرة فانه يضطر الى الانحراف خطوة حتى يحمي بصره. يلحظ السطح المخطط للبركة. ولكن تختلط بالنسبة له انعكاسات الجذوع بظلالها – على الأقل جزئيا، اذ ان الاشجار التي تقع أمامه ليست مستقيمة الخطوط تماما. لا زال الضوء الباهر الذي يصفعه في عينيه يمنعه من ان يتبين الاشياء بوضوح وليس هناك، بدون شك أوراق سنديان تحت قدميه.

كانت هذه البقعة هي الهدف من نزهته. او ربما تبين في هذه اللحظة انه أخطأ طريقه؟ بعد ذلك جال ببصره بتردد فيما حوله. ثم اقفل راجعا نحو الشرق مخترقا الغابة، صامتاً، من ذات الطريق الذي سلكه عند مجيئه.

يخلو المشهد من جديد. ولا تزال الشمس الى اليسار على ذات الارتفاع، لم يتغير الضوء. تنعكس أمامه قمم الأشجار المستقيمة الملساء على سطح الماء الساكن، عمودية بالقياس الى اشعة المغيب.

وفي القاع خطوط ظلال. تلمع من جذوع الشجر صورة أعمدة معكوسة سوداء وكأنها مغسولة بإعجاز.



صلاح طاهر

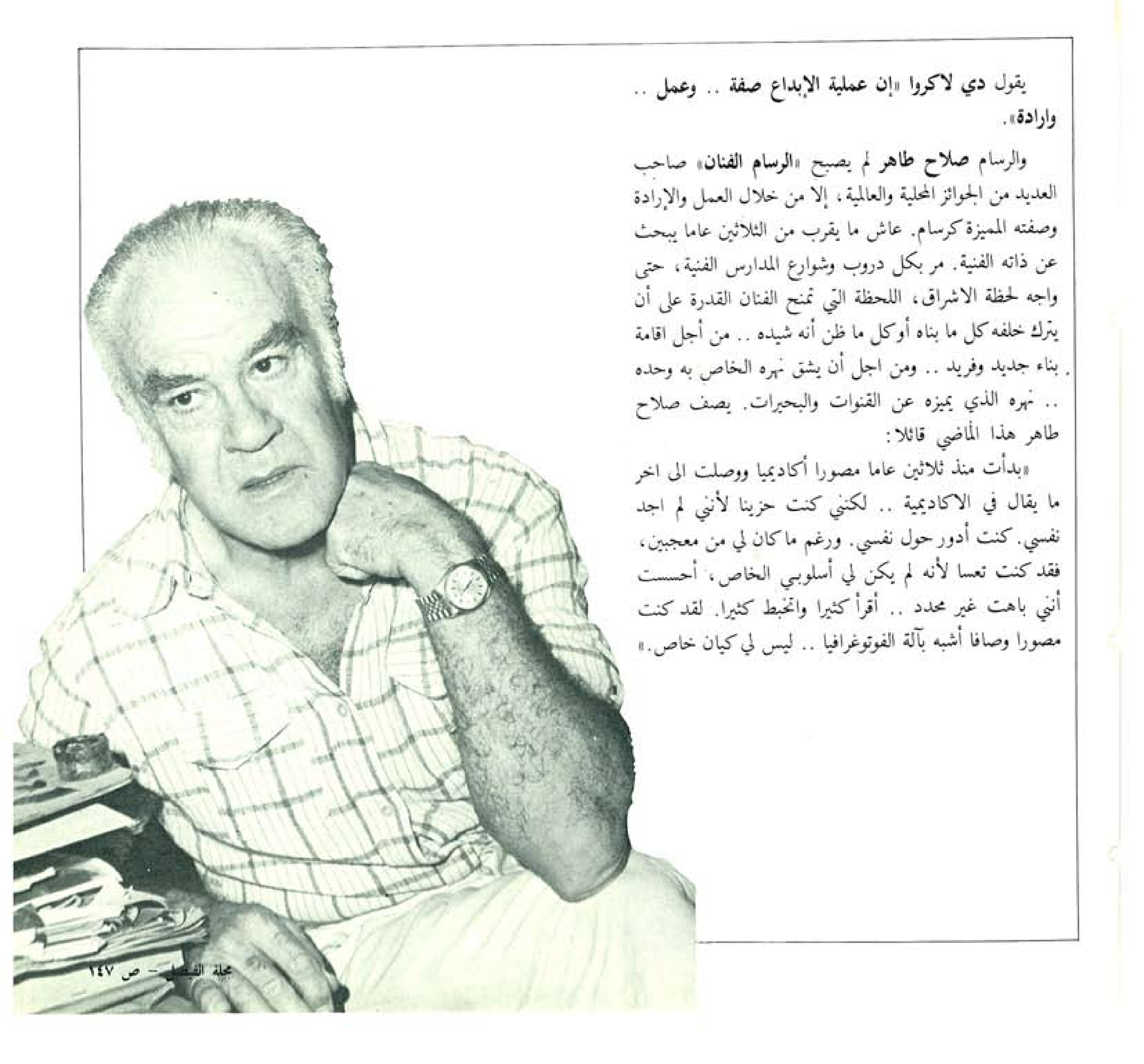
عازف النغم على الألوان

إعداد: محمود علي

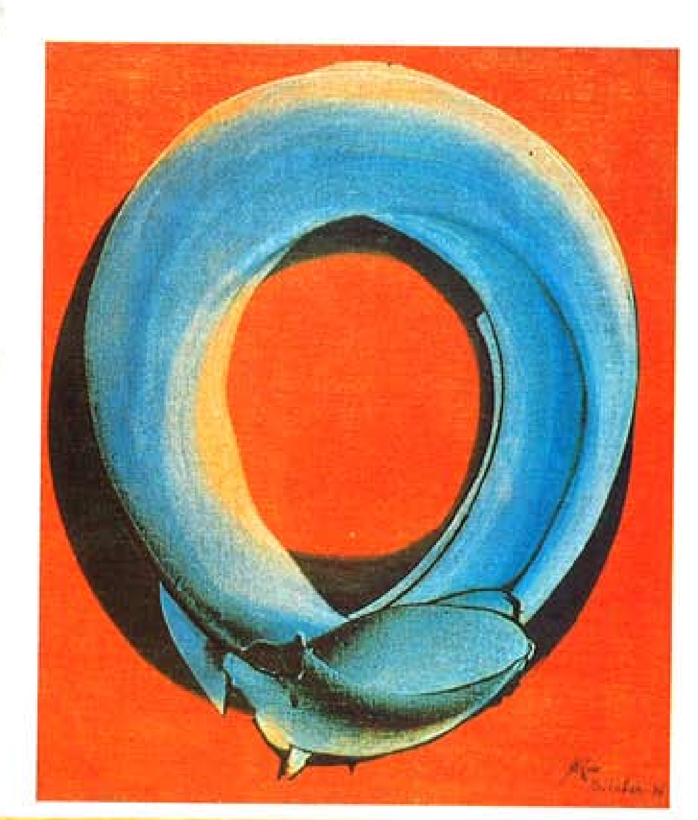
يقول **دي لاكروا «إن عملية الإبداع صفة .. وعمل .. وارادة»**.

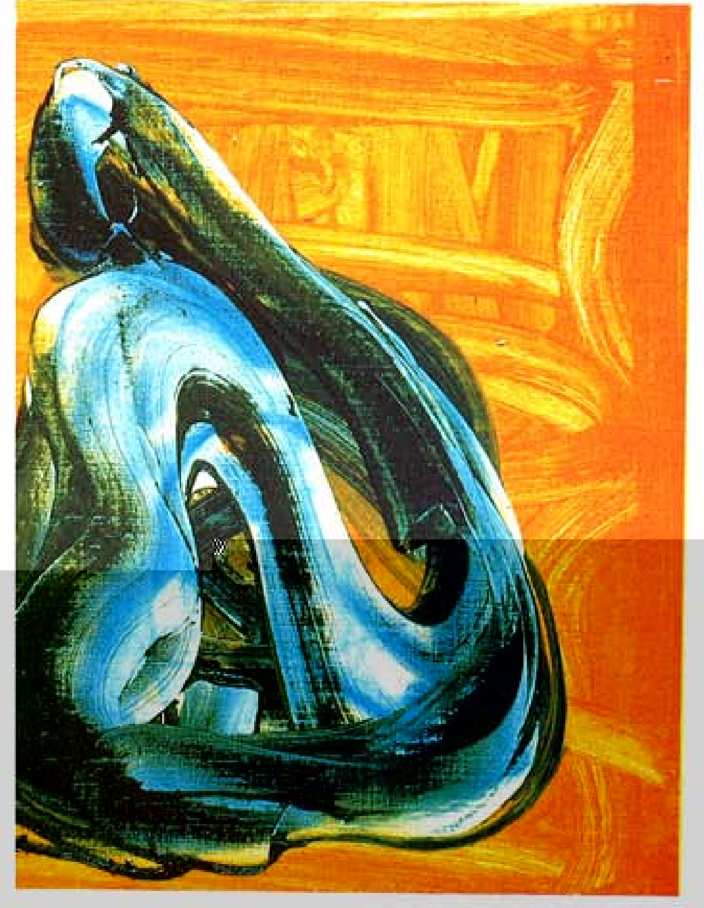
والرسام **صلاح طاهر** لم يصبح **«الرسام الفنان»** صاحب العديد من الجوائز المحلية والعالمية، إلا من خلال العمل والإرادة وصفته المميزة كرسام. عاش ما يقرب من الثلاثين عاما يبحث عن ذاته الفنية. مر بكل دروب وشوارع المدارس الفنية، حتى واجه لحظة الاشراق، اللحظة التي تمنح الفنان القدرة على أن يترك خلفه كل ما بناه أوكل ما ظن أنه شيده .. من أجل اقامة بناء جديد وفريد .. ومن اجل أن يشق نهره الخاص به وحده .. نهره الذي يميزه عن القنوات والبحيرات. يصف صلاح طاهر هذا الماضي قائلا:

«بدأت منذ ثلاثين عاما مصورا أكاديميا ووصلت الى اخر ما يقال في الاكاديمية .. لكنني كنت حزينا لأنني لم اجد نفسي. كنت أدور حول نفسي. ورغم ما كان لي من معجبين، فقد كنت تعسا لأنه لم يكن لي أسلوبي الخاص، أحسست أنني باهت غير محدد .. أقرأ كثيرا واتخبط كثيرا. لقد كنت مصورا وصافا أشبه بآلة الفوتوغرافيا .. ليس لي كيان خاص.»



فلنحاول الاقتراب من عالم صلاح طاهر لنعرف ماذا يعني بهذا الاعتراف ؟





كان في الثالثة والعشرين من عمره عندما أقام أول معرض يحمل اسمه. بالتحديد سنة ١٩٣٥ في مدينة «المنيا» بعد تخرجه بعام واحد من كلية الفنون الجميلة. وكان كتلميذ واقعا تحت أسر تعاليم أساتذته في الرسم وخاصة **احمد صبري** في احتفاظه بكل التقاليد التي تلقاها منهم، في المحافظة على اصول الرسم الاكاديمي. وهي الأصول التي ظل أسيرا لها سنوات وسنوات. لم تكن وظيفته تتعدى رسم مناظر الطبيعة والشخوص. كان دوره في الكثير منها كما قال هو دور «**المصور الفوتوغرافي**» مجرد ناقل للواقع. والحقيقة أنه يبالغ في وصفه هذا، ولو اتفقنا معه لظلمناه كثيرا. فليس في هذه البداية ما يعيب الفنان. كثيرون غيره قطعوا نفس المشوار. ألم يقع «**مايكل انجلو**» تحت تأثير «دوناتللو» ؟ ألم يمر الفنان «الجريكو» بمرحلة تقليد لاستاذه «تنتوريه» ؟ ومع هذا كله .. بل وبالرغم من هذا فإن صلاح طاهر في بداياته بدأ يشعر مع مرور الزمن بنوع من التحديد ازاء هذه «التركة» من الوروثات، وبدت في بعض لوحاته «**بذور**» جديدة من خلال تبسيطه للخطوط واختصار الالوان. بداية بسيطة .. لكنها كانت تشير الى بدايات عالم جديد، يتشكل في مخيلته، وعليه أن يشق طريقه اليه بمفرده، بكثير من المعاناة والارادة.

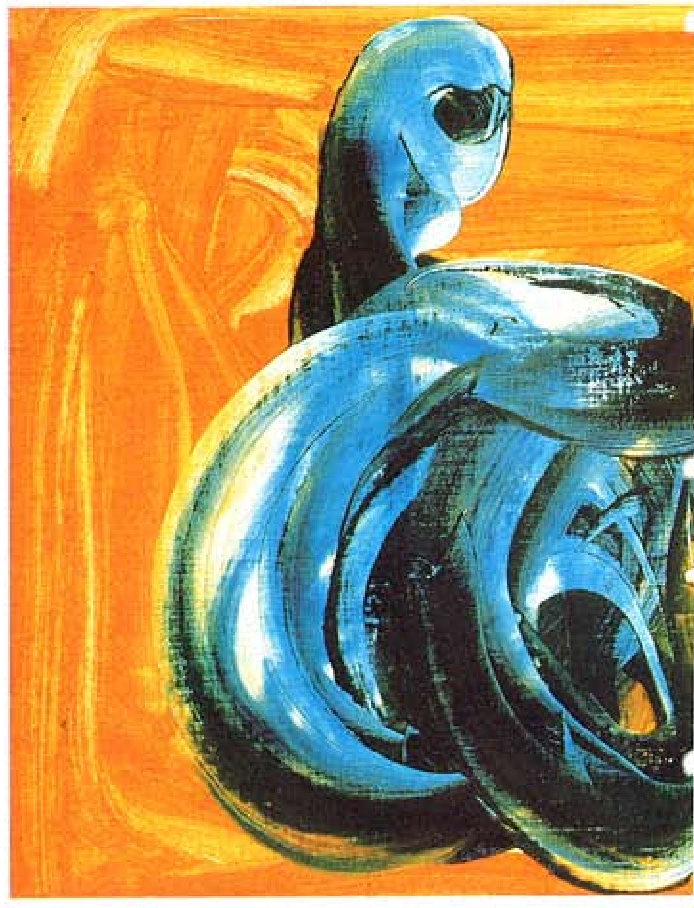
يقول صلاح طاهر وهو يسترجع بداياته، مضيفا تفسيرا آخر لاتجاهه الى رسم الأشخاص (**البورتريهات**) الى جانب تأثره بأساتذته :

** «أن قراءاتي كلها قبل اشتغالي بالفن كانت في الفلسفة وعلم النفس والسير الذاتية، وهي قراءات محورها الانسان، وهو ما يقابله في الرسم فن «**البورتريه**» ولهذا كان حرصي على تصويرها من الداخل أكثر من مظهرها الخارجي، وأستطيع الان أن أقول بصدق أن هذه اللوحات لا تدخل في إطار الفن كما أفهمه الان، وبعد ان تخطيت البداية بمراحل».

* لكن .. هل من الضروري أن يمر الفنان ببداية «الكلاسيكية» حتى يصل إلى «التجريد» مثلا ؟

** لا أستطيع أن اضع اجابة محددة. البعض يرى أن على الفنان أن يبدأ من بداية السلم الموسيقي حتى يصل الى السيمفونية الكاملة .. أي يبدأ بمعرفة الكلاسيكية علما وعملا، حتى يصل الى ما يريده. «**بيكاسو**» فعل هذا وآخرون. لكني لا اعتقد ان هذا المشوار ضروري بالنسبة للفنان، صحيح أن عليه





صلاح طاهر .. في سطور

* من مواليد ١٩١١ بالقاهرة.
* تخرج في كلية الفنون الجميلة.
* عمل أستاذا بكلية الفنون، ومديرا لمتحف الفن الحديث، ثم مديرا بوزارة الثقافة، وأستاذا محاضرا بجامعة القاهرة.
* يعمل حاليا مستشارا فنيا لجريدة الأهرام.
* أقام ٣٥ معرضا خاصا كما أشترك في المعارض العامة في مصر والخارج، مثل باريس ونيويورك وواشنطن وسان فرنسيسكو .. كان آخرها معرضه في لندن في فبراير ١٩٧٧.

جوائز حصل عليها—

* حصل على جائزة الدولة سنة ١٩٦٠.
* والجائزة الاولى لبينالي الاسكندرية سنة ١٩٦١
* وجائزة مؤسسة جوجنهايم (نيويورك) سنة ١٩٦١.
* وجائزة الدولة التقديرية ١٩٧٤.

معرفة الأصول، لكن ليس بالضرورة ان يعيشها ممارسة.

* ومع هذا فأنت ترسم (البورتريه) حتى الان .. دون تجريد، ولأن الكثيرين يرفضون هذا، ومازال مفهومهم هو المفهوم القديم للفن ؟

** قليلون هم الذين يوافقون على رسم ما أريد .. مثل **توفيق الحكم**.

* لا شك أن عنصر المتلقي وهو الجمهور يشغل اهتمامك باعتباره «مرآة» الفنان سلبا وايجابا. ما هو الفرق بين جمهور أول وآخر معرض لك ؟ هل تطور جمهورك مع تطورك الفني ؟

** **قانون الحياة هو التطور** .. وهو علاقة حياة. وليس على الانسان أن يشعر بهذا التطور بل ان يدركه ايضا ويتكيف معه والا أصبح يعيش عصرا غير عصره، **فما بالك بالفنان** ؟ أن

الحضارة تتكون من علم (**عقل بحت**) ومن (**وجدان**) والعلم وحده لا يكفي لبناء حضارة. لابد من الاثنين. هذا التكامل لابد من وجوده على المستوى الفردي **لأن الانسان عقل وروح**.
ومشكلة الفن في العالم كله وليس في منطقتنا العربية هو عنصر المتلقي او الجمهور. فكل منا عالم مستقل بذاته. وكل انسان يتلقى العمل الفني حسب خبرته وثقافته. وفي ميدان الفن، فان التطور يحدث بشكل رهيب .. اكثر مما يحدث في ميدان العلم، وعلى الجمهور أن يواكب هذا التطور. ومع ذلك لا يحدث هذا .. فالجمهور لا يزال يتقبل تطور العلوم بشكل أسرع. **لماذا ؟** لأن العلم نتائجه محدودة وثابتة وملموسة. فلا أحد يستطيع أن ينكر فائدة الطائرة أو الثلاجة الكهربائية. او يرفضها حتى لو لم يفهم الأسس العلمية التي قاما عليها، **فالتطورات العلمية تمسك بنا وتحيطنا من كل جانب.**

في مجال الفن فان وضع التصوير او الرسم يختلف عن وضعها بالنسبة لبقية الفنون .. فالشعر والقصة او الفنون الكلمة عامة أكثر حظا من غيرها. ذلك لأن الاذن سبقت العين في الثقافة. ووسائل الاتصال الجماهيرية من اذاعة وتليفزيون عملت على تنمية تذوق الانسان في عالم الكلمة بعكس فن الرسم. فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن الانسان بشكل عام نادرا ما يسعى الى تثقيف حواسه خاصة العين، بل يهتم بالماديات اكثر من اهتمامه بأي شئ آخر، وهذه محنة فن الرسم ازاء الجمهور.

هناك عنصر آخر يقع على عاتق الفنانين، هو ان اكثر انتاج المدارس الحديثة لا يرقى الى مرتبة الفن، فالكم الهابط الذي يخرج على الناس كل يوم يسئ الى الفنان الحقيقي.

* معنى هذا انك ترسم لنفسك اولا .. ولقلة من الجمهور .. لا لكل الناس خاصة وانك تخطيت المفهوم الشائع للرسم بمعناه الاكاديمي حيث يصبح المصور مجرد «**ناقل**» أو «**آلة**» أمام الواقع ؟

** هذا صحيح وغير صحيح. فالفنان يعمل للناس وله ايضا فهو يحقق ذاته من خلال الفن، ويريد ان يتجاوب الناس معه، لكن الصعوبة تأتي من تحقيق الرغبتين .. فالفنان يبحث عن ذاته بالرسم، والجمهور العام يريد ما توارثه، ويواجه كل جديد بالرفض. فالعلاقة هنا هي علاقة شد وجذب. ومن حسن الحظ أن الفن درجات. على مستوى الأغنية والموسيقى تبدأ من الألحان العفوية والفولكلورية، حتى تبلغ ذارها في السيمفونية. هذه المستويات المتعددة شئ مطلوب، لأن الانسان تختلف قدراته ايضا في استيعاب الفنون من البسيط الى المركب. عن نفسي لو حاولت ارضاء كل المستويا .. اي كل الناس لانتهت رسالتي كفنان.

* استطاع صلاح طاهر ان يكسر كل «**القيود**» التي أحاطت بأنامله وأحاطت اكثر بتفكيره، وبدأ رحلة الجهد والمعاناة بحثا عن شخصيته المتفردة «**فالفن في نظره ليس تقليدا بل اسلوب تناول**». في البداية تخلى عن اللون الا في القليل، وبدأ لمدة سنتين يرسم بالابيض والأسود، ويجرب بهما اسلوبه الذاتي. ومع الستينات بدأت معالم ذاتيته الفنية تتضح اكثر. وتكتسب ملامحها المتميزة حتى تصل في قمة نضجها الى اداء اقرب ما يكون الى الاداء الموسيقي، حيث يمتزج الشكل بالمضمون في وحدة لا أنفصام بينهما.

سأل احد المشاهدين الفنان «**ديجا**» ليلة افتتاح احد معارضه وكان يضم لوحة الفتاة تخرج من قصر ابيها: **لماذا تخرج هذه الفتاة ؟**



فلم يجد الفنان ردا الا ان قال له: **لأنها ليست متوافقة مع الارضية**. نفس الرد الساخر يمكن ان يرد به على من يبحث عن التشابه بين لوحات صلاح طاهر الآن. والواقع انك امام لوحة من لوحاته لا تملك الا ان تقبلها ككل او ترفضها ككل .. حسب ثقافتك ودرجة تذوقك الفني. فما تبوح به لوحاته ليس بالفن العقلي الذي يمكن تأويله، وانما هو ذو دلالة وجدانية قد تختلف في التفسير.. **لا يهم** .. المهم هو ان اللوحة ككل تركت بصماتها على تذوقك الفني.

وصلاح طاهر في تجربته الابداعية لا ينفصل عن تراثه العربي بل يستوعب كل ما فيه من أصالة، ويمزجه بمعدنه الخاص بحيث يمكنك أن تميز لوحاته من بين عشرات اللوحات. فهذه الكائنات العملاقة تطارده في خياله فيعكسها في اكثر من لوحة. انها كائنات من ابداعه.-ومع ذلك فأنت





تشعر وكأنها تنتمي اليك. ذلك الانتماء الوجداني. كائنات يذكر قوامها بنخيل النيل، وتذكرك رشاقتها بلحن الموسيقى، وهي مهما تعددت وتزاحمت في اللوحة الواحدة الا انها تحتفظ بفرديتها الخاصة أو بعالمها الخاص. والالوان سواء كانت تصرخ او تهمس معبرة عن ذاتها من خلال الخطوط او الكتل اللونية خاصة في لوحات «**اللاأرضية**» التي يصعد بها الفنان الى عالم الفضاء، معبرا عن تكامل الكون وتماسكه مهما بدت أجرامه متباعدة أو متناثرة.

ان محاولة التعبير بالكلمة عن لوحات صلاح طاهر بمحاولة التعبير بالكلمة عن إحدى مقطوعات «**باخ**» الموسيقية .. انها محاولة فاشلة. وكل محاولات النقاد هي مجرد محاولات لتقريب ذوق ومزاج فناني العصر الى جمهور يرتكن في احكامه الفنية الى قاموس عصر آخر. ومع ذلك فصلاح طاهر لا ينكر دور النقد للمصور الرسام، ونقول المصور الرسام لأنه **لا يفضل اسم الفن التشكيلي**، يقول:

** «ليس الناقد بفنان فاشل كما يقول البعض .. بل هو صانع حضارة هو الحامي الذي يقف مع الفنان العبقري يدفع عنه اي هجوم متجن يحوق طريق ابداعه. ان ناقداً مثل «هربرت ريد» هو الذي اوجد حركة فنية في انجلترا، والنقد عندنا ما زال يتناول الرسم من خلال علاقته بالأدب وليس باعتباره شيئا منفردا ومستقلا عن غيره من الفنون.

* الفن العربي في جوهره فن تجريدي .. **فهو لم يكن** يستهدف التعبير عن كل ما هو عرضي وزائل، فالحروف العربية والارابيسك في جوهرها فنون تسعى الى المطلق والجوهر. **نريد ان نعرف رأيك الخاص في هذا الموضوع؟**

«الفن الاسلامي في جوهره فن تجريدي .. هذه حقيقة، وكل الفرق بين «التجريد» الآن و«التجريد» عند الفنان العربي، ان الأول يعتمد على التوازن في حين كان الفن العربي يعتمد على التماثل. و«التجريد» عندي اذن له جذوره الاسلامية والعربية **وان كان يعتمد كما قلت على التوازن.**

* هناك محاولات في فن الرسم ترتكز على الحرف العربي سواء في الوطن العربي أو في الخارج كما عند الرسام «**بول كلي**»؟

** اكثر من هذا فقد شاهدت لوحات تعتمد على الأحرف الصينية واليابانية. لكنني اقول انها محاولات طريقها مسدود. **والفنان يلجأ اليها كحيلة لنقل الناس معه الى عالم التجريد.**

كان جو «**القاهرة**» حارا وزاد من حرارة الجو أننا كنا نجلس في مرسمه الذي يشبه علبة الكبريت و.. كان لابد من ان يبحث كل منا عن «**نسمة**» ترطب نفوسنا. كان علي ان أتركه يرسم .. ويتنفس حياته بلا قيود رسمية، لأكتب هذا الحوار.



المسرح العربي

وكيف نؤرّخ له ؟

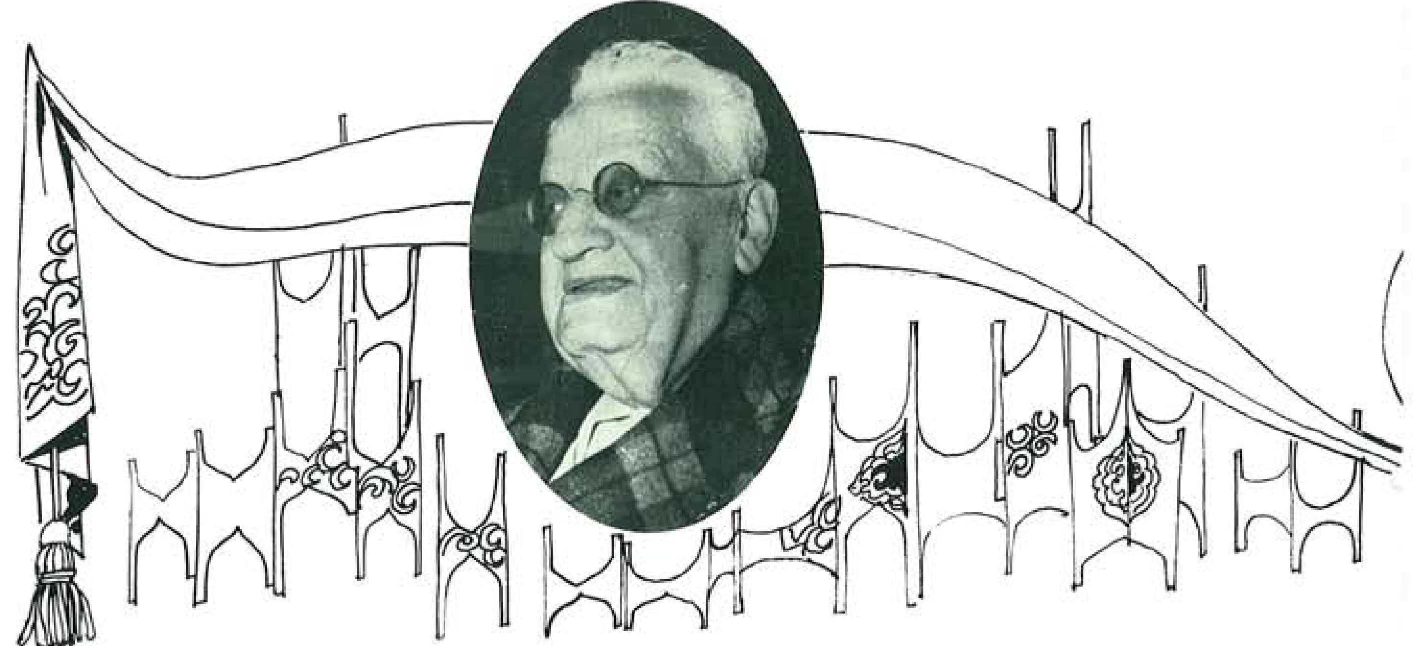
بقلم : د. ابراهيم حمادة

لا شك ان التراث الادبي والفكري والفني في العالم العربي مازال يفتقر الى اهتمامات البحث الاكاديمي ومداخله الحديثة. فهو في كافة وجوهه العديدة الثرية لم يزل في مسيس الحاجة الى التناول الاستقصائي الجاد الذي يتوفر على جمع اشتاته المبعثرة، وتصنيفها وتأريخها ومقارنتها وتفسيرها أو تأويلها، ثم الحكم عليها.

ومع ان ألادب المسرحي جنس جديد مستجلب من اوربا منذ عهد قريب الا ان حداثة تأصيله في تربة هذا التراث الثقافية لم تحمه من الاصابة بنفس آفة الافتقار الى الدراسة العلمية الشاملة. وكان من الحري وهو قريب العهد، ومنشأ في ظل وعي حضاري حديث ان تحظى نتائجه بالمدارسة أولا بأول. فمعظم نصوص المسرح العربي – **وفي مصر بصفة خاصة** – لم يرتدها الكشف او البحث بعد لانه متوان متقاعس، ولأنها ما فتئت مختفية في شقوق الاهمال والنسيان. لذا، كلما غذ الزمن سيره، اصيبت هي بالتآكل والضياع الكامل. وكل ما بذله البحث حتى الآن ليس الا محاولات جانبية متناثرة أو مرحلية محدودة، ولكنها .. **على اية حال** – جهود محمودة – ودعوات عملية لمواصلة الريادة والدرس.

توظيف علم الادب المقارن

واذا ما قيض لهذه النصوص المهملة فرصة الاحتشاد والطرح على بساط الدراسة فان من بين الحقائق البارزة التي تبده الدارس، حقيقة تؤكد ان اغلب النصوص الدراسية التي كتبت في السنوات السبعين الاولى من عمر المسرح العربي ذات وشائج شرعية – او غير شرعية – بمسرحيات اوربية فلو انتزعنا عينات كبيرة من العروض التي قدمتها اجواق: **اسكندر فرح، والقرداحي، وسلامة حجازي، ومنيرة المهدية، ويوسف وهبي، وفاطمة رشدي، وجورج ابيض، ونجيب الريحاني، وعلي الكسار** – وغيرها من الجوقات الاخرى التي سبقت او لحقت حتى نهاية النصف الاول من القرن الحالي بما في ذلك الفرقة القومية الحكومية – لاكتشفنا ان الكثير من نصوص تلك العروض تدين بحياتها لنصوص غربية. بل انه ليمكن ان تشمل علاقة المديونية هذه مؤلفين معروفين من امثال: **محمد عثمان جلال، وفرح انطون، واحمد شوقي، وابراهيم رمزي، وانطون يزبك، ولطفي جمعة، وخليل مطران** وغيرهم. وقد توصف تلك المديونية بالترجمة، او التعريب، او التمصير، او التحوير او



الاقتباس، او الاستحياء، او التأثر، او الاحتذاء، او السطو والتشويه. وبناء على ذلك لا يمكن ان تستقيم دراسة نصوص المسرح العربي في تلك الحقبة الطويلة دراسة علمية صحيحة دون الرجوع الى المصادر الاجنبية. ولا شك ان احدى السبل للتوصل الى هذا الهدف هو توظيف علم «**الادب المقارن**».

ما هو الادب المقارن

والادب المقارن – بوجه عام – هو دراسة ادب لغة معينة في علاقته التاريخية بأدب اخر مكتوب في لغة مغايرة. ويضيف المقارنيون الامريكيون وحدهم الى هذا التعريف المبسط الذي يوافق عليه المقارنيون الفرنسيون – بأنه كذلك: **دراسة الادب القومي في صلاته وتأثراته بميادين المعرفة الانسانية الاخرى**: كالتصوير والموسيقى، والفلسفة، والاجتماع، وعلم النفس، والسياسة، والاقتصاد ... الخ. فقد استطاع العصر الحديث – بنضوج معارفه، واتساع رقعة كشوفها وتشعب مناحيها – ان يجذب الادب الى مناطق جديدة، يشجعه فيها على الاختلاط بالعلوم والفنون الاخرى، كي يتخير منها، ويستقي ما يمكن ان يمثله ويكسبه جدة وفتوة وعصرية **ومن ثم اصبحت هناك علاقات من الادب وعلم النفس، او بين الادب والمذاهب السياسية والاجتماعية، او بينه وبين الفنون والعلوم الاخرى**.

ومهما كان امر اختلاف المدرستين – **الامريكية والفرنسية** – فان الاساس المتفق عليه بينهما – والذي يهمنا هنا – هو ان الآداب العظيمة تتعدى حدودها الجغرافية واللغوية، وتتصل بالآداب الاجنبية بالنسبة لها، فتتأثر بها، وتؤثر فيها، وذلك بدرجات متفاوتة من عمليات التلقيح والتهجين. وعلى هذا فان علاقات التبادل بين الآداب وبعضها وبين الآداب والمعارف الفكرية والفنية المتنوعة في رأي المدرسة الامريكية – هي مركز البحث المقارني الذي يحاول الكشف عن اصالة الروح القومية ومدى اتصالها واستجابتها في مختلف العصور – للروح الانسانية العامة، ومعارفها العديدة، من حيث الاعطاء والاستعطاء او تبادل الخبرات والتجارب.

الدراما العربية والاوروبية

والادب العربي – **كأدب حي قوي** – اتصل قديما ببعض وجوه الادب اليوناني فتأثر بها، واتصل بالأدب الفارسي فأثر فيه وتأثر به ثم اتصل بآداب اوربا في عصرها الوسيط وعصر نهضتها فأثر فيها بما هو جدير بالبحث والدرس. اما في العصر الحديث فقد تأثرت فنون الادب العربي بفنون الادب الاوروبي وعلومه المتقدمة، تأثرات متنوعة لا يمكن انكارها او التقليل من شأنها. والدراسات العربية الحديثة المتعلقة بالتطورات التي طرأت على القصة والرواية والشعر والنقد والمقالة، تؤكد قوة وفعالية التأثيرات الوافدة تباعا من العالم الغربي. واذا ما سلمنا بأن هذه الفنون القولية كانت موجودة على اية درجة من درجات القوة او الضعف، والنضج او الابتسار قبل اتصال الشرق العربي بالعالم الاوروبي وتلقي تأثيراته، فان الادب المسرحي فن وافد برمته لذا اخذ الادب العربي يتحايل على ألفته، وترويضه، وغرسه بتراثه. ولما كانت بداية هذه الممارسة متعسرة ونافرة، فقد استمرت عملية



التوطين فترة طويلة كما المحنا، واتخذت صورة الترجمة، او الاقتباس، او التقليد حتى لا يمكن القول بأن الدراما العربية نشأت وترعرعت تحت معطف الدراما الاوربية ولكن في تراب اللغة العربية. **ولم تبدأ الدراما المصرية فطامها عن اثداء المسرح الاجنبي الا بعد قيام عام ١٩٥٢.** فهي اذن مازالت حتى الان تتلقى التأثيرات الوافدة. ومن ثم، فهي عاجزة عن التأثير في اية دراما اجنبية، لانها لم تصل بعد الى المستوى العالمي الذي يجبر الآداب المسرحية الاخرى على ان تمتاح منها. اي ان مد التأثير الفني الاوربي مازال يتسرب الى ارضنا الثقافية التي لم يقيض لها حتى الآن فيض الوعي المتفوق الذي يقدر على الرد ودفع المديونيات.

كيف نبحث تاريخ المسرح ؟

وعلى هذا الاساس لكي ندرس ادبنا المسرحي دراسة تاريخية وتقييمية صحيحة، **فمن الاجدى ان يكون علم الادب المقارن - كما قلنا - هو المدخل الرئيسي لذلك.** وهذا يحتم على الباحث في تاريخ المسرح العربي ان يتزود الى جانب دراساته الادبية الخاصة بدراسة النظرية العامة للادب بفنونه المختلفة، كما بحثها اساتذتها المتخصصون في بلدان العالم الاوربي الرئيسية ثم بدراسة مناهج الادب المقارن ومداخله التاريخية والنظرية والتطبيقية كأصول اساسية يستهديها الباحث المقارني. كما عليه ان يحتك الى ابعاد معقولة - بأهم مصادر المعارف الفنية والعلمية وان يجيد اللغتين الانجليزية والفرنسية - بصفة خاصة - حتى يتمكن من التعرف على ما كتب فيهما من مسرحيات وعلى ما احاط بتلك المسرحيات من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية لأن هاتين اللغتين بالذات تمثلان النافذتين الاساسيتين اللتين اطل منهما العالم العربي على الحضارة الاوربية الحديثة والقديمة. وفوق ذلك كله، يتعين على الدارس المقارني ان يتفحص اوجه الثقافة العربية، وخاصة ثقافة القرن الماضي وان يلم بفحوى المنتوجات المسرحية وان يتعرف على مصادرها المباشرة وغير المباشرة قبل ان يبتلعها النسيان.

اهمية النقد المقارن

ونعاود القول مرة اخرى بالتأكيد على اهمية النقد المقارن في دراسة ادبنا الحديث، والدرامي بصفة خاصة. لانه الاداة العلمية الصحيحة في الكشف عن ابعاد الاصالة في مسرحنا العربي والوسيلة التي يتحدد بها مدى تأثره بالاجناس الدرامية الوافدة. ولا شك ان مظاهر التأثر تزداد حدة واتساعا كلما امعنا البحث في الاتجاه نحو الماضي، كما يمكن عن طريق النقد المسرحي المقارن ان نتعرف على طاقات الدراما العربية المعاصرة وامكاناتها ومصادر قضاياها الحقيقية، وطبيعة تياراتها الفكرية وموضوعاتها وحرفياتها. لا لمجرد الدراسة التاريخية فحسب، وانما لامكانية التخطيط المستقبلي لها ايضا.

ان لشكسبير وكورني وراسين وموليير وفولتير وهوجو وساردو وفيدو وبعض كتاب المسرح الفرنسي في القرن الماضي - وما قبله - بصمات تأثيرية عميقة في نتاجنا الدرامي منذ نشأته في القرن الماضي وحتى أوائل خمسينيات القرن الحالي. بل ان خصائص المسرح الارسطي والملحمي، والوثائقي والشاملي ونحوها قد اثرت ومازالت تؤثر في حرفية المسرح العربي المعاصر ومضامينه بالرغم من وجود اعمال مسرحية مستقلة الملامح القومية.

ان في كل ذلك وغيره لمجالات خصبة لعمل الادب المقارن، على انه يجب التفريق بين مفهوم عمليات الموازنة بين المتشابهات او السرقات التي عرفت في نقدنا العربي القديم للشعر ومفهوم العملية المقارنية في شكلها الصحيح، والتي تتطلب اساسا وجود علاقة تاريخية ذات تفاعل بين الموضوعين محل المقارنة. وعلى هذا يجب ان يستبعد المفهوم التقليدي الخاطئ لمعنى التأثير والتأثر بين الادب المسرحي القومي والادب المسرحي الاجنبي، والبحث عن مصطلحات فنية جديدة تحدد مداه، بدلا من وصم هذا المعنى باللصوصية والسرقة.

ولكن بالرغم من اهمية الادب المقارن في دراسة ادبنا العربي الحديث - وبصفة خاصة - ادبنا المسرحي فان بحوثنا فيه لم تزل محدودة كما انه يتعثر عن ضعف في مناهج كليات الآداب بجامعاتنا ومعاهدنا الفنية في الوقت الذي توليه جامعات كثيرة في اوربا وامريكا عناية كبيرة تزداد توسعا وتشعبا وتعمقا منذ القرن الماضي.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وايضاحات أخرى :

١– قيمة المسابقة عشرة الاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي :

أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال
ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال
جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

٢– المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا او رباعيا – ان امكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣– ترسل الاجابات على العنوان التالي :
(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص.ب (٣) المسابقة).

٤– أية اجابة تصل بعد ٣٠ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥– ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦– من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

نتيجة مسابقة العدد الأول

* الجائزة الأولى وقدرها خمسة الاف ريال سعودي فاز بها القارىء (محمد صادق عليوة، ١٢ شارع محمد حمزة المحامي، ارض اللواء – الهرم، القاهرة – مصر).

* الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة الاف ريال سعودي فازت بها القارئة «نورة سليمان القاسم – الرياض – ص.ب ٢٨٨٧، المملكة العربية السعودية).

* الجائزة الثالثة وقدرها الفا ريال سعودي فاز بها القارىء (زهويلي مصطفى، ٤٦ زنقة ١٣ حي الياقوت – عين الشق – الدار البيضاء – المغرب).

* وفاز بالجوائز السبع الأخرى وهي عبارة عن اشتراك في المجلة لمدة عام (١٢ عدداً) الاسماء التالية:

* من السودان (نقيب محمد عثمان محمد علي – القوات الجوية – الخرطوم)
* من دولة الامارات المتحدة (حسن فضل عباس – مجلة منار الاسلام – ص.ب ٢٩٢٢، ابو ظبي).
* من الكويت (محمد عبدالله الفيشاوي – مؤسسة الخليج العالمية، ص.ب ٣٣٨٩ بواسطة كمال حسن صادق – الكويت).
* من تونس (الهادي بن علي الدخيلي – ١٠٠ نهج باب سويقة – تونس).
* من السعودية (نورة عبدالله الحفير – سوق الكاميات – دكان سيف عبد الرحمن السيف – الرياض).
* من مصر (حاتم أمين احمد الجمل – ميت خاقان بندر شبين الكوم).
* من السعودية (عبدالله صالح السويح – المدرسة الخالدية – الرياض).

السؤال الاول:

اين كانت توجد هذه المكتبات العربية الاسلامية الشهيرة:
بيت الحكمة – دار الحكمة – مكتبة المستنصر – المكتبة العزيزية – مكتبة الحمداني.

السؤال الثاني:

في اي عهد وضع التقويم الهجري ؟

السؤال الثالث:

ما اسم القبيلتين العربيتين اللتين عرفتا في التاريخ الاسلامي بأسم «الانصار» ؟

السؤال الرابع:

من هو اول من قال «أما بعد» ؟

السؤال الخامس:

اذكر اسماء مؤلفي الكتب التالية:
نزهة المشتاق في اختراق الافاق – الذخائر والتحف – السنن – حساب الأهلة – المصايد والمطارد.

السؤال السادس:

اين يقع كل من الكوع .. والبوع في جسم الانسان ؟

السؤال السابع:

من اين يستخرج المسك ؟

السؤال الثامن:

اذكر اسم اطول .. واعرض نهر في العالم .. مع تحديد المسافات.

السؤال التاسع:

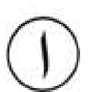
من هو اول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى .. والدورة الدموية الكبرى ؟

السؤال العاشر:

ما هو لون البترول ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
(العدد الرابع)
الاسم: ....
المهنة: ....
العنوان: ....





ابن حجر العسقلاني

ولد في مصر القديمة سنة ١٣٧١هـ وتوفي سنة ١٤٤٨ درس الحديث في الشام والحجاز والعراق ومصر، ومن اشهر كتبه **(الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة)**. وهو اول مؤلف طويل في تراجم اعيان القرن الثامن الهجري. ولم يهمل ابن حجر في كتابة الترجمة لأعلام النساء في هذا القرن، وامتلأ كتابه بمئات من تراجمهن، وهو في ذلك على عكس **ابن خلكان** الذي قل ما عني بهن في كتابه **(وفيات الاعيان)**.

ويمتاز كتاب **(الدرر الكامنة)** بترجمة لملوك التتار والمغول وسلاطين الأتراك مما يجعله مصدرا من مصادر التاريخ الإسلامي في القرن الخامس عشر.



البرمائيـــات

تقضي البرمائيات فترة من تاريخ حياتها في الماء تتنفس بواسطة الخياشيم وتقوم بمساعدة ذيولها ولذلك سميت **(برمائيات)** ثم تفقد هذه الخياشيم والذيول بعد ان تتكون لها رئات وأقدام، ولعل أحسن مثل للبرمائيات هي الضفادع والعلاجيم.

والفرق بين الضفادع والعلاجيم هو ان الضفادع لها أجسام ناعمة، والعلاجيم عليها نتوءات كالدرن علاوة على ان اجسامها منبسطة، ومن خواص الضفادع والعلاجيم قدرتها على تغيير الوانها كطريقة من طرق الاستخفاء.



التأهيل المهني للمعوقين

يتم تقديم خدمات التأهيل المهني للمعوقين جسميا أو حسيا أو عقليا الذين يصلحون للتدريب على المهن المناسبة لقدراتهم الجسمية والعقلية وميولهم المهنية بعد العجز.

وتهدف خدمات وبرامج تأهيل المعوقين مهنيا الى أهداف اجتماعية واقتصادية تتلخص في تنمية القدرات والطاقات البشرية المعطلة في المجتمع بتأهيل المعوقين كطاقات انسانية توقفت عن العمل نتيجة للعجز او العاهة وتحويلهم الى افراد منتجين مع اخوانهم ابناء المجتمع الأسوياء ويحقق ذلك الهدف الاجتماعي هدفا اقتصاديا كعائد لانتاجهم. كما ان هنالك اهدافا انسانية وهي تحقيق حاجات المعوق النفسية وذلك بإزالة عوامل القلق وفقدان الثقة في النفس الى التطلع نحو مستقبل سعيد لا يكدره الخوف، والى تحقيق التكيف الاجتماعي، والاعتماد على النفس في كسب رزقه.

وكان مركز التأهيل المهني للمعوقين **بالرياض** والذي بدأ نشاطه في ١٣٩٤/٣/١هـ باكورة مشروعات الخدمة للمعوقين **بالمملكة العربية السعودية** وتضمنت الخطة الخمسية الثانية ١٤٠٠/٩٥ لبرامج التأهيل انشاء مركزين للتأهيل المهني في كل من **الطائف والدمام**.



ثقـــاب

الثقاب أو الكبريت، عيدان صغيرة من خشب أو خيطان

مشمعة على رؤوسها مادة سهلة الاشتعال هي كبريتور الفسفور. وفي الصنف المعروف (**بثقاب السلامة**) تقتصر العيدان على المادة المتأكسدة في حين توضع المادة المشعلة على طرف الصندوق.

صنع الثقاب لأول مرة في فرنسا عام ١٨٣١م، وكان يصنع من الفسفور، وقد منعت صناعة الثقاب من الفسفور منذ عام ١٩٠٦م لخطورته.



جـــزر

الجزر ضد المد من البحر، والمد والجزر كما هو معروف هما الحركتان المتعاقبتان يوميا في البحر من انحسار المياه عن الشواطئ مدة ساعات ثم رجوعها ثانية، وارتفاعها الى اعلى عن حدها الأصلي.

وسبب ذلك كما قرره العلماء **جذب القمر**، وذلك ان القمر متى حاذى جهة البحر جذب مياهها اليه فتعلو الى بعد ما وحينئذ تنحسر عن الشواطئ، فيقال ان هنالك جزرا، فإذا زال وبعد القمر عن تلك الجهة وزال تأثيره اندفعت المياه بثقلها الخاص لتصير الى حالة الموازنة فتعلو جهة الشواطئ فيقال ان هنالك مدا، والجزر يكون في اشد درجاته واعلاها متى كان القمر في اقرب مراكزه الى الأرض، وفي حالة ما يكون هلالا جديدا وبدرا كاملا اي متى كان الشمس والقمر متقابلين فعندئذ يكون لهما الإثنين تأثير مشترك على رفع كتل الماء.



حلب

واحدة من اهم المدن السورية، تقع في الشمال في سهل قويق المخصب، على ان الأتراك قطعوا عنها ماء قويق فمدت اليها مياه الفرات.

وهي مركز مالي وتجاري هام ومدينة صناعية كبرى تكثر فيها صناعة النسيج ويعود تاريخها الى الفي سنة قبل الميلاد. وكانت (**صوبا**) عند الأراميين، واتخذها **سيف الدولة** عاصمة له، واستولى عليها الاتراك عام ١٥١٧م وكانت أعظم مدن السلطنة بعد استنبول وعاصمة ولاية كبيرة وسوقا تجارية هامة بين الشرق واوروبا.



خـــروع

الخروع شجر أصله من بلاد **الهند وافريقية** وهو جميل المنظر بأوراقه العريضة وساقه السمراء الضاربة للحمرة التي تبلغ ارتفاعها الى ثلاثة امتار احيانا. ويتكاثر من بذوره طول فصل الصيف.

وتوافقه الأرض الطينية الرملية، وتعصر بذوره ويستخرج منها زيت الخروع الذي يستعمل للاستصباح احيانا وهو مسهل جيد! ويستعمل لتحضير بعض المراهم ايضا.



الدانـــوب

ثاني انهار اوروبا، ينبع من السفوح الشرقية للغابة السوداء ويسير مسافة ١٧٥٠ ميلا الى البحر الأسود، تبدأ الملاحة البحرية النهرية فيه عند مدينة (**أولم**) بالمانيا. اما السفن البحرية الكبيرة فتدخل فيه حتى مدينة بريلا (**رومانيا**)، اهم المدن التي تقع عليه: **لينتز، فينا، براتيسلافا، بودابست، بلغراد، بريلا**.

ويتشعب كثيرا عند مصبه وتكثر فيه المستنقعات، وتصله بنهر **ماين** قنال، وبذلك يرتبط بشبكة **الراين**.



ذئـب

حيوان بري مفترس من فصيلة الكلب، يوجد في نصف الكرة الشمالي ووجهه يشبه وجه الثعلب، وهو شديد الصيال

متى كان جائعا، الا انه جبان يفر من الكلب، وهو حيوان مؤذ بطبيعته، ليس على شيء من صفات الكلب ووفائه، متعدد الأصناف وفروته رمادية ثخينة ويسكن الأحراج، ويجتمع في جماعات للافتراس.



الرومانسية:

نزعة فنية ظهرت في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، وشملت جميع الاشكال الفنية من شعر ومسرحية ورواية وتصوير.

ظهرت الحركة كرد فعل للكلاسيكية التقليدية، وتميزت بايثار الحس العاطفي على المنطق والعقل والتعبير عن المشاعر الفردية المثالية، في جو يلفه نوع من الغموض والحلم.

من أشهر شعرائها في اوروبا (كوردج ووردزوث وكيتس ولامارتين وفيكتور هوجو) ومن شعراء العربية (خليل مطران وابراهيم ناجي وبشارة الخوري وابو القاسم الشابي).



الزجل

لون من ألوان الشعر الشعبي .. ينظم باللغة العامية. لا يلتزم فيه بوزن معين وهو في الغالب شعر ينظم للغناء.

يقال ان اول من ابتكره هم **الاندلسيون**، ولذلك يعده بعضهم امتدادا لفن **الموشحات**، فعندما كثر استعمال التراكيب العامية، وانتشر التلاعب اللفظي واللغوي في الموشح، ابتدعوا فن الزجل .. فجاءت الأزجال الأولى على نمط الموشح، ثم توسعوا بعد ذلك في انواعه واشكاله، ومن أوائل رواد هذا الفن **ابن قزمان الأندلسي** (ت ٥٥٥هـ).



سوربون

في عهد لويس التاسع قام القس «روبير سوربون» بانشاء معهد للدراسات الدينية للدارسين الفقراء في باريس .. أصبح فيما بعد كلية للآداب والعلوم حملت أسم «سوربون» .. وهو أسم القس الذي انشأ المعهد.



شلالات نياجرا

تقع على الحدود بين **الولايات المتحدة الامريكية وكندا**، في مجرى نهر نياجرا .. وتعتبر من اجمل الشلالات في العالم .. واشدها اجتذابا للسياح.

تنقسم الى قسمين رئيسيين .. يفصل بينهما جزيرة «**جوت ايلند**»، يتجه احدهما الى الولايات المتحدة، وتسمى الشلالات الامريكية، وينحدر الآخر – وهو الاكبر – الى الارض الكندية، وتسمى شلالات كندا أو (**هورس شو**).

ومما يضفي على الشلالات طابعاً خاصا وجود صخور حولها غريبة الشكل، تزيدها روعة ومهابة كذلك تحاط الشلالات باضواء كهربائية ملونة: وتوزع الاضواء في قلب الماء، مما يعطيها شكلا أخاذا وخصوصا في الليل.

تستخدم الشلالات في توليد طاقات كهربائية عظيمة، تستغل في مشروعات صناعية، وفي انارة المناطق المجاورة للشلالات.



صبياء

مدينة تاريخية تقع في جنوب المملكة العربية السعودية .. وهي احدى مدن ثلاث مشهورة في منطقة جيزان .. والمدينتان هما «جيزان» .. و «أبو عريش».

وتقع مدينة صبياء شرق مدينة جيزان (أكبر مدن المنطقة .. وميناء هام على ساحل البحر الأحمر) .. وتبعد عنها ٣٠ كم تقريبا.

وتنقسم مدينة صبياء الى قسمين الأول: (صبياء القديمة) التي تروي كتب التاريخ انها انشئت في القرن العاشر الهجري .. وقد كان أهلها يسكنون في «أبو دنقور» غرب قرية (الباحر) القريبة من صبياء .. وما زالت بقايا (أبو دنقور) الى اليوم.

والقسم الثاني (صبياء الجديدة) .. سميت كذلك لانها نشأت ما بين عامي ٣٧ و ٣٨هـ .. ويفصل بين القسمين واد لطيف.



الضرورة الشعرية

يطلق هذا الاصطلاح على ارتكاب الشاعر العربي ما لا يجوز من قواعد اللغة، وذلك من اجل المحافظة على وزن الشعر العروضي، فالشاعر قد يضطر الى استخدام تركيب لا يجوز استخدامه في النثر. مثال ذلك: قصر الممدود، وتحريك المضارع المجزوم، ومنع المصروف، وصرف الممنوع من الصرف، وغير ذلك.

وقد كان الشاعر العربي القديم مقتصدا في الضرورة الشعرية الى ان جاء المولدون، فتوسعوا في استخدامها، وكثرت في أشعارهم، ولذلك كثرت الدراسات حولها في كتب اللغة والنحو وتناولها الكتاب القدماء كما تناولها الكتاب المعاصرون على حد سواء.



طباعـــة

أول من عرف الطباعة هم (**الصينيون**)، في القرن التاسع الميلادي لكن صناعة الحروف المنفصلة لم تعرف الا في القرن الخامس عشر حينما اخترع «**يوحنا جوتنبرج**» الحروف المتفرقة. وبعد ذلك انتشرت الطباعة في أوروبا والبلاد الاخرى.

كان **لبنان** اول بلد عربي عرف الطباعة عام ١٦١٠م ثم **سوريا** عام ١٧٠٦م ثم **مصر** عندما احتلها الفرنسيون عام ١٧٩٨م حيث كان **نابليون** قد جهز الحملة الفرنسية بمطابع لطباعة النشرات والاوراق الرسمية.

مرت الطباعة بعدة مراحل تطورية، اشهرها طريقة **الاوفست** التي تعتبر من افضل انواع الطباعة الحديثة .. لكن طباعة الحروف ما زالت منتشرة في كثير من بلدان العالم.



الظاهر بيبرس

هو ركن الدين، الملك الظاهر، من اعظم سلاطين المماليك، تمتع بشجاعة نادرة وأظهر تفوقا حربيا مذهلا، ايام التتار والصليبيين، قام بقيادة الجيوش المصرية الى فلسطين واشترك مع سيف الدين قطز في ايقاف زحف التتار الجارف، في معركة «عين جالوت».

عرف عنه تكريمه للعلماء ومساعدتهم، وله آثار واصلاحات معروفة.



العـــروض

علم خاص بأوزان الشعر العربي. ابتكره «**الخليل بن احمد**» لمعرفة الأوزان المستعملة في الشعر فذكر خمسة عشر بحرا، اضاف اليها تلميذه «**الاخفش**» ثماني تفعيلات على اساس ايقاعي، وجعل لكل بحر تفعيلات معينة، يلتزمها الشاعر في كل بيت من أبيات القصيدة .. وهذه التفعيلات هي: **فعولن - فاعلن - مفاعيلن - فاعلاتن - مستفعلن - مفعولات - مفاعلتن - متفاعلن**.

ويدخل على هذه التفعيلات عدة تغييرات تصل الى ثمانين نوعا، وهي على قسمين: **زحافات، وعلل**. وقد حدد العروضيون ما يجوز استعماله وما لا يجوز من هذه الانواع.



غزوة الخندق

تعرف كذلك بغزوة (**الاحزاب**) وقد حاول فيها الاحزاب من مشركي مكة بتحريض اليهود وبقيادة **ابي سفيان** مهاجمة المسلمين، وذلك في السنة الخامسة من الهجرة. لكن المسلمين كانوا قد حفروا خندقا حول المدينة بإشارة من **سلمان الفارسي**، وهبت على المشركين ريح عاتية فارتحلوا وفك الحصار. وفي هذه الغزوة نقض بنو قريظة العهد، فأجلاهم المسلمون عقابا لهم.



فاطمـــة الزهـــراء

البنت الرابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وأمها **خديجة بنت خويلد** أولى زوجات الرسول.

حضرت فاطمة مع أبيها فتح مكة، وحجة الوداع، تزوجها **علي بن ابي طالب** وهي في الثامنة عشر من عمرها وانجبت منه **الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب** .. توفيت بعد وفاة الرسول بستة اشهر.

ويقال انها اول من حمل على النعش .. روت عن الرسول ثمانية عشر حديثا.



القنبلة الهيدروجينية

سلاح نووي اشد فتكا وقوة من القنبلة الذرية. وتنتج الطاقة المدمرة في هذه القنبلة نتيجة لاندماج ذرات خفيفة لتكون بعد اتحادها ذرات اكثر ثقلا وتصبح كتلة النواة الجديدة أقل من كتلة المكونات الأصلية.

وتقاس الطاقة الناتجة عن انفجار هذه القنبلة بملايين الاطنان وتزداد دون تحديد بازدياد كمية المواد الداخلة في تكوينها مما يمكن من الحصول على طاقة لا حد لها.

وقد اجرت **الولايات المتحدة الأمريكية** أول تجربة للقنبلة الهيدروجينية في المحيط الهادي عام ١٩٥١م، ثم اجرت تجربة اخرى في نوفمبر ١٩٥٢م وفي مارس عام ١٩٥٤م اجرت تجربة اخرى كذلك ثم تلاها **الاتحاد السوفيتي** الذي اجرى اول تجاربه على القنبلة الهيدروجينية عام ١٩٥٣م.



كنـــاري

عصفور الكناري موطنه الاصلي جزر (**الكنار**) وجزر (**ماديرا**) في الأحراش والأدغال، وهو معروف بشهرته بين الطيور المغنية ولقد لجأ الانسان الى تربيته بالاقفاص وبحدائق المنازل ولهذا اصبح يوجد في كل مكان. ويمتاز بخفته ورشاقته بما يشيعه في ارجاء الاماكن من تغريد وصفير عذب.



لســـان

اللسان عضو عضلي يساعد على عمليات المضغ والبلع والكلام، كما انه موضع المنبّهات العصبية لتذوق الاطعمة، وهذه المنبّهات في براعم الذوق بحلمات اللسان، وهي بروزات بسطحه العلوي.

واللسان مرآة تفصح عن الكثير من الحالات المرضية بالجسم، ويصحب التهاب اللسان الأنيميا والحمى القرمزية والقصور الغذائي، واغلب الامراض المعدية، وقد يحدث من مضاعفات بعض الأدوية.

واللسان الملتهب احمر اللون ناعم الملمس وتغطي سطح اللسان طبقة بيضاء أو داكنة في بعض الأمراض، لكنها ليست علامة مرضية دائمة، ويجف اللسان عندما يفقد الجسم قدرا كبيرا من السوائل، وفي حالات الحمى، ويبدو شديد الجفاف كبشرة الجلد في أحيان أخرى.



مؤسسة صوامع الغلال ومطاحن الدقيق

انشئت هذه المؤسسة في المملكة العربية السعودية بموجب مرسوم ملكي صدر عام ١٣٩٢هـ بهدف اقامة مشروع متكامل لتشغيل صوامع الغلال ومطاحن الدقيق وانتاج الاعلاف، وللحفاظ على الاحتياطي من الدقيق للطوارئ، وقد انشأت المؤسسة مجمعات متكاملة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق وانتاج العلف في كل من مدينة الرياض وغيرها من مدن المملكة الهامة.



نهاية الأرب في فنون الادب

موسوعة الفها **شهاب الدين ابو العباس احمد بن عبد الوهاب المصري** المعروف **بالنويري** المتوفي سنة ٧٣٢.

وهي موسوعة ضخمة في الثقافة العامة، فيه من كل فن طرف، فكان لذلك مصدرا كبيرا في الأدب والتاريخ والجغرافية والطب وعلم الحيوان والطبيعة والنبات عند العرب.

وقد بدئ بطبع هذا الكتاب في دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٣م.



هيموجلوبين

هو البروتين الرئيسي في كريات الدم الحمراء، وهو مركب من مادتين احداهما تسمى **(هماتين)** والاخرى **(جلوبين)** وتحمل الاكسجين من الرئتين الى انسجة الجسم كلها، والهيموجلوبين المتحد بالدم ذو لون احمر، وهو الذي يعطي الدم لونه الأحمر.



وشـــم

الوشم تلوين الجلد تلوينا دائما بخضاب، ويعمل عادة بقصد الزينة، أو لأغراض أخرى لدى بعض الشعوب البدائية، وقد يلجأ الطبيب لاخفاء شامة كريهة المنظر.

ويعمل الوشم بخضاب معدني او نباتي يصل الى اعماق الجلد فتصعب إزالته، وللوشم خطره أحيانا فقد يسبب عدوى أو ينقل مرضا او يكون أوراما جلدية.

ويزال الوشم بالكي بمادة كيميائية أو يستأصل مع الجلد المحيط به، وينقل مكانه قطعة جلد (رقعة) من مكان آخر بالجسم، ويفنّن اخصائيو التجميل في إزالة الوشم بطرائق اخرى حديثة.



يحى بن عمــر

هو ابو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الاندلسي .. ولد بمدينة «جيان» بالاندلس عام ٢١٣هـ .. وتوفي بمدينة «سوسة» في تونس عام ٢٨٩هـ.

أخذ العلوم عن علماء قرطبة .. كما أخذها من خلال جولاته على الأقطار الاسلامية في مدارس القيروان .. والحجاز .. وبغداد .. ومصر. لم نعرف من آثاره الا القليل منها كتابه المعروف «احكام السوق».